394

طوفان نوح عليه السلام في القرآن والأساطير القديمة

منصور عبد الحكيم

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة



الطوفان حادثة كونية في زمن نوح عليه السلام جاء ذكرها في القرآن الكريم والكتب السماويه لدى أهل الكتاب وفي أدبيات الحضارات القديمة..

فقد كان الطوفان خاصا بقوم نوح عليه السلام..ولكنه في أساطير الشعوب القديمة جاء بتفاصيل تختلف عما جاء ذكره في القرآن الكريم والتوراة..

وتقرأ في هذا الكتاب عن تفاصيل الطوفان وأسبابه والقوم الذين عايشوه وأغرقوا به.. وعن نوح عليه السلام ودعوته لقومه أين عاش قوم نوح على أرض بابل بلاد مابين النهرين كما هو شائع أم في أودية الطائف بالجزيرة العربية؟؟

وتقرأ عن مكان استواء السفيه أهل رست على جبال آرارط , او قردي, أو أغري داغ كرداخ بتركيا أم انه في الجزيرة العربية، كما يقولون أو في غيرها وأين يقع (الجودي)وهل هو جبل أم ارض؟؟

وتقرأ عن الأساطير التي حكت قصة الطوفان في أدبيات الحضارات القديمة كالحضارة السومرية والبابلية والهندية والصينية..

وتقرأ عن علاقة بناء الأهرامات بمصر والطوفان..

وتقرأ عن وصف سفينة نوح وتصور بنائها.

وتقرأ عن الطوفان وكيف حدث وماهو التنور...وكيف فار.. وهل عم الطوفان الأرض كلها أم انه خاص بقوم نوح وأرضهم فقط؟

وتقرأ عن ذرية نوح الباقية بعد الطوفان .. أسئلة كثيرة تجد إجابتها في هذا الكتاب الهام الذي يتميز بسهولة الطرح والأسلوب كما عودنا الكاتب في مثل هذه الأمور الهامة..

إنه كتاب جدير بك أن تقتنيه وتقراه عزيزي القارئ وتحتفظ به في مكتبتك تتوارثه الأجيال.

Monday
28/10/2013



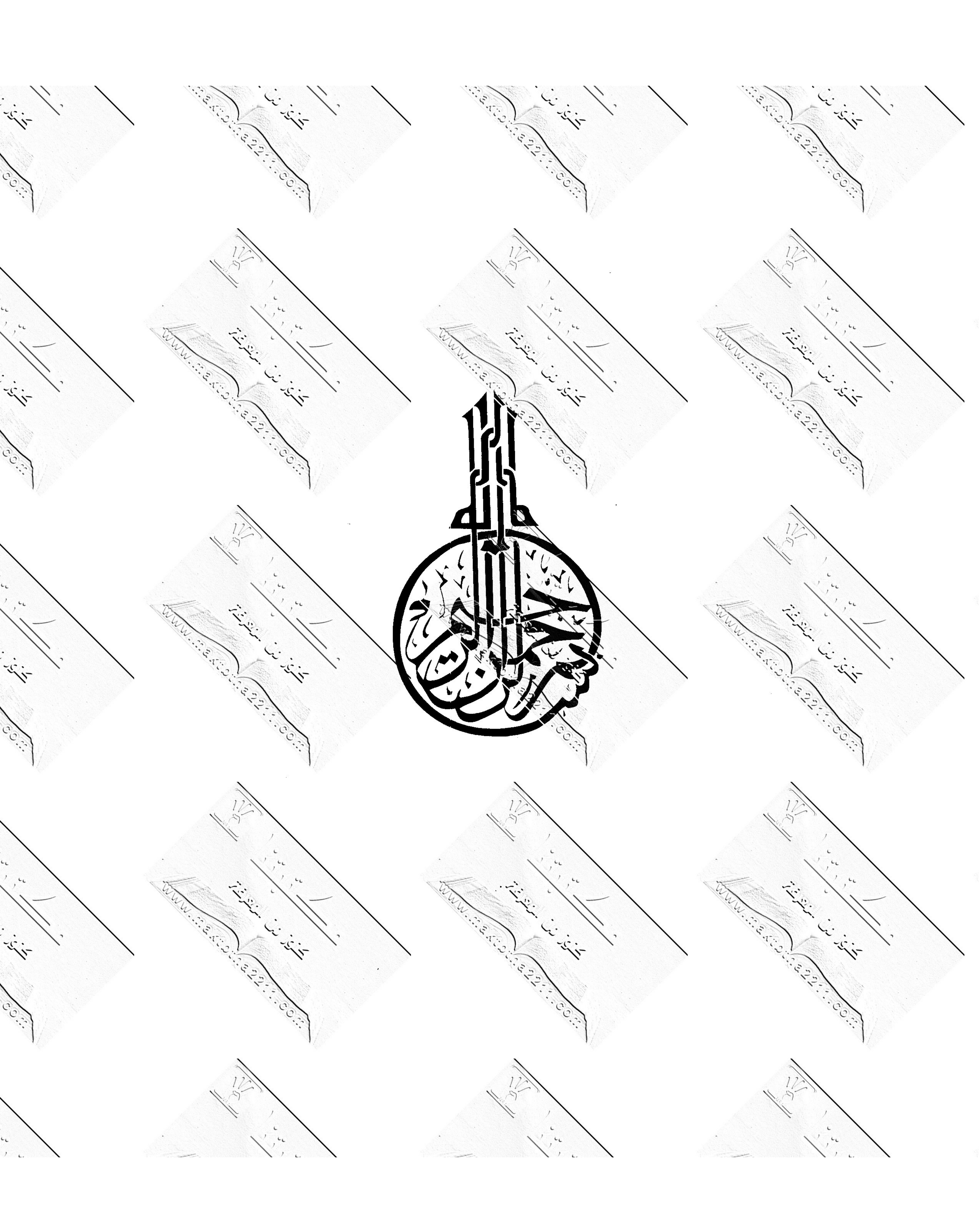
طُوفَانُ نُوحٍ عليهِ السَّلامُ

في القرءانِ الكريمِ والأساطيرِ القديمة



فضيلة الشيخ / منصور عبد الحكيم

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح: ١].

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

المقدمة

الحمد لله رب العالمين نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا إنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

يا رب لك الحمد على نعمك الكثيرة وآلائك العظيمة.

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك ولا ند له ولا صاحبة له ولا ولدَ له.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه خير من بلغ عن ربه عز وجل، أرسله الله على حين فترة من الرسل للناس كافة، رحمة للعالمين، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة وتركنا على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

ثم أما بعد..

فالطوفان نهاية للطاغين وبداية لحياة أخرى للمؤمنين، أهلك الله به قوم نوح عليه السلام الذين أصروا على الكفر بعد مئات من سنين دعوة نوح عليه السلام لهم بعبادة الله وحده وترك ما يعبدون من دون الله من أصنام.

وبعد الطوفان عادت الحياة إلى الأرض من جديد.

ولكن هل استمر أهل الإيمان من ذرية نوح عليه السلام الذين جاء منهم البشر الذين هم على وجه الأرض الآن على حال الإيمان والإسلام؟

بالطبع لم يحدث وإنما عادت النوازع الشريرة إلى الظهور والسبب في ذلك أن إبليس اللعين قد أنظره الله تعالى إلى الوقت المعلوم، وهكذا كي يستمر الصراع الأبدي بين قوى الشر وقوى الخير.

ونحن في هذا الكتاب نستعرض قصة الطوفان المشهور بطوفان نوح عليه السلام كما ذكر في القرآن الكريم والسنة النبوية، وأيضاً في أدبيات الكتب الأخرى والحضارات القديمة، وكذلك نستعرض الهدف الأسمى من الطوفان.

وهل يمكن أن يحدث الطوفان على الأرض مرة أخرى فيكون هذه المرة الطوفان الأخير المنذر بنهاية العالم؟!

سوف نستعرض كل ذلك بإذن الله تعالى وأكثر من هذا في الإصدار الذي لا نقول إنه الفريد من نوعه وإنما يضاف لمئات الكتب التي تحدثت عن الطوفان الشهير ونحاول إضافة الجديد في الطرح من حيث الأهداف والسرد التاريخي.

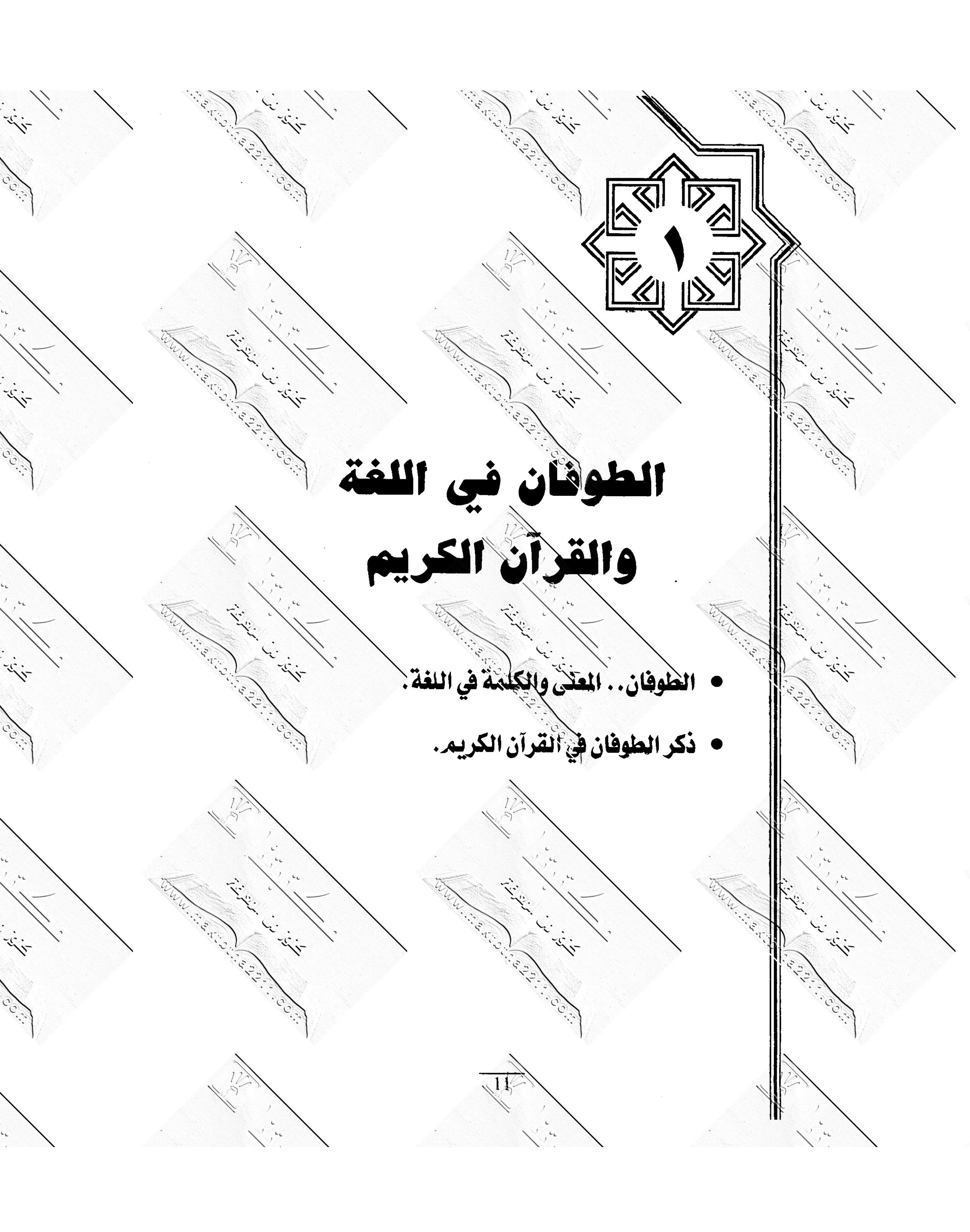
نسال الله العظيم رب العرش الكريم أن يوفقنا إلى إخراج هذا العمل على الوجه الذي يرضيه عنا ويتقبله منا ويجعله في ميزان أعمالنا وحسناتنا يوم القيامة إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه.

منصور عبد الحكيم محمد عبد الجليل

القاهرة

Mansor_2544@yahoo.com



١

الطوفان في اللغة والقرآن الكريم

- الطوفان.. المعنى والكلمة في اللغة.
- ذكر الطوفان في القرآن الكريم.

الطوفان.. المعنى والكلمة في اللغة

الطوفان إشارة إلى النهاية والهلاك فهي كلمة تشير إلى السيل العظيم المغرق، الماء الناتج عن المطر والمنفجر من الأرض هو مصدر الطوفان وهو ما كان كثيراً بحيث يحدث الغرق لكل كائن حي على الأرض وهو ما حدث في طوفان نوح عليه السلام وذكره القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٤].

وقالوا: الطوفان ما كان كثيراً أو عظيماً من الأشياء أو الحوادث بحيث يطغى على غيره.

فكلمة الطوفان مشتقة من مادة «الطوف» على وزن «خوف» وتعني الشيء الذي يطوف ويدور، ثم أطلقت هذه الكلمة على الحادثة التي تحيط بالإنسان إلا أنها عرفت في اللغة على السيول والأمواج المدمرة التي تأتي على كل شيء فتدمر الكائنات وتهدم البيوت وتقتلع الأشجار من الأرض.

ويراد بالطوفان في اللغة الشيء على كثرته سواء كان سيلاً أو ريحاً أو ظلاماً أو أي شيء زاد عن حده وهو معنى يعني الهلاك.

- فقد جاء في مفردات القرآن للراغب الأصفهاني عن معنى كلمة الطوفان: «والطوفان كل حادثة تحيط بالإنسان وعلى ذلك قوله: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ ﴾ [الأعراف: ١٣٣]، وصار متعارفاً في الماء المتناهي في الكثرة لأجل أن الحادثة التي نالت قوم نوح كانت ماء، قال تعالى: ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ ﴾ [العنكبوت: ١٤].
- وفي لسان العرب للعلامة جمال الدين محمد بن منظور عن الطوفان: قيل الطوفان من كل شيء ما كان محيطاً مطيفاً بالجماعة كلها كالغرق الذي يشتمل على المدن

الكثيرة والقتل الذريع والموت الجارف يقال له طوفان وبذلك كله فسر قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾.

- وفي تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري: «قال الزجاج: الطوفان من كل شيء، ما كان كثيراً محيطاً مطيفاً بالجماعة كلها فالغرق الذي يشمل المدن الكثيرة يقال له طوفان. وكذلك القتل السريع طوفان والموت الجارف طوفان».

والمشهور عند العامة أن الطوفان هو فيضان عظيم مغرق يغشى كل شيء، إلا أنه كما ذكرنا يحمل معانيَ أكثرَ من ذلك، فهو يعبر عن الشيء الكثير، فالكلمة «طوفان» تعني ما كان كثيراً فيقال مثلاً انتشر في المدينة طوفان من الشائعات.. وهكذا يمكن وصف أي شيء زاد عن حده الطبيعي الغير المهلك بأنه طوفان.

ذكر الطوفان في القرآن الكريم

جاء ذكر كلمة الطوفان في القرآن الكريم مرتين: إحداهما طوفان نوح عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٤].

والمرة الثانية الطوفان الذي أصاب به رب العالمين فرعون موسى وقومه حين عصوا أمر الله زمن موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١١٣].

وأما مشتقات الكلمة مثل طاف ويطوف ويُطاف ويطوفون وطائف فذُكرت نحو ٣١ مرة مثل قوله تعالى:

﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾ [القلم: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾ [الطور: ٢٤].

وأيضاً: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ [الواقعة: ١٧].

وأيضاً: ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾ [الرحمن: ٤٤].

وأيضاً: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾ [الصافات: ٤٥].

وأيضاً: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [البقرة: ١٢٥].

وأيضاً: ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٩].

وما يهمنا هو ذكر الطوفان كعذاب وعقاب وهلاك للقوم الظالمين.

فالطوفان العظيم هو طوفان نوح عليه السلام.

وكان هلاكاً لمن كفر برسالة رسول الله نوح عليه السلام، وكان هلاكاً في رأي البعض لكل كفار أهل الأرض وذلك إذا كانت رسالة نوح عليه السلام قد وصلت إليهم.

وجاء ذكر نوح عليه السلام في القرآن الكريم نحو ٤٣ مرة، نذكر منها:

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [النساء: ١٦٣].

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [يونس: ٧١].

﴿ قَالُوا۟ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [هود: ٣٢].

﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ [هود: ٣٦].

﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [نوح: ٢١].

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٣].

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: ٥٩].

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [نوح: ١].



٢

نوح عليه السلام
بطل الطوفان العظيم

- نبي الله ورسوله نوح عليه السلام بطل الطوفان العظيم.
- ذكر نوح عليه السلام في كتب أهل الكتاب.
- معنى اسم نوح عليه السلام.

نبي الله ورسوله نوح عليه السلام بطل الطوفان العظيم

قصة الطوفان العظيم الذي أهلك الله به القوم الكافرين جاء ذكرها في القرآن العظيم حين حدثنا الله عز وجل عن أحد أنبيائه ورسوله العظام أولي العزم وهو نوح عليه السلام الذي أرسله الله إلى قومه عبدة الأصنام الخمسة. ﴿ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح: ٢٣] ، فظل يدعوهم إلى عبادة الله وحده ألف سنة إلا خمسين عاماً فلم يؤمن له إلا القليل من قومه فعاقبهم الله بالغرق بالطوفان الذي أغرقهم جميعاً.

وقد أنجى الله نوحاً عليه السلام ومن آمن معه حيث أمره الله بصناعة السفينة التي حملتهم كما سيأتي ذكر ذلك في حينه إن شاء الله.

ومما جاء في ذكر بطل الطوفان نوح عليه السلام ونسبه أنه نوح بن لامك بن متوشلح بن خنوخ وهو إدريس عليه السلام بن يرد بن مهلاييل بن قينن بن أنوس بن شيث بن آدم أبي البشر عليه السلام[١].

وقد روى ابن حبان في صحيحه حديثاً مرفوعاً عن أبي أمامة أن رجلاً قال: يا رسول أنبي كان آدم؟

قال: نعم مكلَّم.

قال: فكم كان بينه وبين نوح؟

قال: عشرة قرون.

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عن قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلها على الإسلام.

١- البداية والنهاية لابن كثير.

والمراد بالقرن مائة سنة كما هو معروف لدى الكثير من الناس أي بينهم ألف سنة وهذه القرون العشرة قيدها ابن عباس بالإسلام أي أن كلها على الإسلام، وبالتالي من الممكن أن يكون بينهما أيضاً قرون على غير الإسلام متأخرة لكن حديث أبي أمامة المرفوع يذكر أن بين آدم ونوح عشرة قرون وتكون كلها على الإسلام توضيحاً من ابن عباس.

وقال ابن كثير: وهذا يرد قول من زعم من أهل التواريخ وغيرهم من أهل الكتاب أن قابيل بن آدم وبنيه عبدوا النار والله أعلم [1].

ولكن حساب القرن بالمائة عام اجتهاد يرد عليه بأن الجيل قبل نوح يعمرون الدهور الطويلة وعلى هذا يكون بين آدم ونوح ألوف من السنين والله أعلم.

قال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ﴾ [الإسراء: ١٧].

وقد جاء ذكر نوح عليه السلام في القرآن الكريم نحو ٤٣ مرة نذكر منها على سبيل المثال:

﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [النساء: ١٦٣].

﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ٦٩].

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [يونس: ٧١].

---

١ - المصدر السابق.

﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [هود: ٣٢].

﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء: ٣].

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٧].

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴾ [القمر: ٩].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٣].

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: ٥٩].

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٢٣].

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [نوح: ١].

كذلك سورة نوح المسماة باسمه وتذكر قصته وقومه.

وخلاصة قصة نوح عليه السلام كما جاءت في آيات القرآن الكريم أن الله أرسله إلى قوم يعبدون الأوثان ليدعوهم إلى عبادته وحده وترك عبادة غيره، لكن نوحا لم يلق آذانا صاغية واستمر الأكثرية على عبادة الأوثان ونصبوا له العداوة ولمن آمن به وتوعدوهم بالرجم.

ظل نوح في قومه يدعوهم إلى عبادة الله ألف سنة إلا خمسين عامًا ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ

ظَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٤] وأن الله أمره ببناء سفينة، والتي لم تعرف البشرية مثلها، فقيل في طولها أنها بلغت ثمانين ذراعا وقيل ألفا وقيل ألفي ذراع وقيل غير ذلك، وكان خشبها من شجر الساج أو الصنوبر على اختلاف بين المصادر، وكانت تلك سفينة النجاة لنوح ومن آمن منه وكذلك الحيوانات التي حملها معه.

وكان نوح يزرع الشجر وينتظر نموه مئة سنة وينشره مئة أخرى أو أربعين سنة، وقد أمر أن يطلي باطنها وظاهرها بالقار، وجعل منها ثلاثة طوابق، جعل الأرضي منها للحيوانات والوحوش، وثانيها لبني الإنسان وأعلاها للطيور، وكان لها سقف مطبق عليها.

وأوحي لنوح بأن علامة بدأ الطوفان هو مجيء أمر الله بفوران التنور، وقيل بالتنور بأنه حدوث بركان في المنطقة، وفي تفسير آخر فوران تنور نوح وهو التنور الذي ورثه من حواء، أو فوران الماء على سطح الأرض، وقيل طلوع نور الفجر وقيل غير ذلك...

ولما تحققت العلامة أمر نوح بأن يحمل في متن السفينة من كل دواب الأرض زوجين وأهله ومن آمن معه وكان عددهم قليلاً. لم تكن زوجة نوح مؤمنة به فلم تصعد، وكان أحد أبنائه يخفي عصيانه ويبدي الإيمان أمام نوح، فلم يصعد هو الآخر وكذلك كانت أغلبية الناس غير مؤمنة هي الأخرى، فلم تصعد. وصعد المؤمنون. قال ابن عباس: «آمن من قوم نوح ثمانون إنسانا».

فبدأ بالتحميل في السفينة، وكان معه حوالي الثمانين من الرجال معهم نساؤهم، وانفجرت الأرض عيونا وهطلت السماء وارتفع الماء (سورة القمر) حاملا السفينة وهي تجري بهم في موج كالجبال مئة وخمسين يوما وهلك الباقون ولم يبق الله على الأرض من الكافرين ديارا، فأرسل نوح الحمامة فمرغت رجليها في الطين وحملت إليه غصن زيتون، فلما رأى ذلك علم أن الماء قد انحسر، وهذا ما ذكره ابن عباس.

وهناك اعتقاد بأن نوحاً عليه السلام خرج من السفينة في يوم عاشوراء ويستند البعض في هذا الاعتقاد على حديث روي عن أبي هريرة يقول نصه «مر النبي بأناس من اليهود وقد صاموا يوم عاشوراء فقال: «ما هذا الصوم؟» فقالوا: هذا اليوم الذي نجى الله فيه موسى وبني إسرائيل من الغرق، وغرق فيه فرعون، وهذا اليوم الذي استقرت فيه السفينة على الجودي فصامه نوح وموسى شكرًا لله عز وجل، فقال النبي: «أنا أحقّ بموسى وأحق بصوم هذا اليوم».

ذكر نوح عليه السلام في كتب أهل الكتاب

في الكتب المقدسة لأتباع الديانات اليهودية والمسيحية ذكرت قصة نوح عليه السلام والطوفان وهو أن نوحاً كان شخصية تاريخية حقيقية وكان الحفيد التاسع أو العاشر لآدم وأنه كان الأب الثاني للبشرية بعد نجاته ومن معه من الطوفان العظيم الذي أباد البشرية جميعاً باستثناء الذين نجوا من الطوفان لاستعمالهم سفينة عملاقة اشتهرت باسم سفينة نوح.

واستنادا على الموسوعة الكاثوليكية فإن والد نوح لاميخ أطلق عليه هذا الاسم لقناعته بأن نوحاً سوف يخلص البشرية من العقوبة التي أنزلها الخالق الأعظم على آدم ويوصل الإنسانية إلى حالة من الطمأنينة والاستراحة.

وهناك أيضاً قصص مشابهة في الأساطير اليونانية القديمة تتحدث عن شخص يدعى ديوكاليون قام بإنقاذ ذريته ومجموعة من الحيوانات من الطوفان بواسطة سفينة وهناك أساطير من أيرلندا عن ملكة أبحرت في سفينة مع مجموعة لمدة ٧ سنوات ليتجنبوا الغرق نتيجة الطوفان الذي عم أيرلندا.

واستنادا على سفر التكوين في العهد القديم من الكتاب المقدس فإن نوحاً كان ابن لاميخ وكان يعتبر الجيل العاشر بعد آدم وكان عمره ٦٠٠ عاما عندما أوكل الخالق له مهمة بناء السفينة وعاش ٣٥٠ سنة بعد الطوفان وكان عمره عند الوفاة ٩٥٠ عاما.

والتوراة تُظهر شخصيتين متناقضتين لنوح فتارة نرى نوحاً كرجل زاهد قريبا من «الخالق الأعظم» الذي اختاره ليخلص البشرية من الدمار، وتارة أخرى نرى التوراة تصف نوحاً كأول فلاح في البشرية وكان أول صانع للنبيذ.

ويرى بعض المحللين أن هذا التناقض في وصف الشخصية قد يكون معناه أنه ربما حدث خطأ أثناء نقل الروايات وأن بطل قصة الطوفان قد يكون جد نوح واسمه

بالعبرية أينوخ وبالعربية نوح وأن هناك احتمالا أن التشابه في العبرية بين اسمي نوح وآينوخ قد يكون سببا رئيسيا في هذا التناقض.

تشير الأبحاث الجيولوجية واستنادا إلى دراسة المتحجرات وطبقات علم الأرض أن هناك دلائل على حدوث فيضان في منطقة الشرق الأوسط في العصور القديمة ولكن الأبحاث لم تؤكد المعتقد الديني السائد أن الطوفان المذكور قد شمل جميع أصقاع الأرض.

وتشير دراسات من جامعة كولومبيا في الولايات المتحدة أن البحر الأسود كان عبارة عن بحيرة في العصر الجليدي وأن درجة حرارة الأرض بدأت بالارتفاع قبل حوالي ١٢,٠٠٠ عام وبدأت الكتل الجليدية بالذوبان، وأنه قبل ما يقارب ٧٠٠٠ عام حدث امتداد لمياه البحر المتوسط وحدث طوفان باتجاه تركيا وكانت قوة الطوفان معادلة لما يقارب ٢٠٠ مرة قوة شلالات نياجارا.

تشير دراسة المتحجرات إلى حدوث سلسلة من الفيضانات بين عامي ٤٠٠٠ إلى ٢٠٠٠ قبل الميلاد في ما كانت تسمى سابقا بلاد ما بين النهرين والتي كانت تشمل الأرض الواقعة بين نهري دجلة والفرات بما فيها أراضٍ تقع الآن في سوريا وتركيا والعراق وأنه من المحتمل جدا أن يكون قصة الطوفان قد نشأت من إحدى هذه الفيضانات وتركت آثاراً واضحة في كتابات وأساطير ومعتقدات هذه المنطقة في الشرق الأوسط.

يصور العهد الجديد من الكتاب المقدس نوحاً كشخصية قريبة ومطيعة للخالق الأعظم ويضعه إنجيل مرقس في نفس منزلة إبراهيم ويعقوب، ويتكرر في العهد الجديد الفكرة القديمة بأن بناء السفينة استغرق ١٢٠ عاما كان نوح أثناءها يحاول إقناع الناس باتباع ما أمر به الخالق الأعظم.

في الكتابات المسيحية التي كتبت في القرن الثالث بعد الميلاد من قبل أوريليس أوغسطين (٣٥٤ - ٤٣٠) تم إعطاء أهمية دينية كبيرة لسفينة نوح حيث تم اعتباره رمزا للخلاص من خلال تشبيه السفينة بالكنيسة.

في القرون الوسطى بدأ المسيحيون في كتاباتهم بالاقتناع بالتوزيع العرقي للأجناس البشرية الذي ورد ذكره في سفر التكوين وأضافوا إليه توزيعا طبقيا جديدا فكان الاعتقاد السائد أن رجال الدين والقديسين ينحدرون من سلالة سام والفرسان ينحدرون من سلالة يافث والفقراء ينحدرون من سلالة حام.

ويرى المحللون أن في هذا تكرارا لفكرة لعنة حام والتي يعتبرها البعض أول تقسيم عنصري مستند على الدين والتي من المحتمل أنها لعبت دورا في النظرة التي نشأت وما زالت قائمة إلى حد ما على الأفريقيين وأصحاب البشرة السوداء ووصل الأمر في عام ١٩٦٤ إلى السيناتور الأمريكي روبرت بيرد Byrd Robert من فرجينيا الغربية أن يستخدم قصة نوح كمبرر لإبقاء سياسة التمييز العنصري في الولايات المتحدة[1].

١- كان بيرد أكبر المعمرين في مجلس الشيوخ وقد كان (سيناتور) منذ ١٩٥٩ ورفض بيرد في عام ١٩٩١ ترشيح قاضيتين من أصول أفريقية أمريكية للمحكمة العليا في الولايات المتحدة ورفض بيرد في عام ٢٠٠٤ ترشيح كوندوليزا رايس لمنصب وزيرة الخارجية وقد توفي عام ٢٠١٠م. (موسوعة ويكيبيديا على شبكة الإنترنت).

معنى اسم نوح عليه السلام

لكل اسم له معنى ومغزى وأصل في اللغة والتاريخ.

واسم نوح عليه السلام من معنى «الإناخة» كما جاء في تاج العروس بمعنى الإقامة، وجاء في اللسان وتهذيب اللغة للأزهري وفي المعجم الوسيط بمعنى «النوخة» أي الإقامة والمكوث في الأرض وذلك لطول لبث نوح عليه السلام في الأرض وفي قومه كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٤] .

ومدة لبث نوح في قومه يدعوهم إلى الله ألف عام إلا خمسين يعني أنه عاش أكثر من ذلك حيث أنه عاش قبل الطوفان وبعده أيضاً.

وقالوا إن القدماء زمن نوح لم يعرفوا حرف الخاء فلفظوها «حاء» فنطق «نوح» بدلاً من «نوخ».

جاء في المعجم الوسيط: «أناخ» بالمكان أقام ويقال أناخ به البلاء والذل حل به ولزمه والجمل أبركه، ويقال أناخ بفلان حاجته أنزلها به وشكاها إليه.

والمناخ مبرك الإبل ومحل الإقامة، يقال هذا مناخ سوء أي مكان غير مُرْضٍ.

جاء بالمسند رسم «م ن خ ت» بمعنى مأخذ ومحبس ماء أي سد مائى لأن الماء يقيم ويبقى.

واشتق اسم نوح حسب النص النوراني العبري من جذر «نحم» ويعني «عزّي» أي تعزية حسب قاموس الكتاب المقدس.

وفي المعجم اللاهوت الكتابي: نوح إن كان التفسير الشعبي يربط اسم نوح «بالعبرية نواح» بالجذر نواح «عزي» وكمل في ذلك إشارة إلى نوح غارس الكروم

«شجر العنب». «سفر التكوين ٩: ٢٠» الذي يعزي بخمرته الناس وسط متاعب ومشقة أعمالهم (٥: ٢٩).

وقيل إن تعزية نوح تنشأ من الكلمات التي تعهد بها الله بعد الطوفان أن لا يعود يلعن الأرض مرة أخري «٨: ١٢».

ولعل جذر كلمة «نحم» العبري أو المصري القديم هو نفسه «نحم» العربي أو أنهما من أصل واحد. فقد جاء في الصحاح للجوهري «النحيم»: الزحير والتَنَحنُحُ، وقد نَحمَ الرجل نَحِمُ فهو «نَحَّامٌ».

ونحن بالعربية هو نفسه نهم ونأم، وفي الصحاح للجوهري: ونهم ينهم بالكسر نهيماً: لغة في نحم ينحم أي زَحَر.

و «النهيم» مثل النحيم ومثل النئيم وهو صوت الأسد والفيل.

يقال: نُهم الفيل ينهم نهماً ونهيماً.

والنهم والنهيم: صَوتٌ وتَوَعُّدٌ وزَجْرٌ وقد نهمُ يَنْهَمُ.

وفي سفر التكوين بالعهد القديم: «سماه نوحاً قائلاً: هذا يُعزِّينا عن أعمالنا ومشقة أيدينا في الأرض التي لعنها الرب» «٥: ٢٩».

وقال مقاتل: وتفسير نوح لأنه ناح في قومه، وفي عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني الحنفي: وسمى نوحاً لكثرة نوحه وبكائه وقيل إن الله تعالى أوحى إليه لِمَ تنوح ؟ ولكثرة بكائه فسمى نوحاً.

وعند القرطبي في تفسيره: وسمي نوح نوحاً لأنه ناح على قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله تعالى فإذا كفروا بكى وناح عليهم.

وذكر القشيري أبو القاسم عبد الكريم في كتابه: يروى أن نوحاً عليه السلام كان اسمه يشكر ولكن لكثرة بكائه على خطيئته أوحى الله إليه يا نوح لم تنوح فسمى نوحاً.

وقال يزيد الرقاشي: إنما سمى نوحاً لطول ما ناح على نفسه.

وفي الإتقان للسيوطي: ولقبه نوح لكثرة نوحه على نفسه في طاعة ربه كما أخرجه ابن أبي حاتم عن يزيد الرقاشي.

وفي تاج العروس: إن نوحاً لقبه لكثرة نوحه وبكائه على ذنبه.

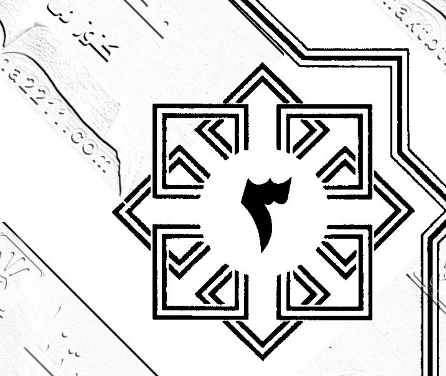
وكذلك قال ابن الجوزي في زاد المسير وزاد وفي سبب نوحه خمسة أقوال أحدها أنه كان ينوح على نفسه قاله يزيد الرقاشي والثاني أنه كان ينوح لمعاصي أهله وقومه، والثالث لمراجعته ربه في ولده، والرابع لدعائه على قومه بالهلاك والخامس أنه مر بكلب مجذوم فقال: اخسأ يا قبيح، فأوحى الله إليه أعبتني يا نوح أم عبت الكلب.

ولعل هذا المعنى والتفسير لاسم نوح أقرب، أما إذا كان أصل الكلمة بالخاء أي «نوخ» فهي كما ذكرنا تعني مكثه في قومه ألف عام إلا خمسين والله أعلم.

وهناك كتاب من أصل أرامي منحول لدى أهل الكتاب اسمه «أنيوخ»، وفيه نص ترجمته: «فإن الطفل الذي ولد سيحفظ.. فأعطه اسم نوح لأنه ما سيبقى معك». كلمة «سيبقى» تفيد معني نوح بالعربية والتي تعرف بنوح في العربية وجاء أيضاً بمعنى سيدوم نسله عبر القرون.

وفي قاموس الكتاب المقدس: «يا نوح» اسم عبري معناه راحة وهدوء، وهي مدينة في نفتالي احتلها فلاشر ملك أشور (٢ مل ١٥: ٢٩) ويظن أنها «يانوح» الحالية في قرب نفتالي الغربي على بعد ستة أميال ونصف جنوب شرق مدينة صور اللبنانية.

و«يانوح» مدينة على حدود أفرايم وقيل إنها يانون على بعد سبعة أميال إلى الجنوب الشرقي من شكيم.



نوح عليه السلام في قومه

- نوح عليه السلام مع قومه.
- أرض قوم نوح وأوصافها وتحديد مكانها.
- نوح والسفينة والطوفان.
- رأي العلماء المعاصرين في حجم سفينة نوح عليه السلام.

نوح عليه السلام مع قومه

قوم نوح هم أول من عبد الأصنام؛ إذ ضلَّ الناس سبيل الحق وابتعدوا عن سُبُل الهداية وغالوا في دينهم وخرجوا عن الحد الذي أمرنا به الله، فصنعوا تماثيل لصلحائهم كنصب تذكارية كما نفعل في زماننا وهذا هو منشأ عبادة الأصنام، يتذكَّرونهم ويذكروا الأيام التي قضوها برفقتهم ليعيشوا بأحوال ماضية جميلة كانت بالنسبة لهم إذ كانوا يقبلون على الله برفقة هؤلاء الصلحاء.

وتقادم الزمان ونَسُوا أولئك الرجال الصالحين، فاقتصروا على تلك الأصنام وعكفوا عليها تقليداً أعمى واقتفاءً لأثر الآباء والأجداد على غير هدى ولا نور فظنوا أن لها حولاً وقوة وبذلك لم يسمعوا من الرسل واتَّجهوا للحجارة وانقطعت نفوسهم عن الله ووقعوا فيما وقعوا فيه من الشرك والبعد عن الله فاتَّخذوا تلك الأصنام آلهة يعبدونها من دون الله، هؤلاء هم قوم نوح عليه السلام.

وأشهر أصنامهم: (وَدّ): الذي يزعمون أنه يُنشئ علائق المودة بين الناس وهو حجر.

(سواعُ): الذي يدَّعون أنه يساعدهم والساعي في خيرهم وسعادتهم.

(يغوثُ): من يغوثهم في الشدائد والصعاب.

(يعوق): من يعوق عنهم المصائب والشرور.

(نسر): وهو أكبر هذه الإلهة وزعيمها ونسوا أن الله هو الذي بيده مقاليد السموات والأرض وهو الذي يسيِّر الدماء في أجهزتنا وسمعنا وأبصارنا لأنهم لم يطيعوا رسلهم، ولا الله تعالى الذي بيده نواصينا والخير المطلق منه وهو تعالى الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء.

وقد دعا نوح قومه ليلاً ونهاراً إلى الله وعبادته سرّاً وعلانية وقضى معهم في دعوتهم إلى الله ٩٥٠ سنة آمن معه قليل ونجوا بالسفينة ويُقال إن تعداد الناجين المؤمنين سبعة

عشر شخصاً وهلك الباقون بالطوفان لأنهم ما سمعوا من سيدنا نوح ولم يشاهدوا ربهم ولا الآخرة وما تذكَّروا عهدهم مع الله في الأزل، والذين نجوا كانوا آباءنا، آباء البشرية جميعاً.

وقد أطلق بعض المفسرين على قوم نوح عليه السلام اسم «بني راسب» فقد ذكر ابن كثير من قصص الأنبياء ذلك نقلاً عن ابن جبير وغيره.

وقد ذكر القرآن الكريم قصص الأقوام السابقة من بعد آدم عليه السلام منهم ثمانية أقوام قوم نوح، وقوم عاد، وقوم ثمود، وقوم لوط، وقصة أصحاب مدين، وقصة سبأ وأصحاب الرس وقوم تبع، وكان قوم نوح هم أول من أشرك بالله وعبد الأصنام، وهم أول من أفسد في الأرض وفسقوا عن أمر ربهم، قال تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَسِقِينَ ﴾ [الذاريات: ٤٦].

وقال أيضاً: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴾ [النجم: ٥٢].

وقال: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴾ [الحديد:٢٦].

قبل أن يولد قوم نوح عاش خمسة رجال صالحين من أجداد قوم نوح، عاشوا زمنا ثم ماتوا، كانت أسماء الرجال الخمسة هي: (ودٌّ، سُواع، يغوث، يعوق، نسرا). بعد موتهم صنع الناس لهم تماثيل في مجال الذكرى والتكريم، ومضى الوقت.. ومات الذين نحتوا التماثيل.. وجاء أبناؤهم.. ومات الأبناء وجاء أبناء الأبناء.. ثم نسجت قصص وحكايات حول التماثيل تعزو لها قوة خاصة.. واستغل إبليس الفرصة، وأوهم الناس أن هذه تماثيل آلهة تملك النفع وتقدر على الضرر.. وبدأ الناس يعبدون هذه التماثيل.

قال تعالى: ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا

سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [نوح: ٢١ - ٢٥].

ويذكر القرطبي أن زوجة نوح تدعى «والغة» وهي أول من أطلق على زوجها لقب «المجنون» الذي ذكره القرآن والتوراة ولم تكتف بأن أصبحت تناديه في مسكنهم بهذا الاسم بل نشرته عند جميع قبيلتها والقبائل المجاورة، كانت تنظر إليه دائماً باستحقار بسبب دعوته الجديدة وسألته ذات مساء: يا نوح متى ينصرك ربك هذا؟.

فقال عليه السلام: إذا فار التنور.

فرنت ضحكتها بتهكم وخرجت لنادي قومها وقالت: ألم أقل لكم إنه مجنون !!

وجعلت لنفسها وظيفة سيئة بأن وشت بكل من اتبع زوجها وأخذت ترصد كل داخل وخارج على نوح وذهبت إلى قومها بكل المعلومات ليقوموا بصده وإعادته وإن لم يستجب بتعذيبه وقتله.

وقامت برد ابنها «ريام - كنعان -» عن الحق بترك الدعوة وقامت بنصحه واستجاب لها، وطالما سمع جُمل التهكم والاستهزاء كلما مرت عليه وهو يبني السفينة، وعندما فار التنور وصعد نوح والثمانون الناجون وأنواع من الحيوانات والنباتات وزوجته وابنه جرفهما الطوفان وأغرقهما مع بقيه القوم.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ

وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [نوح: ١ - ٢٠].

لقد كان نوح عليه السلام وكل الأنبياء مؤمنين بالله تعالى قبل بعثتهم فكان نوح على الفطرة مؤمناً بالله تعالى قبل بعثته إلى الناس، وكان كثير الشكر لله عزّ وجلّ، فاختاره الله لحمل الرسالة فخرج على قومه وبدأ دعوته يقول تعالى:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: ٥٩].

بهذه الجملة المعجزة وضع نوح قومه أمام حقيقة الإلوهية.. وحقيقة البعث وأن هناك إلهاً خالقاً وهو وحده الذي يستحق العبادة.. وهناك موت ثم بعث ثم يوم للقيامة يوم عظيم، فيه عذاب عظيم.

شرح «نوح» لقومه أنه يستحيل أن يكون هناك غير إله واحد هو الخالق، وأعلمهم أن الشيطان قد خدعهم زمنا طويلا، وأن الوقت قد جاء ليتوقف هذا الخداع،

في البداية اتهموا نوحاً بأنه بشر مثلهم وبالتالي ليس له التمييز عليهم: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا ﴾ [هود: ٢٧] .

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ

أن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ٢٣ - ٢٧].

لقد أكد أنه مجرد بشر وأن الله أرسله إليهم رسولاً فهو بشر والأرض يسكنها البشر، ولو كانت الأرض تسكنها الملائكة لأرسل الله رسولاً من الملائكة واستمر نوح عليه السلام يدعو قومه لعبادة الله الواحد الأحد ألف سنة إلا خمسين.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [العنكبوت: ١٤ - ١٥].

في البداية، تصور الكفرة يومها أن دعوة نوح لا تلبث أن تنطفئ وحدها، فلما وجدوا الدعوة تجتذب الفقراء والضعفاء وأهل الصناعات البسيطة بدءوا الهجوم على نوح من هذه الناحية هاجموه في أتباعه، وقالوا له: لم يتبعك غير الفقراء والضعفاء والأراذل.

هكذا اندلع الصراع بين نوح ورؤساء قومه. ولجأ الذين كفروا إلى المساومة، قالوا لنوح: اسمع يا نوح. إذا أردت أن نؤمن لك فاطرد الذين آمنوا بك ؛ إنهم ضعفاء وفقراء، ونحن سادة القوم وأغنياؤهم.. ويستحيل أن تضمنا دعوة واحدة مع هؤلاء.

واستمع نوح إلى كفار قومه وأدرك أنهم يعاندون، ورغم ذلك كان طيبا في رده. أفهم قومه أنه لا يستطيع أن يطرد المؤمنين، لأنهم أولا ليسوا ضيوفه، إنما هم ضيوف الله.. وليست الرحمة بيته الذي يدخل فيه من يشاء أو يطرد منه من يشاء، إنما الرحمة بيت الله الذي يستقبل فيه من يشاء.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٢٣ - ٣٠].

قال لهم إن الله قد آتاه الرسالة والنبوة والرحمة. ولم يروا هم ما آتاه الله، وهو بالتالي لا يجبرهم على الإيمان برسالته وهم كارهون. إن كلمة لا إله إلا الله لا تفرض على أحد من البشر، أفهمهم أنه لا يطلب منهم مقابلا لدعوته، لا يطلب منهم مالا فيثقل عليهم، إن أجره إلا على الله، هو الذي يعطيه ثوابه .. أفهمهم أنه لا يستطيع أن يطرد الذين آمنوا بالله، وأن له حدوده كنبي مرسل من الله. وحدوده لا تعطيه حق طرد المؤمنين لسببين: أنهم سيلقون الله مؤمنين به فكيف يطرد مؤمنا بالله؟ ثم أنه لو طردهم لخاصموه عند الله، ويجازي من طردهم، فمن الذي ينصر نوحا من الله لو طردهم؟ وهكذا انتهى نوح إلى أن مطالبة قومه له بطرد المؤمنين جهل منهم.

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ

يَـٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الشعراء: ١٠٥ - ١٢٢].

وعاد نوح يقول لهم إنه لا يدعى لنفسه أكثر مما له من حق، وأخبرهم بتذلله وتواضعه لله عز وجل، فهو لا يدعي لنفسه ما ليس له من خزائن الله، وهي إنعامه على من يشاء من عباده، وهو لا يعلم الغيب، لأن الغيب علم اختص الله تعالى وحده به. أخبرهم أيضا أنه ليس ملكا، بمعنى أن منزلته ليست كمنزلة الملائكة.

قال لهم نوح: إن الذين تزدري أعينكم وتحتقر وتستثقل.. إن هؤلاء المؤمنين الذي تحتقرونهم لن تبطل أجورهم وتضيع لاحتقاركم لهم، الله أعلم بما في أنفسهم. هو الذي يجازيهم عليه ويؤاخذهم به.. أظلم نفسي لو قلت إن الله لن يؤتيهم خيرا.

وسئم الملأ يومها من هذا الجدل الذي يجادله نوح، وحكى الله موقفهم منه في سورة هود : ﴿ قَالُوا۟ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [هود: ٣٢ - ٣٤].

أضاف نوح إغواءهم إلى الله تعالى. تسليما بأن الله هو الفاعل في كل حال. غير أنهم استحقوا الضلال بموقفهم الاختياري وملء حريتهم وكامل إرادتهم.. فالإنسان صانع لأفعاله ولكنه محتاج في صدورها عنه إلى ربه. والله أعلم بما يفعلون ، بهذه النظرة يستقيم معنى مساءلة الإنسان عن أفعاله. كل ما في الأمر أن الله ييسر كل مخلوق لما خلق له، سواء أكان التيسير إلى الخير أم إلى الشر.. وهذا من تمام الحرية وكمالها. يختار الإنسان بحريته فييسر له الله تعالى طريق ما اختاره. اختار كفار قوم نوح طريق الغواية فيسره الله لهم.

وتستمر المعركة، وتطول المناقشة بين الكافرين من قوم نوح وبينه إذا انهارت كل حجج الكافرين ولم يعد لديهم ما يقال، بدءوا يخرجون عن حدود الأدب ويشتمون نبي الله:

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأعراف: ٦٠].

ورد عليهم نوح بأدب الأنبياء العظيم:

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأعراف: ٦١-٦٢].

ويستمر نوح في دعوة قومه إلى الله. ليلاً ونهاراً. ويوما بعد يوم، وعاما بعد عام، ومرت الأعوام ونوح يدعو قومه. كان يدعوهم ليلا ونهارا، وسرا وجهرا، يضرب لهم الأمثال، ويشرح لهم الآيات ويبين لهم قدرة الله في الكائنات، وكلما دعاهم إلى الله فروا منه، وكلما دعاهم ليغفر الله لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستكبروا عن سماع الحق، واستمر نوح يدعو قومه إلى الله ألف سنة إلا خمسين عاما. كما قال تعالى في سورة العنكبوت آية ١٤.

وأخبر الحق جل وعلا نوحاً أنه لن يؤمن له إلا من قد آمن فلا تحزن لذلك.

قال تعالى: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [هود: ٣٦ - ٣٩].

ودعا نوح على الكافرين من قومه بالهلاك:

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦].

وبرر نوح دعوته بقوله:

﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح: ٢٧].

ثم جاء عذاب الله وهلاكه لهم بالطوفان العظيم. قال تعالى: ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ۝ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ۝ ﴾ [القمر: ١١-١٣]. فكان الطوفان العظيم إذ فتحت أبواب السماء بماء منهمر لم ينقطع أربعين يوماً.

لقد كاد نوح أن ييأس من قومه ولكن الله كان يثبته على الحق، فكان يحاول معهم أن يرشدهم إلى الطريق الصحيح، ولكنهم كانوا يصرّون على طغيانهم وكفرهم بالله تعالى. وكان يخبرهم بأنه لا يريد منهم أي أجر. وبعد ذلك توجّه سيدنا نوح عليه السلام إلى ربّه يخاطبه وهو أعلم به: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝ ﴾ [نوح: ٥-٧].

هكذا استخدم نوح عليه السلام أساليب متنوعة في الدعوة إلى الله، فقد كان يذكرهم بنعم الله عليهم، ويذكّرهم بفضل الله تعالى وأنه أعطاهم القوة والصحّة والعقل ورزقهم الطعام والشراب، ولكنهم لم يستجيبوا له، ولم يشكروا الله تعالى على نعمه، وظل يدعوهم ليلاً ونهاراً علانية وإسراراً.

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝ ﴾.

ومما يستفاد من قصة نوح عليه السلام في دعوته لقومه أنه دعاهم إلى لزوم الاستغفار وكيف أن للاستغفار فوائد عديدة، كما قال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ

وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح: ١٠ - ١٢] وهذا يدل على أنه من يستغفر الله فإن الله سيعطيه أشياء كثيرة منها:

١ - إن الله تعالى سيغفر له ذنوبه.

٢ - سوف يرزقه الله المطر لكي ينبت الزرع والثمار والنبات.

٣- سوف يرزقه الله أموالاً كثيرة.

٤ - سوف يعطيه الأولاد أيضاً.

٥ - سوف يرزقه الله تعالى البساتين والأنهار والماء.

وكذلك خص نبينا ﷺ لزوم الاستغفار والتوبة لله عز وجل[1].

لقد استخدم نوح مع قومه أسلوباً علميًّا في دعوته إلى الله تبارك وتعالى، فقد كان يأمرهم بالنظر إلى السماوات من فوقهم، ويأمرهم أن يتأمّلوا الشمس كيف تضيء

---

١ - عن النبي ﷺ قال سيد الاستغفار أن تقول اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعتُ أبوء لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت قال من قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة (من صحيح البخاري).

وقال «إنه ليغان على قلبي وإني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة» صحيح مسلم.

ويقول: «ما من رجل يذنب ذنباً ثم يقوم فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر الله إلا غفر الله له ثم قرأ هذه الآية والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم إلى آخر الآية» سنن الترمذي.

قال: «من قال حين يأوي إلى فراشه أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر وإن كانت عدد ورق الشجر وإن كانت عدد رمل عالج وإن كانت عدد أيام الدنيا» قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث الوصافي عبيد الله بن الوليد. (سنن الترمذي).

وقال رسول الله ﷺ «ما أصر من استغفر ولو فعله في اليوم سبعين مرة» سنن الترمذي.

وقال رسول الله ﷺ إن الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول أنَّى هذا فيقال باستغفار ولدك لك» سنن ابن ماجه.

وقال «إن الشيطان قال: وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، قال الربُّ: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني».

وتبث الحرارة، ويأمرهم أن ينظروا إلى القمر كيف ينير في الليل. ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾ [نوح: ١٥-١٦].

نوح عليه السلام والسفينة:

لقد دعا نوح ربه أن ينصره على قومه لأنهم كفروا وكذبوا بالله ولم يؤمنوا به، ولذلك استجاب الله دعاء سيدنا نوح وأوحى الله إلى نوح أن يصنع السفينة، كي يُغرق هؤلاء الكفار، ويعاقبهم على كفرهم بالله وعدم طاعتهم لنبيّه نوح. فيأمر سيدنا نوحاً أن يصنع السفينة،: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [هود: ٣٦-٣٧].

بدأ سيدنا نوح عليه السلام بجمع قطع الخشب ليصنع السفينة، ولم يكن هناك بحر في البلدة التي كان فيها نوح، فقال له قومه وهم يستهزئون به ويضحكون عليه: ﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [هود: ٣٨-٣٩].

وهذا دليل على أن نوحاً عليه السلام لم يكن في قوم يعرفون الإبحار والبحار وبناء السفن بالتالي، فكان بناء السفينة بناء على وحي من الله.

﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ [هود: ٣٧].

ويعطي الله لسيدنا نوح علامة مميزة عندها يبدأ بالركوب بالسفينة هو والمؤمنون معه، وهذه العلامة هي أن يفور التنور أي يمتلئ بالماء، وهذا دليل على أن الأرض ستمتلئ بالينابيع، وهذا ما حدثنا عنه القرآن العظيم، حيث أمر الله سيدنا نوحاً أن ينتظر حتى يفور التنور بالماء، والتنور هو حفرة كانت تُصنع ويوضع فيها الخشب الذي

يحترق ويستخدمونه لطبخ الطعام والخبز واللحم. ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود: ٤٠].

وقيل إن السفينة التي بناها نوح كانت كبيرة لم تعرفها البشرية حينها فكان طولها ثمانين ذراعاً وقيل ألفاً أو ألفي ذراع وغير ذلك وأن خشبها من شجر الساج أو خشب الصنوبر.

وكان نوح يزرع الشجر وينتظر نموه مئة سنة وينشره مئة أخرى أو أربعين سنة، وقد أمر أن يطلى باطنها وظاهرها بالقار، وجعل منها ثلاثة طوابق، جعل الأرضي منها للحيوانات والوحوش، وثانيها لبني الإنسان وأعلاها للطيور، وكان لها سقف مطبق عليها. وأوحي لنوح بأن علامة بدأ الطوفان هو مجيء أمر الله بفوران التنور، وقيل بأنه حدوث بركان في المنطقة، وفي تفسير آخر فوران تنور نوح وهو التنور الذي ورثه من حواء، أو فوران الماء على سطح الأرض، وقيل طلوع نور الفجر وقيل غير ذلك.

ولما تحققت العلامة أُمر نوح بأن يحمل في متن السفينة من كل دواب الأرض زوجين وأهله ومن آمن معه وكان عددهم قليلاً. ولم تكن زوجة نوح مؤمنة به فلم تصعد، وكان أحد أبنائه يخفي عصيانه ويبدي الإيمان أمام نوح، فلم يصعد هو الآخر وكذلك كانت أغلبية الناس غير مؤمنة هي الأخرى، فلم تصعد. وصعد المؤمنون. قال ابن عباس: «آمن من قوم نوح ثمانون إنسانا».

فبدأ بالتحميل في السفينة، وكان معه حوالي الثمانين من الرجال معهم نساؤهم، وانفجرت الأرض عيونا وهطلت السماء وارتفع الماء حاملا السفينة وهي تجري بهم في موج كالجبال مائة وخمسين يوما وهلك الباقون ولم يبقِ الله على الأرض من الكفرين ديارا، فأرسل نوح الحمامة فمرغت رجليها في الطين وحملت إليه غصن زيتون، فلما رأى ذلك علم أن الماء قد انحسر، وهذا ما ذكره ابن عباس.

لقد أمر الله السماء أن تنزّل الأمطار الغزيرة، وأمر الأرض أن تتشقق فينبع منها الماء، وحدث الطوفان الذي سيُغرق كل كافر بالله تعالى، ولذلك يصف الله لنا هذه الصورة بقوله: ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝ ﴾ [القمر: ١١-١٢].

وهناك أمر في غاية الأهمية في قصة نوح عليه السلام وهو أن أحد أبناء نوح عليه السلام لم يؤمن برسالته ورفض الصعود إلى سفينة النجاة كما يقول المثل العامي «يخرج من ظهر العالم فاسق» وأيضاً لم تؤمن زوجة نوح به ولحقت بالكافرين من قومها وكانت عوناً عليه، وهذه مشيئة الله تعالى.

فقد كان ابن نوح لا يسمع نداء أبيه وكان يصاحب الكفار ويمشي معهم، ولا يستمع إلى كلام أبيه نوح ولذلك فقد كان كافراً. وقد دعاه أبوه إلى الركوب في السفينة ولكنه رفض وذهب مع أصدقائه الكفار وترك أباه، وحتى بعدما بدأ الطوفان دعاه نوح إلى الركوب في السفينة ولكنه استمرّ في رفضه. قال تعالى: ﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ۝ ﴾ [هود: ٤٢-٤٣].

هكذا كان الحوار بين الأب وابنه العاق له وإصراره على اللحاق بالقوم الكافرين رغم بدء الطوفان وهو يظن أنه ناج بالصعود فوق قمة الجبال فكان من الهالكين.

وحين توقف المطر وتوقفت الينابيع، وتوقف الطوفان، وبدأت الأرض ابتلاع الماء وبدأت السفينة ترسو فوق جبل اسمه «جبل الجودي»: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ٤٤].

وكان هلاك ابن نوح وحزن نوح عليه وعلى هلاكه ولحوقه بالقوم الكافرين.

وبعد انتهاء الطوفان يحنّ نوح عليه السلام لابنه الذي غرق في هذا الطوفان. ويحاول أن يطلب من الله تعالى أن يغفر لابنه وألا يدخله النار. ويحدثنا القرآن عن قول سيدنا نوح عليه السلام: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴾ [هود: ٤٥]، ولكن الله عز وجل يخبر نوحاً عليه السلام أن ابنه العاق الكافر ولد غير صالح.. وعلي الفور يستغفر نوح ربّه ويسال الله تعالي إلا يجعلَه من الجاهلين. ﴿ قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ [هود: ٤٦]. وهكذا يشعر سيدنا نوح بأنه سال الله شيئاً لا يحقّ له أن يسأله، فيستغفر ربّه قائلاً: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [هود: ٤٧].

ومن جملة القصة نرى أن قوم نوح كانوا يسكنون بلدة جبال شاهقة ولا تطل على البحر ولا تعرف بناء السفن والله أعلم.

وكان خروج نوح من السفينة في يوم عاشوراء العاشر من المحرم للحديث الذي رواه أبو هريرة وقال فيه «مر النبي ﷺ بأناس من اليهود حين هاجر للمدينة المنورة - وقد صاموا يوم عاشوراء فقال: ما هذا الصوم؟

فقالوا: هذا اليوم الذي نجى الله فيه موسى وبني إسرائيل من الغرق، وغرق فيه فرعون، وهذا اليوم الذي استقرت فيه السفينة على الجودي فصامه نوح وموسى شكراً لله عز وجل.

فقال النبي ﷺ: «أنا أحق بموسى وأحق بصوم هذا اليوم».

أرض قوم نوح وأوصافها وتحديد مكانها

حكى لنا المولى عز وجل ما جرى بين نوح عليه السلام وقومه وكيف أن نوحاً ظل يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ولم يزيدهم هذا إلا إصراراً على الكفر والعناد وأصروا على عبادتهم للأصنام التي صنعها آباؤهم.

لقد أراد نوح هدايتهم، لم يطلب منهم أجراً أو مالاً، فقال لهم: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٧٢]. ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [هود: ٢٩].

ولأن نوحاً عليه السلام قريب عهد بآدم عليه السلام كما ذكرنا فيكون قومه هم أهل الأرض في ذلك الوقت، ولهذا دعا ربه ألا يجعل على الأرض من هؤلاء الكفار أحداً، وقد سماهم بعض المؤرخين بني راسب وكانوا من العماليق فقد كان طول آدم عليه السلام ستين ذراعاً كما جاء في الحديث النبوي الصحيح[1].

واختلفوا في موطن نبي الله نوح عليه السلام، أين عاش هو وقومه وإن كان الشائع أنهم عاشوا في بلاد بابل «العراق حالياً»، لكن هذا الأمر غير مقطوع به.

عن عكرمة عن ابن عباس أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ [هود: ٤٠]، قال بأرض الهند، أي كان ذلك بأرض الهند، فالهند على هذه الرواية موطن نبي الله نوح عليه السلام.

وفي رواية عن مجاهد والشعبي أن التنور كان بناحية الكوفة، والمعروف أن بابل هي أقدم مدينة في ذلك الموضع، ومثل هذا القول في بعض كتب العهد القديم، ومؤرخو الفرس يذكرون أن نوحاً كان ببابل، مع أن بابل ما كانت إلا بعد نوح بزمن.

---

١ - اقرأ كتابنا أبونا آدم عليه السلام - الناشر دار الكتاب العربي.

وبعض المجوس ينكر الطوفان لأنهم يزعمون أن الفرس كانوا قبل نوح عليه السلام، وأنهم لم يصبهم الطوفان، وبعضهم يرى أن الطوفان كان ببابل دون سائر الأرض.

وفي أساطير الهند عن الطوفان، أن مانو كان يغسل يديه على شاطئ البحر إذ وقعت سمكةِ في يده، وأدهشه أنها كلمته وطلبت إنقاذها من الهلاك، ووعدته أن تنقذه، ثم إنها أنبأته بخبر الطوفان، فجعلها في مرتبان بانتظار الموعد، فلما كبرت ألقاها في البحر، وحين بدأ الطوفان ربط السفينة في قرنها، وبذلك كانت نجاته ومن معه في الفلك، وهم يقدسون مانو ويعتبرون أباً للبشرية.

وهناك من يرى أن نوحاً وقومه عاشوا بالطائف بالجزيرة العربية، روى ابن شبة في تاريخ المدينة عن خبر تنازع مراد وثقيف في وج أحد أودية الطائف، على يد رسول الله ﷺ، ذلك أن وفد مراد لما قدم المدينة معلناً إسلامهم، قام خطيبهم ظبيان بن كدادة المرادي، فخطب خطبة، بدأها بذكر مسيرهم من الجوف باليمن، ثم استعرض حجته عن أحقيتهم بوج من ثقيف، حتى قوله: إن وجاً وشرفات الطائف كانت لبني مهلائيل بن قينان «قوم نوح»، غرسوا وديانه، وذللوا خشانه، ورعوا قريانه، فلما عصوا الرحمن، هب عليهم الطوفان، فلم يبق منهم على ظهر الأرض إلا من كان منهم على سفينة نوح.

عندما نتدبر الآيات التي جاء فيها ذكر نوح عليه السلام وقومه، نجد أنها تشير إلى أن الأرض كانت بحالة مختلفة (نوعا ما) عن الحالة التي عليها بعد الطوفان:

١- لم يكن نزول المطر بانتظام، ولم يكن بالكمية الكافية لتكون أراضيَ زراعية خصبة يستقر عليها الناس، ويستدل على ذلك من الآيات التي يبين فيها نوح عليه السلام لقومه فائدة الاستغفار: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝ ﴾ [نوح: ١٠-١٢][1].

١- نرى أن الأوصاف التي ذكرت عن قوم نوح تنطبق على أرض الطائف القريبة من مكة المكرمة وأهم تلك الإشارات أنها تعتمد على الزراعة فيا تعتمد على الأمطار والتي كان من دعاء نوح لقومه إنه دعاهم للاستغفار لنزول المطر، وكذلك وجود جبال في تلك المنطقة. =

وفي قوله: ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح: ٢٣]. فذكر -خمسة أصنام يدل على تعدد مناطق سكناهم! ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦].

= وقد كشفت وزارة الزراعة لـ«الشرق الأوسط»، عن تراجع الزراعة في مدينة الطائف الشهيرة بالفاكهة الموسمية نتيجة نقص المياه، مشيرة الى اقتصار الزراعة على الأماكن التي غطتها الأمطار جنوب المدينة.

وتعد فاكهة مزارع الطائف الموسمية من أشهر المنتجات التي تنتج في البلاد وتنتشر في مزارع الطائف، خاصة في الجنوب، ابتداءً من القريع ببني مالك ١٥٠ كلم، وحتى المويه شمالاً ٢٠٠ كلم.

وأكد المهندس حمود الطويرقي، مدير فرع وزارة الزراعة بالطائف، لـ«الشرق الأوسط»، أن الزراعة بشكل عام تأثرت، خاصة الخضار والفاكهة بسبب قلة الأمطار واقتصرت الزراعة على أماكن معينة غطتها الأمطار في الجنوب.

وهنا يشير عزام النمري، أحد الباحثين الزراعيين لـ«الشرق الأوسط»، إلى أن هناك فاكهة تعرضت للانقراض في محافظة الطائف مثل البخارى، حيث انخفض إنتاجها بنسبة ٩٠ في المائة، والمشمش بانخفاض ٦٣ في المائة، أما الرمان فانخفض بنسبة ١٧ في المائة، والسفرجل بنسبة ٨٠ في المائة، ليأتي موضوع الماء السبب الوجيه في هذا الانخفاض الحاد، بالإضافة إلى منسوب المياه وتلوثها وملوحتها وعزوف جيل عن الزراعة وحرفيتها.

وبالعودة إلى مدير الزراعة في الطائف يؤكد «أن الفاكهة تأثرت، لكن هذا لا يعني ندرة وجودها، فهي موجودة في جميع الأسواق، لكن يجب أن يوضع في الاعتبار أن مزارع العنب التي تشتهر بها بساتين جنوب الطائف، ٣٠ كلم، يؤتى بالمياه إليها من مسافات بعيدة، وهذا يعني صعوبة في النقل والتوصيل من أجل الحفاظ على الأشجار الموجودة فيها».

وأوضح المهندس حمود الطويرقي «أن المحافظة فعلا تعاني من قلة الأمطار ونقص المياه، وللمحافظة على الأشجار أصبح من الضروري جدا استبدال أساليب الري القديمة «الغمر» بأساليب الري الحديثة «التنقيط» في الري، فباستخدام هذه الطريقة يقل استهلاك المياه، وهذا ما تسعى له الوزارة من خلال التوجيهات المستمرة من وزير الزراعة لحث المزارعين على استبدال أساليب الري القديمة بالحديثة».

وأشار المهندس حمود الطويرقي إلى أن المديرية تسعى دائما من خلال الجولات الميدانية للمهندسين والفنيين واللقاءات والندوات لإقناع وحث المزارعين باستخدام الري الحديث في الزراعة وتوضيح الفوائد التي تعود عليهم من استخدام أساليب الري الحديثة، ونتمنى أن نصل إلى الزمان الذي يكون فيه جميع مزارعي المحافظة قد استبدلوا أساليب الري القديمة بالحديثة في الزراعة.

وأردف بالقول «إنه يوجد مصدر يمكن الاستفادة منه في الزراعة من خلال استخدام المياه المعالجة ثلاثيا في الزراعة. وعلى المزارعين أيضا الاستفادة من الدعم الذي تقدمه الدولة من خلال القروض الميسرة لمستخدمي الري الحديث في الزراعة عن طريق البنك الزراعي».

وقال الطويرقي «إن هناك دورات تثقيفية متعددة كانت قد عقدتها المديرية من أجل تعريف المزارعين بأهمية أساليب الري الحديثة «التنقيط»، وكيفية استخدامها بغية ديمومة هذه الزراعة وأهميتها».

ولا مقارنة بتجمع الأصنام. بمكة، لأن منزلة مكة في نفوس العرب سابقة لوجود هذه الأصنام، لذلك أكثروا من وجودها في مكة، وبعضها كان خارج مكة.

٢- تعرض الأرض لفترات متعاقبة من الجفاف يضطرهم إلى التنقل والترحال والهجرة والتفرق، ويفهم ذلك من الآيات السابقة في ذكرها للأسباب، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ ﴾ [هود: ٤٢]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ ﴾ [هود: ٣٨]، دلت الآية على تنقلهم جماعات جماعات.

٣- توفر الأشجار المعمرة التي لها القدرة على تحمل الجفاف مقارنة مع أشجار الفاكهة والأعشاب والمزروعات.. والتي صنع منها نوح عليه السلام السفينة التي حفظ فيها الجنس البشري وأنواع الحيوانات لحياة ما بعد الطوفان، فلم يأت ذكر بأنه لاقى مشقة في إحضار الأخشاب، وعمل الألواح أو الرحيل في طلبها.

٤- توفر أجناس الحيوانات بأنواعها في المنطقة التي عاش فيها نوح عليه السلام ويدل هذا على تشابه المناخ على سطح الأرض في ذلك الزمن لأن المعروف حاليا أن بعض الأنواع لا تعيش إلا في بيئات خاصة يندر وجودها في غيرها، وهذا لا ينفي عنها القدرة في العيش في غير مناطقها إذا اضطرت إلى ذلك، وقد يكون تجمعها في المنطقة التي يعيش فيها قوم نوح عليه السلام وأمثالها؛ بسبب سوء الأحوال التي عمت الأرض جميعًا.. و لم يأت في القرآن الكريم ذكر مشقة جمعها، أو الرحيل في طلبها، وذلك لعيشها القريب من نوح عليه السلام.

ولا بد من الإشارة أن «كل» لا تعني «الجميع»، وأن حمله كان من كل ما استطاع أن يحمله ووصلت إليه يده.

٥- لم يفتخر قوم نوح بقوتهم أو بكثرة أموالهم وأبنائهم وإنما كان كفرهم وفسقهم حالة خاصة بهم، كانوا لا يرجون ثوابا من الله ولا يخشون عقابا. قال تعالى:

قال تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [الذاريات: ٤٦].

قال تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴾ [النجم: ٥٢].

٦- دلت الحفريات والمتحجرات ومناجم الفحم أن مناخ المناطق الباردة حاليا كان استوائيا وعاشت فيها نباتات المناطق الحارة.. وهذا ينسجم مع الحالة التي كان يعيش فيها قوم نوح، مع ملاحظة أن تربة المناطق الاستوائية من أفقر أنواع التربة من الأملاح المعدنية، والمواد العضوية التي تخصب التربة، ولذلك لا تحتمل الجفاف طويلا وقلة الأمطار، ونتائجه فيها تكون فظيعة، ولا يعود سبب هذا المناخ الحار لرحيل خط الاستواء إليها ولكن لجو الأرض ووضعها السابق قبل الطوفان.

هذه حالة الأرض قبل الطوفان.. لا خصب يدوم.. ولا يستمر فيها جفاف.. يصحب ذلك كثرة تنقل أهلها وعدم استقرارهم.. وهذه الحالة.. أبعد ما تكون لصلاح الإنسان، أو تلبية حاجته إلى التمدن والتحضر، وإنشاء حضارات له وزيادة معرفته.. وفي مثل هذه الحالة لا يلجأ الإنسان فيها كثيرا إلى الله بالدعاء.. إذا قل خير أرض أو أجدبت؛ رحل إلى غيرها، وترك الدعاء.. لذلك لم يستقر بأرض، ولم يرتبط بمكان.

والخير والصلاح للإنسان أن لا يدوم عليه خير.. فيشك بالعذاب، ولا يطول عليه سوء فيتعوده ويقنط من الأجر والثواب.. فصلاح الإنسان أن يعيش بين اليأس والرجاء؛ ﴿ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

لذلك كانت استجابة قوم نوح عليه السلام استجابة ضعيفة على طول عهدة فيهم؛ ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود: ٤٠].

ووصلت استجابتهم إلى انعدام؛ ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ ﴾ [هود: ٣٦].

وكانت النتيجة دعاء نوح عليه السلام: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [نوح: ٢٦- ٢٧].

وإذا لم يحدث تغيير جوهري لحالة الأرض، ووضعها، ومناخها، فلن يكون هناك عبودية خالصة لله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

لذلك كان الطوفان.. وكان هذا التغيير في حالة الأرض.. ووضعت حياة الإنسان وعيشته بين يأس ورجاء.. وضع يتطلبه كمال العبودية لله.. وضع يحسس الإنسان بالحاجة إلى الله.. وضع يدفعه للتفكير في حياة حاضرة وماضية ومستقبل.. وضع جعله يعرف ويعرف ويطلب المزيد.

ولمعرفة أرض قوم نوح عليه السلام علينا التعرف عليها من خلال آيات القرآن الكريم التي ذكرت أرض قوم نوح عليه السلام.

فلم يكن موطن قوم نوح صحراء مترامية الأطراف منبسطة، ولا كان سهلاً فسيحاً خصيباً، ولا هو سبخة نشاشة لا ينبت مرعاها، ولا هو أرض ذات أنهار وجنات عن يمين وشمال، بل يمكن وصفه في أمرين لا ثالث لهما، إما سهل بين جبلين أو تحفه الجبال من جميع أو بعض جهاته، وهي على مقربة منه، بمسافة يقطعها الراكض الفزع قبل أن يدركه الهلاك، أو أن يكون أرضاً جبلية، ذات أودية وَوهاد وجبال شامخة، تمثل فيه الجبال لأهله المنعة والملجأ، وكانت حياة قوم نوح تقوم على ما تقوم عليه الحياة

المطرية، كالرعي وزراعة متواضعة، شأن الزراعة التي تقوم على المطر والسيول والآبار، وقد خلا ذلك الموطن من الأنهار.

وهذا الأمر يتضح في دعوة نوح لقومه بالاستغفار كي تنزل الأمطار في سورة نوح قال تعالى ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ۝١٢ ﴾ [نوح: ١٠-١٢].

فالإرسال يكون عادةً بعد حبس، ووعد نوح لقومه بإرسال السماء إن هم استغفروا ربهم، يدل على احتباس المطر عنهم أو أن أرضهم كانت قليلة المطر، والثانية أن ليس بأرضهم نهر أو أنهار، ولا جنات ذات بال، وليس بقربهم أرض ذات أنهار وجنات، يبلغونها بالسفر اليسير والجهد القليل فما كان الله ليمنيهم بما في أيديهم، ولا بما يبلغونه بيسير المشقة، فأرضهم بالتالي ليست أرض أنهار أو أمطار غزيرة

ويتضح لنا أن أرضهم ذات طبيعة جبلية ذات جبال شامخة، فمن قوله تعالى في سورة هود: ﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝٤٢ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ۝٤٣ ﴾ [هود: ٤٢-٤٣].

إن جبالهم كانت شاهقة، فحين كانت السفينة تجري في موج كالجبال قال ابن نوح لأبيه ﴿ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ﴾ فشموخ الجبال أوحى له بهذا القياس العقلي، فتوهم فيها النجاة والمنعة، وفي قول نوح عليه السلام - لا عاصم اليوم من أمر الله – تلميح إلى أن ما يراه من منعة الجبال لن يعصمه من أمر الله، لأن من وضع النواميس يملك وحده خرقها، وقول الابن (إلى جبل) أي أن هناك جبالاً كثيرة، ولو كان جبلاً واحداً لقال: سآوي إلى الجبل، وقرب الجبال من مساكنهم وكثرتها، لأن

ابن نوح أزمع الالتجاء إلى أحدها حال إحداق الخطر، وهذا يؤكد أن موطنهم أرض جبلية بلا شك.

وبالتالي فالقول بأن أرض نوح هي منطقة الكوفة بالعراق حالياً مثلاً لا تصح وأيضاً من يقول إنها أرض سواد الكوفة سهل لا جبال فيه، وما كانت حدائق بابل المعلقة إلاّ لهذا السبب، وجريان نهران عظيمان في ذلك السهل (دجلة والفرات) إلا إذا كان وجود النهرين مثلاً لاحقاً بعد الطوفان وهذا لم يقل به أحد كذلك عدم وجود الجبال الشاهقة أيضاً.

وكذلك لا يمكن أن تكون تلك الأرض بالهند لنفس السبب لأن الهند تشتهر بكثرة أنهارها، خاصة كلما اقتربنا من جبال هملايا، ولو افترضنا أن قوم نوح كانوا بالهند في أرض لا أنهار فيا، لما حال دون تحولهم إلى الأنهار الجارية حائل.

ولهذا رجح البعض الرأي القائل أن أرض قوم نوح كانت الجزيرة العربية في الطائف لأن تضاريس الطائف أقرب إلى ما ورد في القرآن عن موطن قوم نوح ففي الطائف جبال وسهول ولا يوجد بها أنهار كما جاء وصفها في القرآن الكريم.

وبعد ألف سنة إلا خمسين عاماً ظل نوح عليه السلام يدعو قومه لعبادة الله عز وجل ومع هذه المدة الطويلة ما آمن به إلا القليل منهم، وكان كلما انقرض جيل وصوا من بعدهم بعدم الإيمان به ومحاربته ومخالفته حتى إن الأب إذا بلغ ابنه وعقل عنه الكلام وصاه فيما بينه وبينه ألا يؤمن بنوح أبداً ما عاش، فكانوا لا يلدون إلا فاجراً كفاراً.

وقالوا: يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين.

فقال لهم نوح: إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين.

وقد سجلت آيات القرآن الكريم هذا الحوار في صورة هود: ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٣٢ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۝٣٣ ﴾ [هود: ٣٢ - ٣٣].

وتوجه نوح عليه السلام إلى ربه فقال: ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ۝٢١ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ۝٢٢ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝٢٣ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ۝٢٤ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ۝٢٥ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝٢٧ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ۝٢٨ ﴾ [نوح: ٢١: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ [هود: ٣٦].

ومما دعا نوح ربه بعد تلك السنوات الطوال بل المئات من السنوات أن دعا ربه: ﴿ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾ [القمر: ١٠].

وقال: ﴿ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ [المؤمنون: ٢٦].

وقال تعالى في سورة الشعراء: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ۝١١٧ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١١٨ ﴾ [الشعراء: ١١٧ - ١١٨].

ودعا نوح أيضاً على قومه ألا يبقى أحد منهم على الأرض حتى لا يلدوا كفاراً آخرين وأنهم لن يكونوا إلا دعاة ضلال يضلون عباد الله.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝٢٧ ﴾ [نوح: ٢٦- ٢٧].

فاستجاب الله دعاءه وأمره ببناء السفينة وأن يحمل فيها من آمن معه من قومه وكذلك من كل زوجين من الحيوانات والطيور على الأرض حتى إذا عم الطوفان الأرض وأغرق من عليها تبدأ حياة أخرى جديدة لا يكون للكافرين فيها مكان.

نقص مياه الأمطار يؤثر في الزراعة بالطائف التي تعتمد على الأمطار

وكما ذكرنا فقد كشفت وزارة الزراعة لجريدة الشرق الأوسط»، في ٥ ذو القعدة ٤٢٩ هـ ٣ نوفمبر ٢٠٠٨ العدد ١٠٩٣٣ عن تراجع الزراعة في مدينة الطائف الشهيرة بالفاكهة الموسمية نتيجة نقص المياه، مشيرة إلى اقتصار الزراعة على الأماكن التي غطتها الأمطار جنوب المدينة. وكان من دعاء نوح لقومه ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح: ٢٨].

فهل الطائف هي بلاد قوم نوح؟؟؟؟

باحث يقول: إن قوم نوح سكنوا في وادي حضرموت وسفينة النجاة استوت في شبوة: (بحث يستحق النظر)

في حوار مطول في موقع صحيفة «عدن الغد» .. على شبكة الإنترنت وجدته بعد انتهائي من كتابة هذا الكتاب وأعجبني ووجدته أنه يستحق التأمل فأضفته لاستكمال غالبية الآراء عن الطوفان وهو الباحث «عارف التوي» وقد أجرى الحوار معه: أنيس البارق ..

قد نتفق في بعض ما في البحث وقد نختلف ولكنها آراء يجب عرضها ولهذا نعرضها ونتأملها .. حيث يقول الباحث في حديثه إن قوم النبي «نوح» عليه السلام كانوا في جنوب الجزيرة العربية وتحديداً في وادي حضر موت ولم يكونوا في ما يعرف اليوم بالعراق، كما يصر وفقاً لبحث طويل أن السفينة – التي نجا بها المؤمنون من قوم «نوح» في قصة «الطوفان الكبير» التي وردت في كل الأديان السماوية والوضعية – انطلقت من وادي حضر موت واستقرت في بلدة «شبوة» العاصمة التاريخية لحضر موت ، وهو بهذا البحث يرفض الفكرة السائدة بأن السفينة انطلقت من بلاد «سومر» في العراق واستقرت في جبل «آرارات» في تركيا، ويَعْتَبر أن ألواح «ملحمة جلجامش» الشهيرة لا تؤيد أصحاب هذه الفكرة، كما يعتبر أن سورة «العنكبوت» هي سورة مهمة ومفصلية في هذا البحث الذي اعتمد فيه على طريقة مبتكرة في الاستنباط ترتكز على أرقام الآيات وترتيب السور في المصحف الكريم وربطها بخطوط الطول والعرض التي قال إنها تشبه خيوط «العنكبوت» مؤكداً صحة اعتبار خط «غرينتش» خط الصفر، خلافاً لمن يدعون غير ذلك من خطوط الطول، كخط الطول الذي تقع عليه مدينة مكة المكرمة .

ويضيف : شيء بديهي أن يكون لنوح عليه السلام وقومه موقع للحياة على الأرض ولابد أن تكون للسفينة منطلق من منطقة نعتقد حسب الأبحاث أنها

منطقة الهجرين و(دمون) في وادي حضرموت ويعزز ذلك أن الإحداثيات التي سقطت في وسط السفينة كما نعتقدها قد مرت على وادي حضرموت مدينة دمون التاريخية والتي ذكرت في الألواح الطينية السومرية وغيرها والتي يعتقد البعض أنها دلمون البحرين وهذا غير صحيح بسبب وصف "دلمون" أرض محاطة بالجبال وخاصة بشجر النخيل فيها جبل كالسمكة في البحر وكل هذا الوصف ينطبق على دمون وادي حضرموت والهجرين وأن مساكن قوم نوح عليه السلام لم ابتدعه كما يظن البعض ولكن لي معها قصة سببها الجهل واللامبالاة الذي نلاقيه وللأسف الشديد ممن يدعون العلم وممن أغلقوا أبوابهم وهم صم بكم عمي لا يعقلون وهو ما كنت في لحظة من اليأس وأنا أدور في شوارع صنعاء القديمة هائماً من الإحباط واليأس وبالصدفة تعرفت على مهندس معماري يعمل في ترميم الجامع القديم وعرضت عليه البحث فقال ممكن أن تتعرف على الجانب الآخر ألا وهو الجانب الأجنبي علماء الغرب وبالفعل عرفنا على متخصصة ألمانية في علم التراث اليمني وشرحت لها البحث وتقبلت البحث بكل سرور وبفضل الله ثم هذه العالمة الألمانية أظهرت لي كتاب شبوة القديمة عاصمة حضرموت وهو للأسف الشديد كان مع متخصصين قابلتهم وبخلوا علي بالمعلومات وهو ما فتح لي هذا الكتاب حقائق فتحت لي أمل المواصلة والمثابرة على إيجاد الحقيقة وما وجدته عن مدينة شبوة القديمة حيرت العلماء الفرنسيين من أين أتت وكيف ولماذا ولا يوجد لها مثيل في العالم وهو ما أكد قول رسول الله ﷺ كما جاء عن أبي يعلي رواية ابن السني (لقد أبقى الله منها شيء أدركه أوائل هذه الأمة) أي أن قوم نوح أخذوا من السفينة وبنوا بيوتهم وهي شبوة القديمة وهذا منطقي بسبب أن المنطقة تعرضت للطوفان وتغير المناخ ونجد أن قوم نوح بنوا حسب ما جاء في التوراة بنوا الثمانين بيتاً وهو عدد بيوت شبوة القديمة الـ «٨٣» بيتاً ومعبداً وهناك الكثير من الدلائل سنخرجها في كتاب إن شاء الله.

ويضيف :

إلى الآن بلاد سومر وهي تعود إلى السومريين حسب الاعتقاد وهم في الأساس إلى الآن لا يعلم العلماء من أين أتوا؟ وكيف؟ والاعتقاد السائد أنهم أتوا من أرض حضارية وحملوا معهم حضارة الري وهم بالتالي حملوا معهم ثقافة الطوفان في ألواح طينية عثر عليها حديثاً وحملوا معهم مسميات مدن حسب اعتقادي أنها مطابقة لما في جنوب جزيرة العرب ومثال على ذلك أرض كربلاء وهي في الأساس من «كرب إل» وجد منقوش في حجر في العراق ويؤكد هذا أن الحضارة السومرية وما قبلها أتت من جنوب جزيرة العرب وحيرت كثيراً من العلماء ذكر أرض دلمون. عندما تذكر الحضارة السومرية وهي في الأساس أرض دمون أرض تحيطها الجبال والنخيل كما ذكر قصص الطوفان السومرية والأكادية وهو ما ينفي أن البحرين هي أرض دلمون التي عاش فيها نبي الله نوح ولأن البحرين لا تنطبق عليها ما ذكر عن دلمون أو دمون حضرموت.

- **وعن سؤال : ماذا عن مأثورات ملحمة جلجامش؟**

يجيب:

- سبب تطرقي لقصة جلجامش عندما نشرت البحث في «الإنترنت» على موقع البحث (www.shipnoah.com) على شبكة الإنترنت وكنت أنتظر الأسئلة، وتلقيت أسئلة من باحث عراقي متخصص في علم الأشوريات وقال إن الإحداثيات التي أسقطتها على المواقع من القرآن الكريم لا أختلف معك فيها ولكن أسقط ملحمة «جلجامش» على أحداث الطوفان في اليمن كما تعتقد وكانت أحداث الطوفان في ملحمة «جلجامش» مفاجئة لي لم أتوقعها وهي تحمل كل الأحداث من رسو السفينة عند جبل النسر وفكرة الطوفان كجيش يقاتل وعدد أيام الطوفان مطابقتاً للقرآن الكريم للآية «١٤» من سورة العنكبوت وأدى بالتالي إلى اعتقادي أن ملحمة «جلجامش» تأتي كلها من مشكاة واحدة من رب العالمين .

- **وماذا عن (عاد) ومدينة (إرم)؟**

- الاعتقاد السائد أن «عاد» أو «إرم» أو ما تسمى عند أهل الكتاب «أوبار» قد تبينت لنا الآيات من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣٨]، هنا تبين لنا مساكنهم ولم يتبقَّ منها إلا أطلال وهو ما نصت عليه الآية، والمستغرب أننا نجد أن القول في أن قوم عاد ومدينتهم لم توجد بعد ونص الآية تقول العكس فكيف يمكن أن يقتنع البعض في مغايرة نص الآية شيء غير مفهوم وكذا تنص الآيات من أن مساكن قوم عاد دمرت بالكامل بنص الآية: ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ۝ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ۝ ﴾ [الذاريات: ٤١-٤٢]، فقط لنتدبر الآيات وسنجد أن الريح شديدة جعلت كل شيء كالرميم والرميم يكون قديماً بالياً وهو ما عثر عليه رميم بالٍ قديم.

- **لماذا دافعت في بحثك عن كون خط «غرينتش» هو خط الصفر؟**

- هذا السؤال قد أتى لي من رجل من أهل الكتاب يقول فيه إن خط «غرينيتش» هو الصحيح بنص القرآن الكريم وهو ما جعلني أزيد من تأكيده أن هذا الخط خط الطول الواقع في وسط السفينة في شبوة يعود الى خط غرينتش وتأكيدي على ذلك أن خط جرينتش هو في الأساس أول من وضعه العالم الإسلامي البيروني في بحر المغرب ومن ثم اتخذته الإمبراطورية البريطانية ودفعت الكثير لمن يخترع هذا الخط بكل دقة وهو خط التوقيت وبسبب هذا الخط سقطت أرقام السورة والآية وكلماتها بكل دقة وهو ما جعلنا نتبين أن التاريخ يعيد نفسه حيث جاء في قوله تعالى: ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ﴾ [القصص: ٨]، اتخذت امرأة فرعون

من موسى ابناً يتربى في ملك فرعون وهو في الأساس مكر الله على القوم الكافرين وكان لهم حزناً وخراباً ودماراً وهو ما يكرر نفسه اليوم من أن تتخذ الإمبراطورية البريطانية هذا الخط في عقر دارهم سيدفعون كما أعتقد الأثمان غالية وسيلعنون اليوم والساعة والدقيقة والثانية في اتخاذهم الخط الواهن من بيت العنكبوت كما اتخذه الأمم السابقة ذكرها في سورة العنكبوت ومن ثم سيرده الله إلى أهله مسلمين إن شاء الله أو يدخلهم الله في دينه مما عملت أيديهم.

- **تقول في بحثك إن امرأة نوح كانت معه في السفينة خلافاً لما هو شائع.. على ماذا استندت؟**

- لم يثبت أن امرأة نوح بنص القران لم تركب السفينة ولكن إذا فهمنا نص الآية نكون قد تجاوزنا الكثير من الموروث الخاطئ، والمدهش في الأمر لم تُذكر في التوراة ولا الإنجيل وحسب بل أكدتها ديانات شعوب كثيرة أن زوجته معه في الفلك وهو ما جاء في القران الكريم تأكيد لهذا في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود: ٤٠]، وأهلك هنا بنص الآية هي زوجته بدليل قوله تعالى في قصة نبي الله يوسف لامرأة العزيز: ﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٢٥] بنص الآية هنا (أهلك) هي زوجة عزيز مصر وهي لم تكن لها ذرية تذكر.

[ملحوظة: قلت: وأنا أختلف معه حول ركوب امرأة نوح معه السفينة لأنها كانت كافرة بنص القرآن الكريم، وهي ممن سبق عليها القول مثل ابنه الذي لم يركب معه فكان من الغارقين، قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ

لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠].

ويضيف الباحث: وادي حضرموت في كتب التاريخ يسمى بالوادي الغامض بسبب أن حجم الوادي وآثاره الغير معروفه أين ذهبت؟ السبب يعود إلى تركيبة الوادي من سبل وفجاج وكذا الدورة المطيرة للوادي والجفاف وبسبب الفيضانات تأتي تدمر كل شيء وتدفن تحتها أسراراً كبيرة ستثبتها الأيام القادمة.

- **ويقول عن جبل «آرارات» بتركيا والاعتقاد برسو السفينة عليه:**

- المتتبع لقصة الطوفان سواء كان في الكتب المقدسة أو في المواقع الالكترونية الشبكة العنكبوتية سيجد أن قصة السفينة في جبل «آرارات» لا تدعمها حقائق على الأرض سوى ألواح طينية عثر عليها في نينوى مثل ملحمة جلجامش وغيرها من القصص السومرية والتي حسب ما جاء في التوراة عند رسو السفينة في «آرارات» سنجد قصتها تختلف في التوراة والتوراة تقول إن بعد الطوفان اتجه قوم نوح شرقاً إلى أرض شنعار وهذه الأرض بين الدجلة والفرات تقع أساساً في غرب «آرارات» فكيف يكونون اتجهوا شرقاً إلا إذا كانوا أساساً في شرق شنعار وهو بالتالي كان اتجاههم أساسا من جنوب جزيرة العرب باتجاه الشرق. وزد على ذلك البحث إلى الآن جار من قبل عشرات الفرق الأثرية التي تتهافت على جبل «آرارات» ولم تجد شيئاً ولم تفلح الأقمار الصناعية إلى الآن من العثور عليها والمدهش في الأمر أن الاستخبارات الأميركية اشتركت في البحث عن سفينة نوح لأغراض مجهولة.

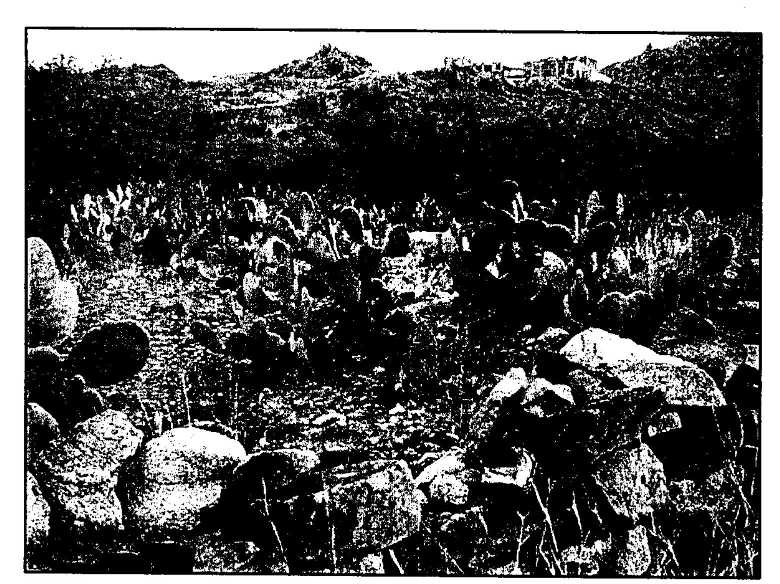
- **توصلت في بحثك إلى أن وادي حضرموت كان به نهر عظيم يجري من المشرق إلى المغرب أين ذهب؟**

- حقيقة لم أكن أعلم شيئاً عن هذا الموضوع لولا استفساري عن وادي حضرموت من متخصصين في هيئة المساحة الجيولوجية مع الاستشاري جيولوجي الأستاذ

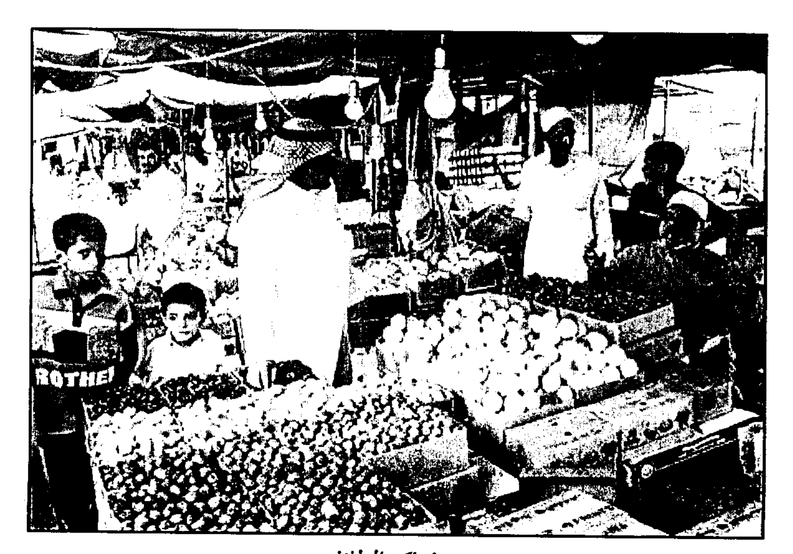
الدكتور معروف عقبة والذي ألقى محاضرة معي في كلية التربية وندوة علمية في هيئة المساحة الجيولوجية من أن الوادي يسمى الآن بالوادي المعكوس وأن به كمية من المياه هائلة جدًّا تحته كنهر يمتد إلى جزيرة العرب وفي اعتقادي أن المياه في يوم من الأيام (الطوفان) كان قد تفجر من تحت الأرض مما أدى إلى تغيير اتجاه الوادي وتغير في حالة الطقس والجفاف وهو ما دعا أهل هذه الأرض إلى الترحال والرعي في المناطق الخضراء.

- **كيف تفسر حديثك عن أن وادي حضرموت بجنوب الجزيرة العربية وقبائله هم أساس ترتيب البيت البشري؟**

- هذا الموضوع تتبعته وللأسف الشديد من مراجع التنقيبات السوفييتية في الثمانينيات والتي لم تعد تدرس بشكل أوسع وللأسف الشديد عندما نتكلم عن مواضيع مهمة مثل البداية البشرية نجد المعلومات عن تاريخنا في المتاحف الدولية في حين سفاراتنا في تلك الدول لا أعلم ماذا تعمل من ملحقات ثقافية في خدمة البلد وهو ما يحزّ في النفس من أن الدراسات البشرية السوفيتية التي أمتلكها تؤكد - وهي مهمة جدًّا إذا تتبعناها - تؤكد الدراسات أن أفضل مكان عاش فيه الإنسان في الأرض كان وادي حضرموت لسبب أن الوادي كان في يوم من الأيام غابات كثيفة ومياهاً جارية إلى الآن في (القزه) وهذا الوادي الوحيد الذي أتقن الإنسان فيه فن الري بسبب تكوين الوادي السبل والفجاج، وإذا نظرنا إلى الجانب الأثري سنجد تأكيد العلماء الفرنسيين فيما ورد في كتاب ريدان في قولهم (من خلال البحث والتنقيب في شبوة القديمة نكتشف أن أبناء حضرموت كانوا في يوم من الأيام صناع أخشاب بما عثرنا عليه من التركيب المعقد للأخشاب في بناء بيوت شبوة القديمة وفي وادي حسب معلوماتهم كان الخشب فيه شحيح فمن أين أتت إذن؟ وتؤكد دراساتهم أن الوادي كان فيه غابات كثيفة.



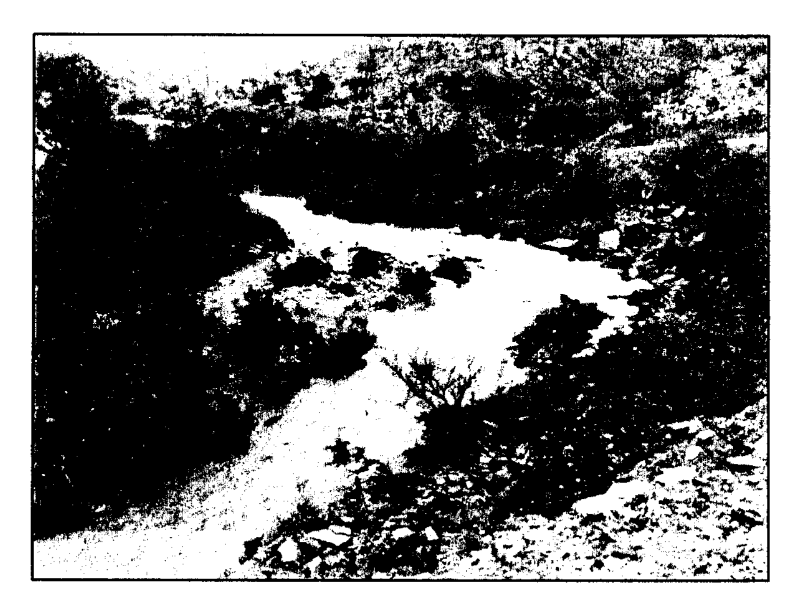
مجرى السيول في أودية الطائف



من فواكه الطائف



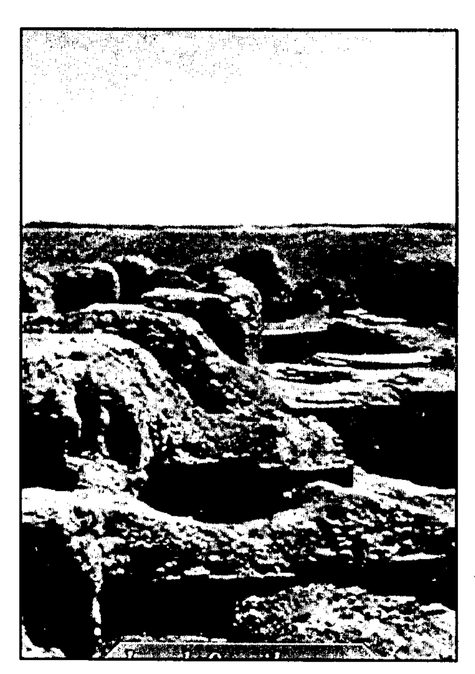
أودية الطائف مكان قوم نوح



مجرى السيول في أودية الطائف



من فواكه الطائف أيضاً



أحد المواقع الأثرية التي كُشف عنها في جنوب العراق وقد أماط هذا الموقع الكثير من جوانب الغموض في معرفة تاريخ دويلات المدن التي عاصرها الأنبياء شيث وإدريس ونوح عليهم السلام.

نوح والسفينة والطوفان

بعد أن صدر الأمر الإلهي بإهلاك قوم نوح الكافرين ولنوح ببناء السفينة فما كان لنوح إلا السمع والطاعة لأمر الله تعالى، فكان أول عمل قام به نوح عليه السلام ومعه المؤمنون هو صناعة السفينة؛ قال تعالى ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ [المؤمنون: ٢٧] ولأن الطوفان سوف يغرق كل من على الأرض من كائنات حية قام نوح بجمع الأزواج من كل نوع من الحيوانات لحملها في السفينة للحفاظ على جنسها، بعد أن تعود الحياة على الأرض مرة أخرى. والمقصود بالأرض هنا التي كان يعيش عليها نوح وقومه كما سيأتي ذكره في حينه.

وقام بإبلاغ المؤمنين للاستعداد ليوم الرحيل والانتقال إلى السفينة ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود: ٤٠].

وبالفعل انتقل الجميع إلى ظهر السفينة ومعهم الحيوانات التي ستحمل في السفينة، ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [المؤمنون: ٢٧ - ٢٨].

وهذا هو السيناريو الملخص ما قام به نوح عليه السلام بعد أن أخبره الله تعالى بحلول عقاب قومه، فكان بناء السفينة هو الأمر الأهم حيث صناعة السفينة تتطلب جمع الخشب وهذا عمل لا يقوم به نوح بمفرده حيث إنها سفينة كبيرة تحتاج إلى عدد كبير، ولم يعمل في صناعة السفينة إلا كل مؤمن؛ لأن بناءها مرتبط بعقيدة ووحي من الله لذلك قال تعالى ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ١٥].

وقوله: ﴿ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ ﴾ ، يدل على عظمها فالفلك مستدير مرتفع وخاصة من الوسط ويخف ويرق وينحني في الأطراف، وهذا هو شكل السفينة الظاهر للعيان، فاسم الفلك دل على شكلها ﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴾ [الشعراء: ١١٩].

وقال بعض علماء السلف أنه لما استجاب الله له أمره أن يغرس شجراً ليعمل منه السفينة، فغرسه وانتظر مائة سنة ثم نجره في مائة أخرى وقيل أربعين سنة والله أعلم وكانت السفينة من خشب الساج وقيل من الصنوبر كما في العهد القديم[١].

قال الثوري: وأمره الله أن يجعل طولها ثمانين ذراعاً وأن يطلي ظاهرها وباطنها بالقار أن يجعل لها جؤجؤا أزور ليشق الماء، وقال قتادة: كان طولها ٣٠٠ ذراع في عرض ٥٠ ذراعاً وارتفاعها ٣٠ ذراعاً[٢].

قال تعالى: ﴿ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ﴾ الألواح هي القطع التي صنعت منها السفينة، والدسر حبال الليف التي شدت بها الألواح فجاءت التسمية دالة على ضعف السفينة في طوفان أمواجه كالجبال، ولكن هي المعجزة.

وجاء وصف السفينة أيضاً بالجارية حيث إن الجارية من فعل جرى أي مر سريعاً دون توقف مبتعداً من مكان إلى آخر، وقد نقلت الجارية ركابها وحملتهم من أرض ما قبل الطوفان إلى أرض ما بعد الطوفان.

من حياة قديمة إلى حياة جديدة وهذا الانتقال هو الذي حفظ استمرار الجنس البشري على الأرض من الهلاك والفناء، وحفظ ما يصلح حياتهم، لذلك جاء ذكر الحمل في السفينة ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ﴾ [الحاقة: ١١].

١- انظر قصص الأنبياء لابن كثير.

٢- المصدر السابق، وقالوا وكانت عبارة عن ثلاث طبقات السفلى للدواب والوحوش والوسطى للناس والعليا للطيور وكان بابها في عرضها ولها غطاء من فوقها.

هكذا اتضحت لنا الصورة من خلال آيات القرآن الكريم التي تجعلنا نعايش الحدث وكأننا نراه رؤيا العين، ونعود إلى قصة الطوفان لتتعرف على كيف حدث وكيف انتهي بالخير للبشرية.

وبينما نوح عليه السلام يقوم بصناعة السفينة يمر عليه قومه من الكافرين فينظرون إليه ويتعجبون ويسخرون منه، لأن بلادهم لا أنهار فيها تستلزم صناعة السفن فينظر إليهم نوح ويرد عليهم كما ذكر لنا الحق في القرآن ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [هود ٣٨- ٣٩].

ثم يدعو عليهم ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ ﴾ [القمر ١٠:١٢].

كان الطوفان استجابة من الله عز وجل لدعاء نوح على قومه فكان الطوفان بهلاك قوم نوح الذين هم أهل الأرض حينها، ونجاة المؤمنين من قومه بركوبهم في السفينة.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [هود: ٤١].

وكان الطوفان بماء المطر المنهمر وانفجار الماء من باطن الأرض، واضعف قشرة للأرض اليابسة في قاع المحيطات حيث تصل إلى ٤ كم وحين تشتد حرارة الأرض ستنفجر فأول استجابة ستكون في قيعان المحيطات باندفاع إلى الخارج وتسرب كميات كبيرة من الحرارة إلى مياهها يكون سبباً في تبخير كميات عظيمة من المياه تنزل بشكل أعاصير على البر اليابس؛ وهذا أحسن الرأي القائل بأن التنور هو الكرة الأرضية.

قال تعالى: ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴾ [القمر: ١١].

إضافة إلى الضغط سيؤثر على البر بدفع المياه الجوفية بقوة إلى ظهر الأرض

قال تعالى: ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ [القمر: ١٢] وهكذا التقى الماء العذب والمالح بأمر الله تعالى ليكون الطوفان العظيم.

وبينما كان البحر يعلو من قاعه رافعاً مياهه المالحة، كان الماء العذب يعلو على سطح الأرض حتى غابت الأرض، واختفت الجبال تحت الماء.

كل هذا والسفينة تحمل نوحاً ومن معه من المؤمنين وأولاده حام، ويافث وسام ومن كل زوجين اثنين.

قال تعالى: ﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [هود: ٤٢- ٤٣].

دلت الآية أن الأمواج على أطراف الأرض ومندفعة فيها قبل تمام الغرق وبعلو كالجبال، وارتفاع الماء حتى يعلو الجبال لا يتم عمليًّا إذا لم يتم رفع مياه البحار المالحة أيضاً بنفس النسبة برفع القاع، أو بماء السماء، وكمية الماء في السماء لا تحقق هذا الارتفاع إذا نزلت كأمطار.

وكان غرق الأرض بالماء العذب حفظ صلاحية التربة، حفظ البذور وما يتبقى من النباتات لما بعد الطوفان، ﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [هود: ٤٢- ٤٣].

ويرى أصحاب الرأي أن الطوفان قد عم الأرض كلها لأنه لو كان يشمل أرض قوم نوح فقط لأمر الله نوحاً ومن آمن معه بالهجرة لأرض أخرى وأهلك الكفرة من قومه والله أعلم.

وسوف نتحدث عن هذه المسالة في حينه إن شاء الله.

نعود إلى الطوفان وانتهاءه بعد هلاك الكافرين.

قال تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ٤٤].

أمر الله تعالى الأرض بابتلاع الماء، ماء الطوفان وأمر السماء بإيقاف هطول الأمطار منها.

قال تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ٤٤]، وبذلك انتهى الطوفان، وقوله تعالى: «ابلعي» التي جاءت في الآية تدل على كيفية انتهاء الطوفان فبلع الشيء تجرعه. ويكون هذا الجرع سهلاً ولا يؤثر على فاعله.

ويقال: إناء بلوع: واسع يبتلع ما يُلْقَى فيه، فيفهم من هذا أن الأمر جاء للأرض للاتساع حتى يضيق ما عليها من الماء الزائد فيرى قليلاً بعد أن أصبح عظيماً، وبفعل الأرض في بلع الماء وإقلاع السماء تم نقصان الماء وذهاب الزائد منه ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [هود: ٤٠-٤١].

وقال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ [يونس: ٧٣].

وأهلك الله الكافرين من قوم نوح بما فيهم زوجه التي كانت معهم ولم تؤمن بدعوة نوح وكذلك أحد أبناءه.

قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ [التحريم: ١٠].

وعن ابنه الذي أغرقه الطوفان وكان من الكافرين قال تعالى: ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [هود: ٣٩-٤٣].

وهكذا نجَّا الله نوحاً والمؤمنين معه ومن ركب في السفينة من حيوانات وطيور ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الشعراء ١١٩-١٢٢].

وروى الطبري في تاريخه حديثاً مرفوعاً قال عنه ابن كثير في قصص الأنبياء إنه حديث غريب وعلق عليه بأنه حديث موقوف وليس مرفوعاً جاء في الحديث:

«مكث نوح عليه السلام في قومه ألف سنة - يعني إلا خمسين عاماً - وغرس مائة سنة الشجر، فعظمت وذهبت كل مذهب، ثم قطعها ثم جعلها سفينة ويمرون عليه ويسخرون منه، ويقولون سفينة في البر: كيف تجري؟

قال سوف تعلمون.

فلما فرغ ونبع الماء وصار في السكك خشيت أم الصبي عليه وكانت تحبه حبًّا شديداً، فخرجت به إلى الجبل حتى بلغت ثلثه، فلما بلغها الماء خرجت به حتى استوت على الجبل، فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بيديها فغرقا، فلو رحم الله منهم أحداً لرحم أم الصبي!!

وهذا الحديث غريب. وقد روى عن كعب الأحبار ومجاهد وغيرهما شبيه لهذه القصة وأحرى لهذا الحديث أن يكون موقوفاً[1].

قال ابن كثير رحمه الله: فكيف يزعم بعض المفسرين أن عوج بن عنق أو ابن عناق كان موجوداً من قبل نوح إلى زمان موسى ويقولون كان كافراً متمرداً جباراً عنيداً.

ويقولون: كان لغير رشدة بل جاءت به أمه من زنا وأنه كان يأخذ السمك من قرار البحار ويشويه في عين الشمس وأنه كان يقول لنوح وهو في السفينة. ما هذه القصعة التي لك؟ ويستهزئ به.

ويذكرون أنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة وثلاثين ذراعاً وثلثاً إلى غير ذلك من الهذيانات التي لولا أنها مسطرة في كثير من كتب التفاسير وغيرها من التواريخ وأيام الناس لما تعرضنا لحكايتها لسقاطتها وركاكتها، ثم إنها مخالفة للمعقول والمنقول.

أما المعقول: فكيف يسوغ فيه أن يهلك الله ولد نوح لكفره وأبوه نبي الأمة وزعيم أهل الإيمان ولا يهلك عوج بن عنق، ويقال عناق وهو أظلم وأطغى على ما ذكروا؟

وكيف لا يرحم الله منهم أحداً ولا أم الصبي ويترك هذا الدعي الجبار العنيد الفاجر الشديد الكفر، الشيطان المريد على ما ذكروا؟

أما المنقول فقد قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴾ [الشعراء: ٦٦].

---

١ - أي أن الحديث من الإسرائيليات المنقولة عن كعب الأحبار اليهودي الأصل.

وقال: ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦] ثم هذا الطول الذي ذكروه مخالف لما في الصحيحين من النبي ﷺ أنه قال: أن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن».

أي لم يزل الناس في نقصان في طولهم من آدم إلى يوم إخباره بذلك وهلم جرا إلى يوم القيامة وهذا يقتضي أنه لم يوجد من ذرية آدم من كان أطول منه[1] !

وأولاد نوح الذين بقوا بعد الطوفان ونجوا من الغرق لأنهم من المؤمنين هم «سام أبو العرب والروم وحام أبو الحبش ويافث أبو الترك». كما جاء في الحديث النبوي.

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ [الصافات: ٧٧].

---

١ - المصدر السابق.

رأي العلماء المعاصرين في حجم سفينة نوح عليه السلام

يرى العلماء المعاصرون أن سفينة نوح عليه السلام لابد وأن تكون ذات حجم هائل تفوق التصور البشري الحالي حيث إن نوحاً حمل معه من كل زوجين من الحيوانات والطيور اثنين كما أمر الحق جل وعلا لبقاء النوع بعد الطوفان.

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾ [هود: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ۝٢٦ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ۝٢٧ ﴾ [المؤمنون: ٢٧-٢٨].

فقال أهل العلم المعاصرون: ما المقصود بقوله ﴿ مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾؟

هل جمع الأنواع من الحيوانات والطيور التي اكتشفت حالياً والتي انقرضت مثل الديناصورات؟

أضف إلى ذلك أن أطوال وأحجام البشر أيام نوح كبيرة لقربهم لعهد آدم الذي كان طوله ستون ذراعاً أي أنهم كانوا من العماليق.

وقالوا هل جمع نوح في سفينته نحو ١٠٠ مليون من أنواع الكائنات الحية وكيف عاشت على السفينة بمختلف درجات الحرارة مثل التي تعيش فيها في البيئة الخاصة بها، فهناك أنواع من الحيوانات تعيش مثلاً في القطب الجنوبي.

قال جيمس إدواردز المدير التنفيذي لموسوعة الحياة «انيسكلوبيديا أوف لايف» عن قصة نوح كما جاءت في الكتاب المقدس «العهد القديم»: هذا مستحيل من الناحية المادية.

وقد أوردت الموسوعة جميع الأنواع المحددة هويتها والبالغ تعددها حتى الآن ١,٨ مليون وهناك توقعات باكتشاف ما بين ثمانية وخمسين مليون نوع آخر حتى إنهم قالوا أن العدد قد يصل إلى مائة مليون نوع !!

ويعتقد ديفيد منتون أستاذ التشريح بجامعة واشنطن وهو يعمل لحساب مؤسسة «الإجابات في سفر التكوين» أن نوح ربما لم يأخذ منهم على متن السفينة سوي ١٦ ألف كائن ولم يصطحب معه سوى الكائنات البرية والطيور، لا نباتات أو أشجار، والتي تشكل قطاعاً كبيراً من إجمالي الأنواع في العالم.

وأنه أيضاً في رأيه يكون قد اصطحب أزواجاً تمثل أنواعاً من الحيوانات تتمتع بكثير من الصفات المشتركة مثل الكلاب والذئاب والذئاب البرية (القيوط) المتواجدة في أمريكا الشمالية، والدنغ (كلب استرالي)، وربما زوج واحد من البقر والجاموس والنمور والأسود.

وقد ذكر العهد القديم في سفر التكوين أنهم أخذوا معهم سبعة من كل الحيوانات أو تلك التي يمكن أكلها مثل الماشية والأغنام والماعز.

ومن أبعاد ومقاسات السفينة كما وردت في سفر التكوين فإن طولها ١٤٠ متراً وعرضها ٢٣ متراً وارتفاعها ١٣,٥ متراً، أي مساحتها الإجمالية يقل عن عشرة آلاف متر مربع.

وقال بيورن كلاوزين مدير مؤسسة خبراء شحن الماشية الدنمركية أن الأبقار الكبيرة تحتاج على الأقل إلى مترين مربعين لكل منها.

أما النمور فتحتاج إلى أربعة أمتار مربعة لكل نمر واحد، فماذا عن الحيوانات الكبيرة الأخرى مثل الكنغر ووحيد القرن والديناصورات.

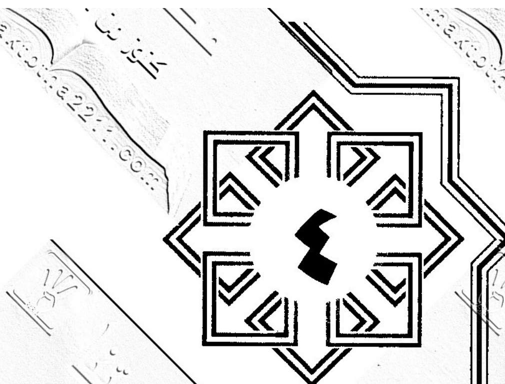
كذلك الحمار الوحشي والبطريق والنسر والباندا والظبي كلها تحتاج إلى درجات حرارة وغذاء ومواطن تختلف اختلافاً كبير عن بعضها البعض.

وقد أشار رئيس مؤسسة الحياة جيس أوسوبيل إنه يتعين أن يكون نوح مهندساً بارعاً متخصصاً في التدفئة والتهوية حتى يضع الدببة القطبية والإيغوانا على نفس السفينة.

حقاً إن السفينة وما حملته من بشر وطيور وحيوانات كانت معجزة نعم معجزة تخالف المقاييس العقلية، وما فعله نوح في بنائها كان بوحي من الله عز وجل كما أخبرنا القرآن الكريم ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٢٧].

وبالتالي لا يقاس ما حدث بمقاييس العقل والعلم لأنها إعجاز رباني لا دخل للبشر فيه، ولكن هذا كله لا يقر أن رسالة نوح كانت عالمية لأهل الأرض كلهم كما سنذكر ذلك في حينه حين نتحدث عن عموم الطوفان الأرض كلها آم أرض قوم نوح فقط.

فأمر جمع الحيوانات من كل زوجين اثنين وعدد تلك الحيوانات مرتبط بعالمية الطوفان وهو الأمر المرفوض عقلاً وشرعاً حيث إن نوحاً عليه السلام أُرسل إلى قومه خاصة وليس إلى أهل الأرض كافة، وسوف نستعرض هذا الأمر بشيء من التفصيل والإيضاح أن الطوفان لم يعم الأرض كلها وبالتالي لم يهلك أهل الأرض كلهم بمن عليها من بشر وحيوانات.



وفار التنور

- فوران التنور علامة تدل على حلول الوقت بإهلاك الكافرين من قوم نوح عليه السلام.
- أقوال أهل التفسير في معنى قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾ [هود: ٤٠].

فوران التنور علامة تدل على حلول الوقت بإهلاك الكافرين من قوم نوح عليه السلام

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود: ٤٠] .

فالعلامة الفارقة الدالة على حلول العذاب بالكافرين من قوم نوح هي فوران التنور حين أُمر نوح بأن يحمل إلى السفينة التي قد أتم صنعها بوحي الله عز وجل من كل زوجين اثنين وأهله الذين آمنوا برسالته وهم أبناؤه الثلاثة سام وحام ويافث وزوجاتهم ومن آمن مع نوح من قومه وهم قليل كما ذكر القرآن الكريم ﴿ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود: ٤٠].

فما هو التنور؟

لفظة التنور تعني الكانون أو ما يعرف بتنور الخبز الذي يخبز فيه وقيل غير ذلك، فقيل هو وجه الأرض وأعلاها واللفظة عربية الأصل.

وقال العلماء المحدثون: إن الآية تحمل إعجازاً علمياً حيث إن معناها: حتى إذا جاء وقت أمرنا بإهلاك الكافرين من قوم نوح وفار التنور دافعاً بخار الماء بقوة، قلنا يا نوح احمل معك في السفينة زوجين من كل نوع من أنواع الأحياء المتاحة لك ذكراً وأنثى وأهل بيتك إلا من سبق عليهم القول بالإغراق وكل من آمن من قومك وكانوا قلة قليلة.

أي أن المقصود بالتنور هنا هو البركان الذي خرج منه بخار الماء بكميات كبيرة وارتفع من نطاق المناخ من الغلاف الغازي للأرض، وقد هيأ الله عز وجل فيه طبقة باردة فتكثف فيها ليعود إلى الأرض سيولاً جارفة في بحر متلاطم الأمواج أغرق كفار قوم نوح كلهم، وارتفعت فيها سفينة نوح بمن فيها حتى رست في النهاية على جبل الجودي وهو على ارتفاع ألفي متر فوق مستوى البحر.

ومن الثابت علمياً أن كل ماء الأرض قد أخرجه الله عز وجل من داخل الأرض عن طريق البراكين، كما قال تعالى:

﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ ﴾ [النازعات: ٣٠-٣١].

والشاهد من ذلك أيضاً أن الله قد أمر الأرض بعد الطوفان أن تبتلع الماء بعد إغراق الكافرين من قوم نوح، قال تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ٤٤].

والآيات تدل على الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وتفسر حقيقة علمية وأن التنور هو البركان أو أحد البراكين على الأرض أو كلها[1].

١- من عظمة القصة القرآنية أنها تأتي بإشارات علمية دقيقة وخفية، ومن روائع هذه الإشارات العلمية ما جاء في قصة طوفان نوح عليه السلام.

فقد حاول الإنسان منذ القدم معرفة أسرار المطر، ومن أين تأتي الغيوم، وفي العصر الحديث وجد العلماء أن هذه الغيوم ما هي إلا ذرات من بخار الماء الذي تبخر من البحار والمحيطات والأنهار وصعدت إلى ارتفاعات كبيرة في الجو حيث درجة الحرارة تنخفض إلى ما دون الصفر فتتكثف وتشكل كتل الغيوم ومن ثم تبدأ الأمطار بالنزول. إذاً الماء صعد من الأرض وعاد إلى الأرض.

هذه الحقيقة لم يكن لأحد علم بها زمن نزول القرآن ولكن الذي يتتبع القرآن يرى بعض الإشارات الرائعة لذلك. ففي قصة سيدنا نوح عليه السلام وبعد أن صبر على كفر قومه الف سنة إلا خمسين عاماً، أوحى الله له أن يصنع السفينة، ويحمل فيها كل مؤمن مع بعض الحيوانات والطيور والنباتات.

وبعد أن فتح الله أبواب السماء بماء منهمر، وفجَّر الأرض عيوناً، حدث الطوفان وأغرق كل من كفر بالله تعالى، وأنجى الله عبده نوحاً عليه السلام مع المؤمنين، ثم قال تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ٤٤].

في قوله تعالى (ابْلَعِي مَاءَكِ- إشارة إلى أن الماء يعود للأرض، فمع أن الماء نزل من السماء وقسم منه نبع من الأرض إلا أن الخطاب جاء للأرض أن تبلع ماءها، إذن كل الماء هو للأرض وهذا يشير إلى أن الماء الذي نزل من السماء إنما جاء من الأرض أصلاً.

في علم المياه هناك حقيقة تقول بأن الماء تحت الأرض مضغوط بنسبة أو بأخرى، ولكنه محاط بطبقات من الصخور، فإذا ما زاد ضغط الماء تحت الأرض أدى إلى اندفاعه بشكل مفاجئ باتجاه السطح بما يشبه الانفجار!! =

= حتى إن العلماء يستخدمون كلمة Explosion أي «انفجار» للتعبير عن الآلية التي تتفجر فيها الينابيع من الأرض، وهذا يعني أن القرآن صحيح في تعابيره علمياً عندما يخبرنا بقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ۞ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ۞ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ۞ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۞ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ۞ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۞﴾ [القمر: ٩-١٤].

وقوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ فهو تعبير دقيق من الناحية العلمية، والذي يؤكد ذلك أن الله تعالى أعطى لسيدنا نوح مؤشراً على اقتراب حدوث الطوفان أن يرى التنور يفور!

والتنور عبارة عن حفرة في الأرض تُصنع من أجل إيقاد النار وتحضير الطعام، وهذه الحفرة -والله أعلم- تسرَّب إليها الماء من جوف الأرض وبدأ بالفوران كما نرى اليوم في الينابيع الحارة التي نرى الماء يغلي فيها.

انفجار الينابيع يشكل البحيرات ويخرج الماء من الأرض مضغوطاً ويرتفع وقد يصل ارتفاعه إلى أكثر من مئة متر.

إن رؤية بعض الماء الذي يغلي من ينبوع مثلاً بدرجة حرارة عالية فإن هذا يؤشر إلى قرب انفجار ذلك الينبوع، وهذا الانفجار يحدث عادة بشكل مفاجئ، وربما يكون هذا ما حدث مع سيدنا نوح كمؤشر له ليبدأ الركوب في السفينة هو والمؤمنين كدليل على اقتراب انفجار الينابيع.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]. في قوله تعالى ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ إشارة علمية لاقتراب حدوث الانفجارات النبعية التي ستشكل الطوفان.

قال تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود: ٤٢]. في قوله تعالى ﴿مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ إشارة إلى ارتفاع هذا الموج، وإلى وجود ريح قوية أو إعصار، والتشبيه القرآني للموج بالجبال يدل على أن ارتفاع الموج كان يبلغ عدة مئات من الأمتار، وهذا ما لا نشاهده في الطبيعة مما يدل على أن طوفان نوح كان حدثاً استثنائيًّا، وهذا ما لم يكتشفه علماء الآثار حتى الآن.

فالأمواج التي نراها في المحيطات يمكن أن تبلغ ارتفاعات لا تتجاوز عشرات الأمتار، ولكن الأمواج التي حدثت زمن سيدنا نوح كانت بارتفاع الجبال أي مئات أو آلاف الأمتار، وهذا يدل على أن الطوفان كان حدثاً غير مجرى البشرية، ولم يحدث مثله على مر العصور.

ونسبة الماء إلى الأرض هنا من المعجزات العلمية في القرآن الكريم لأن هذه الحقيقة لم تعرف إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين؛ ومن هنا تأتي ومضة الإعجاز العلمي في الربط بين ثورة البركان (التنور- وإغراق أرض قوم نوح بطوفان الماء، خاصة وأنه ثبت علمياً أن أكثر من (٧٠٪- من مكونات الغازات والأبخرة المتصاعدة من فوهات بعض البراكين هو بخار الماء التي سرعان ما تتكثف في نطاق المناخ ويعود إلى الأرض مطراً. =

= وتشير الآيات القرآنية الكريمة إلى اشتراك عيون الأرض المتفجرة في إحداث طوفان نوح وذلك بقول ربنا تبارك وتعالى ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (١٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (١٥) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٦) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (١٧) ﴾ [القمر: ٩-١٧].

وكثيراً ما تصاحب الثورات البركانية بشيء من الهزات الأرضية الشديدة التي تحرك الماء المجتمع فوق سطح الأرض في تيارات بحرية عنيفة هي التي رفعت سفينة نوح إلى قمة جبل الجودي على ارتفاع سبعة آلاف قدم (حوالي ألفي متر- فوق مستوى سطح البحر ولذلك قال تعالى﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (٤١) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣) ﴾ [هود: ٤١-٤٣].

وربما لعبت هذه الهزات الأرضية دوراً في تفجير عيون الأرض بالماء المتدفق من مخزونه في كل من تربة الأرض وصخورها ليشارك هطول الأمطار في إغراق الخاطئين المجرمين من قوم نوح. وهذا يؤكد حقيقة أن طوفان نوح كان إغراقاً للكافرين من قومه بالماء العذب، وعلى الرغم من ذلك يأتي اثنان من علماء فيزياء الأرض وهما الأمريكيان وليام ريان، وزميله والتر بتمان (Walter & Ryan William Pitman- لينشرا كتاباً في سنة ١٩٩٨م بعنوان «طوفان نوح: الاكتشافات العلمية الجديدة عن الحدث الذي غير مجرى التاريخ».

ففي هذا الكتاب يزعم الكاتبان بأن الطوفان كان بماء البحر فوق بحيرة من الماء العذب، وأنه كان حدثاً طبيعيًّا لا علاقة له بما جاء من أخبار قوم نوح في العهد القديم، ومن ثم فقد أنكرا الواقعة إنكاراً تاماً.

ويذكر هذان الكاتبان أن هذا الطغيان البحري الذي أشارا إليه كان قد وقع قبل (٧٦٠٠- سنة حين أدى ارتفاع منسوب المياه في البحار والمحيطات إلى اندفاع هذا الماء المالح من البحر الأبيض المتوسط عبر وادي البوسفور ليدمر كل شيء مر به، وليؤدي إلى عدد من الهجرات البشرية الكبيرة.

ولكن مما ينفي مزاعم هذين الكاتبين اكتشاف بقايا سفينة نوح - عليه السلام - مطمورة وسط رسوبيات للماء العذب فوق قمة «جبل الجودي» في الجزء الجنوبي الشرقي من تركيا، وإثبات امتداد هذه الرسوبيات من جنوب شرق تركيا إلى رأس الخليج العربي، مروراً بما بين النهرين دجلة والفرات.

وتؤكد هذه الكشوف أن الطوفان كان بالماء العذب الذي هطلت به الأمطار الشديدة، وتفجرت عنه عيون الأرض كما جاء بالقرآن الكريم من قبل ألف وأربعمائة سنة، وأن الحدث وقع عقاباً لقوم نوح في هذه المنطقة فقط، ولم يشمل كل الأرض، ولم يقض على جميع صور الحياة الأرضية كما جاء في العهد القديم (سفر التكوين: ٦-٩). =

= تشير رواية العهد القديم إلى أن الطوفان استمر لمائة وخمسين يوماً غامراً جميع الأرض بما في ذلك كل قمم الجبال التي تغطت بمياه الطوفان بسمك يزيد على عشرين قدماً، وهذه استحالة علمية.

وأشارت رواية العهد القديم إلى أن سفينة نوح استقرت على جبل أرارات (أراراط أو أغرى داج- وقد اكتشفت بقايا السفينة على «جبل الجودي» الذي يقع على بعد (٢٥٠- ميلاً إلى الجنوب من جبل «أرارات»، في جنوب شرقي تركيا بالقرب من حدودها مع كل من العراق وسوريا إلى الشمال من مدينة الموصل.

ومن المعروف أن جبل «أرارات» يوجد في أقصى الشمال الشرقي من تركيا على حدود أرمينيا، وهو كتلة بركانية بها أعلى قمتين في تركيا ترتفع إحداهما إلى (٥١٨٥- متراً فوق مستوى سطح البحر بينما ترتفع الأخرى إلى ٣٠٩٣ متراً.

ففي منتصف شهر مايو من سنة ١٩٤٨م اكتشف أحد رعاة الغنم الأتراك واسمه رشيد سرحان (Sarihan Reshit- بقايا من أخشاب سفينة نوح - عليه السلام - في قمة «جبل الجودي» (Mount Dagh Cudi or Judi- وعلى إثر هذا الاكتشاف تتابعت دراسات الموقع إلى وقتنا الراهن، وتم إصدار العديد من النشرات عنه من أمثال أعمال كل من مارتن روى (Wroe Martin، ١٩٩٤)، تشارلين ويلليس (Willis Charles، ١٩٨٠)، وجون وارويك مونتجومري (Montegomry Warwick John- في السبعينيات من القرن العشرين، والتي أثبتت جميعها صدق الاكتشاف وقد أعطت البقايا الخشبية للسفينة المكتشفة عمراً مطلقاً في حدود (٤٥٠٠- سنة قبل الميلاد وذلك باستخدام طريقة الكربون المشع كما أعلن مارتن روى بجريدة الأوبزرفر اللندنية بتاريخ (١٦/ ١/ ١٩٩٤م).

وعلى الرغم من ذلك، ومن إخبار القرآن الكريم برسو السفينة على «جبل الجودي»، ومن وجود بعض الكتابات التاريخية القديمة التي تم اكتشافها مؤخراً والتي تسجل ذلك من مثل كتابات كل من «بيراسوس» (Berasus- وهو من كهان الحضارة البابلية، و«أبيدينوس» (Abydenus- وهو من تلامذة سقراط، ومن رموز الحضارة اليونانية القديمة، فقد ظلت محاولات الغربيين مستميتة في إثبات رسو سفينة نوح على جبل أرارات (أراراط أو أغرى داج- حتى أعلنت مجموعة من العلماء الروس بتاريخ (٢٥/ ٣/ ٢٠٠٥م- في مؤتمر صحفي نقلته وكالة إنترفاكس للأنباء (Agency News Interfax The- أنه لا توجد أية آثار لسفينة نوح على «جبل أرارات»، وأن جميع العينات التي درست تؤكد ذلك، كما أكدته دراسات فادين تشيرنوبورف (Vadin Chernoborv- الذي أوفد مجموعة العلماء هذه للقيام بتلك الدراسة.

ومن الحقائق العلمية التي أكدتها أبحاث العلم الحديث والمنشورة في مختلف أنواع المطبوعات العلمية والمثبتة عبر الأفلام العلمية التي تبثها محطات التلفزة، أن باطن الأرض يتكون من سوائل ساخنة جداً وتقع تحت ضغط هائل يصل إلى ما يقرب من مليون ضغط جوي على عمق (٢٠٠٠ كيلو متر من سطح الأرض، كما قدره العلماء وترتفع درجة الحرارة بمعدل (٢٠-٣٠م لكل كيلو متر عمقاً ..، وأن البراكين التي تثور بين مدة وأخرى في مختلف بقاع الأرض تؤكد ذلك، والزلازل تنتج عن اختلاف في التوازن في ضغوط باطن الأرض. =

....

= وفي الطوفان أثرت ضغوط المواد في باطن الأرض وحرارتها العالية في المواد الصلدة التي تقع أسفل خزانات المياه الجوفية (مياه باطن الأرض - فتمكنت من إيجاد منافذ خلال الطبقة الصلدة، فضغطت على المياه الجوفية التي لم تجد منفذاً لها سوى فتق قشرة الأرض التي تعلوها فتفجرت العيون في كل أجزاد سطح الأرض التي تقع فوق خزانات المياه الجوفية فتدفقت المياه فوارة من هذه العيون حتى فرغت الخزانات من مياهها وامتلأت بالمواد المضغوطة الساخنة التي تسربت خلال مسامات التربة فسببت ضغطاً على المياه السطحية مانعة إياها من التسرب خلال مسامات التربة والرجوع إلى الخزانات حتى صدر الأمر (يا أرض ابلعي ماءك - مما أدى إلى تقليل الضغط لنزول المواد المضغوط من مسامات التربة لتحل محلها المياه السطحية التي تسربت خلالها عائدة إلى خزاناتها حتى امتلأت بالمياه.

أما المسطحات المائية من محيطات وبحار وخلجان وأنهار فقد تعرضت قيعانها كلها أو معظمها إلى ضغوط هائلة من باطن الأرض فتشققت القيعان فخرجت منها حرارة هائلة أو مواد ساخنة جدًا أدت إلى تبخير المياه بكميات كبيرة فصعدت الأبخرة إلى طبقات الجو العليا الباردة ونقلتها ونشرتها الرياح فوق مناطق واسعة من الأرض وتساقطت الأمطار غزيرة فوق الأرض واستمرت العملية كلها أثناء الطوفان حتى صدر الأمر ﴿ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي ﴾ فتوقفت ضغوط باطن الأرض في التأثير على قيعان المسطحات المائية فأخذت المياه تنحدر بهدوء إلى المنخفضات تاركة قمم الجبال أولاً حتى استقرت السفينة فوق جبل ﴿ ٱلۡجُودِيِّ ﴾.

وانحسرت المياه على سطح الأرض وعادت لتتجمع في المنخفضات. والله تعالى أعلم

أقوال أهل التفسير في معنى التنور

قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ [هود: ٤٠] اختلف في التنور على أقوال سبعة:

الأول: أنه وجه الأرض، والعرب تسمي وجه الأرض تنوراً، قاله ابن عباس وعكرمة والزهري وابن عيينة، وذلك أنه قيل له: إذا رأيت الماء على وجه الأرض فاركب أنت ومن معك.

الثاني: أنه تنور الخبز الذي يخبز فيه، وكان تنوراً من حجارة، وكان لحواء حتى صار لنوح، فقيل له: إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت وأصحابك.

وأنبع الله الماء من التنور، فعلمت به امرأته فقالت: يا نوح فار الماء من التنور، فقال: جاء وعد ربي حقًّا. هذا قول الحسن، وقاله مجاهد وعطية عن ابن عباس.

الثالث: أنه موضع اجتماع الماء في السفينة، عن الحسن أيضاً.

الرابع: أنه طلوع الفجر، ونور الصبح، من قولهم: نور الفجر تنويراً، قاله على بن أبي طالب رضي الله عنه.

الخامس: أنه مسجد الكوفة، قاله على بن أبي طالب أيضاً، وقاله مجاهد.

وقال مجاهد: كان ناحية التنور بالكوفة. وقال: اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة، وكان التنور على يمين الداخل مما يلي كندة.

وكان فوران الماء منه علماً لنوح، ودليلاً على هلاك قومه. قال الشاعر وهو أمية:

فــار تنورهم وجاش بمــاء ... صار فوق الجبال حتى علاها

السادس: أنه أعالي الأرض، والمواضع المرتفعة منها، قاله قتادة.

السابع: أنه العين التي بالجزيرة (عين الوردة) رواه عكرمة.

وقال مقاتل: كان ذلك تنور آدم، وإنما كان بالشام بموضع يقال له: (عين وردة) وقال ابن عباس أيضاً: فار تنور آدم بالهند. قال النحاس: وهذه الأقوال ليست بمتناقضة، لأن الله عز وجل أخبرنا أن الماء جاء من السماء والأرض، قال: ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝ ﴾ [القمر: ١١-١٢].

فهذه الأقوال تجتمع في أن ذلك كان علامة. والفوران الغليان. والتنور اسم أعجمي عربته العرب، وهو على بناء فعل، لأن أصل بنائه تنر، وليس في كلام العرب نون قبل راء.

وقيل: معنى ﴿ وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ التمثيل لحضور العذاب، كقولهم: حمي الوطيس إذا اشتدت الحرب. والوطيس التنور. ويقال: فارت قدر القوم إذا اشتد حربهم، قال شاعرهم:

تركتـــم قدركم لا شيء فيها ... وقِـــدر القوم حامية تفـــور

قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ يعني ذكراً وأنثى، لبقاء أصل النسل بعد الطوفان. وهذه قراءة حفص عن عاصم أي بالتنوين وقرأ باقي السبعة بالإضافة بدون تنوين (من كلِّ زوجينِ) والقراءتان سبعيتان مشهورتان أي من كل شيء زوجين. والقراءتان ترجعان إلى معنى واحد: شيء معه آخر لا يستغنى عنه. ويقال للاثنين: هما زوجان، في كل اثنين لا يستغنى أحدهما عن صاحبه، فإن العرب تسمي كل واحد منهما زوجاً.

يقال: له زوجا نعل إذا كان له نعلان. وكذلك عنده زوجا حمام، وعليه زوجا قيود، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴾ [النجم: ٤٥]. ويقال للمرأة هي زوج الرجل، وللرجل هو زوجها. وقد يقال للاثنين هما زوج، وقد يكون الزوجان بمعنى الضربين، (النوعين) والصنفين، وكل ضرب (نوع) يدعى زوجاً، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ [الحج: ٥] أي من كل لون وصنف. وقال الأعشى:

وكل زوج من الديباج يلبسه ... أبو قدامة محبو بذاك معا

أراد كل ضرب ولون. و ﴿ مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ في موضع نصب بـ (احمل). و(اثنين) تأكيد. ﴿ وَأَهْلَكَ ﴾ أي واحمل أهلك. ﴿ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ ﴾.

﴿ مَن ﴾ في موضع نصب بالاستثناء. ﴿ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ ﴾ منهم أي بالهلاك، وهو ابنه كنعان وامرأته واعلة كانا كافرين. ﴿ وَمَنْ ءَامَنَ ﴾ قال الضحاك وابن جريج: أي احمل من آمن بي، أي من صدقك، فـ (من) في موضع نصب بـ (حمل). ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: آمن من قومه ثمانون إنساناً، منهم ثلاثة من بنيه، سام وحام ويافث، وثلاث كنائن له (نساء أولاده). ولما خرجوا من السفينة بنوا قرية وهي اليوم تدعي قرية الثمانين بناحية الموصل.

وورد في الخبر أنه كان في السفينة ثمانية أنفس، نوح وزوجه غير التي عوقبت، وبنوه الثلاثة وزوجاتهم، وهو قول قتادة والحكم بن عتيبة وابن جريج ومحمد بن كعب، فأصاب حام امرأته في السفينة، فدعا نوح الله أن يغير نطفته فجاء بالسودان. قال عطاء: ودعا نوح على حام إلا يعدو شعر أولاده آذانهم، وأنهم حيثما كان ولده يكونون عبيداً لولد سام ويافث. وقال الأعمش: كانوا سبعة، نوح وثلاث كنائن وثلاثة بنين، وأسقط امرأة نوح.

وقال ابن إسحق: كانوا عشرة سوى نسائهم، نوح وبنوه سام وحام ويافث، وستة أناس ممن كان آمن به، وأزواجهم جميعاً. و (قليل) رفع بآمن، ولا يجوز نصبه على الاستثناء، لأن الكلام قبله لم يتم[1]، إلا أن الفائدة في دخول (إلا) و (ما) لأنك لو قلت: آمن معه فلان وفلان جاز أن يكون غيرهم قد آمن، فإذا جئت بها وإلا، أوجبت لما بعد إلا ونفيت عن غيرهم.

ويقول القرطبي في تفسيره:

وقوله: ﴿ وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك،

---

1 - أي أن الاستثناء هنا منقطع.

* فقال بعضهم: معناه: انبجس الماء من وجه الأرض، وفار التنور، وهو وجه الأرض.

* وقال آخرون: هو تنوير الصبح من قولهم: نور الصبح تنويرًا

* وقال آخرون: معنى ذلك: وفار على الأرض وأشرف مكان فيها بالماء. وقال: التنور أشرف الأرض

* هو التنور الذي يخبز فيه؛ لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وكلام الله لا يوجه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب إلا أن تقوم حجة على شيء منه بخلاف ذلك فيسلم لها، وذلك أنه جل ثناؤه إنما خاطبهم بها خاطبهم به لإفهامهم معنى ما خاطبهم به. { قلنا } لنوحٍ حين جاء عذابنا قومه الذي وعدنا نوحًا أن نعذبهم به، وفار التنور الذي جعلناً فورانه بالماء آية مجيء عذابنا بيننا وبينه لهلاك قومه.

وهناك من يقول: إن أصل كلمة تنور ربما يكون فارسي وتعني «بيت النار» أو عبري وتتكون من شقين «تن» وهو الدخان و «نور» أي النار، أو ربما يكون الأصل لهذه الكلمة سرياني والتي تعني «جبل الدخان أو النار».

من هذا كله يمكن القول أن التنور في قصة نوح (عليه الصلاة والسلام) لم يكن إلا بركان قد ثار (فار) معلناً بداية نزول العذاب على قوم نوح وهذا الرأي ضعيف ويضاهي ما ذكر عند حاخامات اليهود في التلمود جاء في روش هاشاناه (Rosh Hashanah) سنهدرين ١٠٨. إنه قد حاول حشد الآثمة دخول السفينة بالقوة، لكن الحيوانات البرية ظلت تراقب حول السفينة من فوقها، وقُتِلَ الكثيرون، بينما هرب الباقون، فقط ليلاقوا الموت في مياه الطوفان، لم يكن الماء وحده ليضعَ لهم نهاية، لأنهم كانوا عمالقة في القامات والقوة، عندما هددهم نوح بسوط الرب، كانوا يجيبون: «إذا جاءت مياه الطوفان من الأعلى، لن تصل أبداً إلى أعناقنا، وإن جاءت من الأسفل،

فنعال أقدامنا كبيرة بحيث تسدّ الينابيع.» لكن الرب أمر كل قطرة أن تمر خلال جهنم قبل أن تسقط إلى الأرض، فحرقَ المطرُ الساخن جلودَ الآثمة. والعقاب الذي حل بهم كان وفاقاً لجريرتهم، كما جعلتهم الشهوة ساخنين، لذا عوقبوا بالماء الفائر.

وإذا رجعنا إلى قواميس اللغة لمعرفة بعض معان الكلمة (وفار...) نجد.. فار يفور: فوراً. (فور):

١ - القدر: جعلها تفور. ٢ - الميزان: عمل له «فيارين»، وهما حديدتان تحيطان بلسان الميزان.

فار يفور: فواراً وفوراناً:

(فور) المسك: انتشرت رائحته فار يفور: فوراً وفوراناً وفؤوراً. (فور):

١ = ت القدر: غلت بشدة وارتفع ما فيها. ٢ - الماء: نبع من الأرض وتدفق. ٣ - العِرق: انتفخ وضرب. ٤ - ت النار: اشتعلت بشدة[1].

---

[1] - فرَّ / فرَّ إلى / فرَّ من فَرَرْتُ، يَفِر، افْرِرْ / فِرَّ، فَرّاً وفِراراً، فهو فارٌّ، والمفعول مفرور إليه.
فرّ اللِّصُّ / فرّ اللِّصُّ من المكان هرَب «فررْتُ من العدوّ / العقابي / الحركة، لاذا بالقرار، ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ﴾ ، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾.
فرّت فلانة من جمالها: كناية عن جمالها.
فرّ إلى أبيه: لجأ إليه، ذهب إليه «فَرَرْتُ إلى كتاب الله وسنَّة نبيِّه، - فرّ إلى الجبال، ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.
فَار الماء ونحوُه.
١ - اشتدّ غليانه وارتفع حتّى فاض، وصل درجة الغليان «فار الحساء / الشاي / البن، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾: فوران التَّنُّور كناية عن اشتداد الأمر وصعوبته، وإيذان لنوح ببدأ الطوفان ﴿إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾
٢ - أرْغى وأزبد وأطلق فقاقيع غاز يتناثر منها رذاذ رقيق «فارت كأس المياه الغازية» فار التَّنُّور:
نبع الماء وجاش بشدّة من تنور الخبز المعروف ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠].

١ - جاء في تفسير المراغي عن قوله تعالى:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾ [هود: ٤٠].

الفور والفوران: الارتفاع القوى، يقال في الماء إذا نبع وجرى، وإذا غلا وارتفع، والمراد منه هنا اشتداد غضب الله على أولئك المشركين الظالمين لأنفسهم وللناس، وحلول وقت انتقامه منهم، والتنور: ما يخبز فيه الخبز، اتفقت فيه لغة العرب والعجم وأهل بيت الرجل: نساؤه وأولاده وأزواجهم، ومجريها ومرساها: أي إجراؤها وإرساؤها، ومعزل: أي مكان عزلة وانفراد، وآوى: أي الجأ، وعصمه: حفظه، والبلع: ازدراد الطعام والشراب بسرعة، وغاض الماء غار في الأرض ونضب، والجودي: جبل بالموصل.

هذه الآيات غاية لما ذكر قبلها من الاستعداد لهلاكهم، ومقابلة السخرية بغير ابتئاس ولا ضجر.

وقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ أي حتى إذا جاء وقت أمرنا بهلاكهم، ونبع الماء من التنور وارتفع بشدة كما تفور القدر بغليانها، وكان ذلك علامة لنوح عليه السلام، والأقرب أن يكون المراد من التنور وجه الأرض، ويكون المعنى حتى إذا نبع الماء من وجه الأرض.

﴿ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ أي حتى إذا أمرنا قلنا لنوح آنئذ: احمل في السفينة من كل نوع من أنواع الحيوان زوجين اثنين ذكرا وأنثى، لتبقى بعد غرق سائر الأحياء فتتناسل ويبقى نوعها على الأرض.

﴿ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَ ﴾ أي واحمل فيها أهل بيتك ذكرانا وإناثا إلا من سبق عليه القول بأنهم من المغرقين بسبب ظلمهم كما قال: ﴿ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴾ واحمل من صدقك واتبعك من قومك.

﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ منهم، قيل إنهم كانوا ثمانية: نوحا عليه السلام وأهله وأبناءه الثلاثة وأزواجهم، ولم يبين الله ورسوله لنا عددهم، فحصره في عدد معين من قبيل الحدس والتخمين، كما لم يبين لنا أنواع الحيوان التي حملها ولا كيف حملها وأدخلها السفينة، وقد فصل ذلك في سفر التكوين.

﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ﴾ أي فحملهم نوح وقال اركبوا فيها باسم الله جريانها وإرساؤها، فهو الذي يتولّى ذلك بحوله وقوته، وحفظه وعنايته، وقد يكون المعنى: إن نوحا أمرهم بأن يقولوها كما يقولها على تقدير: اركبوا فيها قائلين باسم الله أي بتسخيره وقدرته مجراها حين تجرى، ومرساها حين يرسيها، لا بحولنا ولا بقوتنا.

﴿ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي إن ربى لواسع المغفرة لعباده حيث لم يهلكهم بذنوبهم، بل يهلك الكافرين الظالمين منهم، رحيم بهم إذ سخر لهم هذه السفينة لنجاة بقية الإنسان والحيوان من هذا الطوفان الذي اقتضته مشيئته.

أخرج الطبراني وغيره عن الحسن بن علي رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله «أمان لأمتي من الغرق إذا ركبوا الفلك أن يقولوا: بسم الله الملك الرحمن الرحيم ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ﴾ الآية.

﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ ﴾ أي هي تجرى بهم في موج يشبه الجبال في علوه وارتفاعه وامتداده، ومن كابد ما يحدث في البحار العظيمة من الأمواج حين ما تهيجها الرياح الشديدة عرف أن المبالغة في هذا التشبيه غير بعيدة، فإن السفينة لترى **كأنها تهبط في غور عميق كواد سحيق يرى البحر من جانبيه كجبلين عظيمين يكادان يطبقان عليها، وبعد هنيهة يرى أنها قد اندفعت إلى أعلى الموج كأنها في شاهق جبل تريد أن تنقضّ منه، والملاحون يربطون أنفسهم بالحبال على ظهرها وجوانبها لئلا يجرفهم ما يفيض من الموج عليها.**

ثم بين أن نوحا دعته الشفقة على ابنه فناداه كما أشار إلى ذلك بقوله:

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ أي وناداه حين الركوب في السفينة، وقبل أن تجرى بهم، وكان في مكان منعزل بعيد عن أبيه وإخوته ومن آمن من قومه، يا بني اركب معنا الفلك ولا تكن مع الكافرين الذين قضى عليهم بالهلاك.

فردّ ابنه عليه:

﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ﴾ أي قال سأصير إلى جبل أتحصن به من الماء فيحفظني من الغرق.

فأجابه نوح مبيّنا له خطأه:

﴿ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾ أي قال نوح لابنه لا شيء يعصم أحدا في هذا اليوم العصيب من عذاب الله الذي قضاه على الكافرين، فليس الأمر أمر ماء يتّقى بالأسباب العادية، وإنما هو انتقام من أشرار العباد الذين أشركوا بالله وظلموا أنفسهم وظلموا الناس بطغيانهم في البلاد، لكنه يحفظ من رحم ويعصمه، وقد اختص بهذه الرحمة من حملهم في السفينة، وكان الماء قد بدأ يرتفع أثناء الحديث حتى حال بين الولد ووالده فكان من المغرقين الهالكين.

وقد وصف سبحانه هذا الطوفان في سورة القمر قال: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَـٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَـٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ ﴾.

وإنه لمنظر تشيب من هوله الولدان، ماء ينهمر من السماء انهمارا، وأرض تتفجر فتفيض ماء ثجاجا يصير بحرا متلاطم الأمواج، تغطت من تحته الأرض بجبالها ووديانها.

وخفيت من فوقه السماء بكواكبها وشمسها، وكانت عليه السفينة.

ثم ذكر ما حدث بعد هلاكهم مبينا قدرته تعالى فقال:

﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ٤٤] أي وجاء نداء من الملأ الأعلى خوطبت به الأرض والسماء: يا أرض ابلعي ماءك الذي عليك والذي تفجر من باطنك، ويا سماء كفّي عن المطر، فلم يلبث أن غاض الماء امتثالا للأمر، وقضى الأمر بإهلاك الظالمين واستقرت السفينة راسية على جبل الجودي، وقيل هلاكا وسحقا للظالمين، وبعدا لهم من رحمة الله بما كان من ظلمهم وفقدهم الاستعداد للتوبة والرجوع إلى الله

٢ - وجاء في تفسير المنار لمحمد رشيد رضا:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا ﴾ هذا بيان لابتداء الغاية مما ذكر قبله من الاستعداد لهلاك قوم نوح، أي: وكان يصنع الفلك كما أمر، ويقابل السخرية بغير ابتئاس ولا ضجر، حتى إذا جاء وقت أمرنا بهلاكهم ﴿ وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ اشتد غضب الله - تعالى -، فهو مجاز كحمي الوطيس، أو فار الماء من التنور عند نوح؛ لأنه بدأ ينبع من الأرض. والتنور الذي يخبز فيه الخبز معروف عند العرب.

قيل: إن التاء أصلية فيه، وقيل: زائدة، وقد اتفقت فيه لغة العرب والعجم، وقيل: أول من صنعه حواء أم البشر وأن تنورها بقي إلى زمن نوح، وأنه هو المراد هنا، وهذا مما لا يوثق به، والفور والفوران ضرب من الحركة والارتفاع القوي، يقال في الماء إذا نبع وجرى، وإذا غلا وارتفع، قال في الأساس: فارت القدر، وفارت فوراتها، وعين

فوارة في أرض خوارة، وفار الماء من العين. ومن المجاز: فار الغضب، وأخاف أن تفور عليَّ، وقال ذلك في فورة الغضب اهـ.

وقال الراغب في مفردات القرآن: الفور شدة الغليان، ويقال ذلك في النار نفسها إذا هاجت، وفي القِدْر وفي الغضب، نحو: وهي تفور ﴿ وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ اهـ.

والمتبادر من فوران التنور هنا اشتداد غضب الله - تعالى - على أولئك المشركين الظالمين لأنفسهم وللناس، وحلول وقت انتقامه منهم، وقد روي فيه عن مفسري الصحابة والتابعين بضعة أقوال ما أراها إلا من الإسرائيليات، أقربها إلى اللغة أن التنور أطلق في اللغة على تنور الفجر، وأن المراد من فورانه هنا ظهور نوره، وهو مروي عن علي - كرم الله وجهه، يعني أن هذا الوقت موعدهم كقوم لوط[1].

والثاني: أن المراد منه فوران الماء من تنور الخبز وكان ذلك علامة لنوح - عليه السلام -، وهو يتوقف على رواية مرفوعة وينسب إلى ابن عباس - رضي الله عنه - وأقرب منه أن يكون أول نبع ماء الطوفان من الأرض. ولا يصح في هذه الآثار ولا في أمثالها رواية مرفوعة يحتج بها.

﴿ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ قرأ حفص كلمة ﴿ كُلٍّ ﴾ هنا بالتنوين، وجمهور القراء بالإضافة لما بعدها، أي: حتى إذا جاء موعد أمرنا قلنا لنوح حينئذ: ﴿ ٱحْمِلْ فِيهَا ﴾ أي في الفلك، وهو السفينة - من كل زوج اثنين ذكرا وأنثى.

والتقدير على قراءة حفص: احمل فيها من كل نوع من الأحياء أو الحيوان زوجين اثنين ذكرا وأنثى لأجل أن تبقى بعد غرق سائر الأحياء فتتناسل ويبقى نوعها على الأرض: ﴿ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ ﴾ أي: واحمل فيها أهل بيتك ذكورا وإناثا، وأهل بيت الرجل عند الإطلاق نساؤه وأولاده وأزواجهم، والظاهر أن المستثنى منهم كفارهم إن كان فيهم كفار، لأنهم يدخلون في عموم قوله: ﴿ وَلَا

١- ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾.

﴿تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾ وإلا كان المستثنى ولده الذي ستذكر قصته قريبا ﴿وَمَنۡ ءَامَنَۚ﴾ معك من قومك ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾ منهم، ولم يبين لنا الله – تعالى – ولا رسوله عددهم، فكل ما قاله المفسرون فيهم مردود لا دليل عليه كما قال ابن جرير الطبري، كما أنه لم يبين لنا أنواع الحيوانات التي حملها، ولا كيف جمعها وأدخلها السفينة وهي مفصلة في سفر التكوين، وللمفسرين فيها إسرائيليات مضحكة نخالفها، لا ينبغي تضييع شيء من العمر في نقلها وإشغال القراء بها.

﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ﴾ يقال: ركب الدابة والسفينة وركب على الدابة لأنه يعلوها، وفي السفينة لأنه يكون مظروفا فيها وإن جلس على ظهرها وهو المستعمل في القرآن، قرأ بعض أئمة القراء مجراها بفتح الميم بإمالة الراء وتركها وهو مصدر ميمي لجرت السفينة تجري موافق لقوله الآتي: ﴿وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ﴾ وقرأها الآخرون بضم الميم وهو مصدر ميمي لأجرى على إرادة إجراء الله – تعالى – لها. وقرأوا كلهم: ﴿مُرۡسَىٰهَآۚ﴾ بضم الميم؛ بمعنى أن الله – تعالى – هو الذي سيرسيها، ورسو السفينة وقوفها، والمجرى والمرسى يجيئان اسميْ زمان ومكان أيضا. وهذه الجملة يحتمل أن يكون قالها نوح – عليه السلام – عند أمرهم بركوب السفينة معه امتثالا لأمر الله – تعالى – في الآية التي قبلها، فتكون بشارة لهم بحفظه – تعالى – لها ولهم، أي: باسم الله جريانها وإرساؤها فهو الذي يتولى بحوله وقوته، وحفظه وعنايته، ويحتمل أن يكون أمرهم بأن يقولوها كما يقولها على تقدير: اركبوا فيها قائلين باسم الله، أي بتسخيره وقدرته ﴿مَجۡرٜىٰهَا﴾ حين تجري أو حين جريها ﴿وَمُرۡسَىٰهَآۚ﴾ حين يرسيها، لا بحولنا ولا قوتنا ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ أي: إنه لواسع المغفرة لعباده حيث لم يهلكهم جميعهم بذنوبهم وتقصيرهم، وإنما يهلك الكافرين الظالمين وحدهم، رحيم بهم بما سخر لهم هذه السفينة لنجاة بقية الإنسان والحيوان من هذا الطوفان الذي اقتضته مشيئته.

أخرج أبو يعلى والطبراني وابن السني وغيرهم عن الحسن بن على – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «أمان لأمتي من الغرق إذا ركبوا الفلك

أن يقولوا: باسم الله الملك الرحمن ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِٰىهَا ﴾ » الآية ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ الآية، والظاهر أن المراد بالآية الثانية آية سورة الزمر، والله أعلم[1].

٣ – جاء في تفسير ابن كثير:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود: ٤٠].

هذه مواعدة من الله تعالى لنوح، عليه السلام، إذا جاء أمر الله من الأمطار المتتابعة، والهتان الذي لا يقلع ولا يفتر، بل هو كما قال تعالى: ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝ ﴾ [القمر: ١١ – ١٤].

وأما قوله: ﴿ وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ فعن ابن عباس: التنور: وجه الأرض، أي: صارت الأرض عيونا تفور، حتى فار الماء من التنانير التي هي مكان النار، صارت تفور ماء، وهذا قول جمهور السلف وعلماء الخلف.

وعن على بن أبي طالب، رضي الله عنه: التنور: فلق الصبح، وتنوير الفجر، وهو ضياؤه وإشراقه.

والأول أظهر.

وقال مجاهد والشعبي: كان هذا التنور بالكوفة، وعن ابن عباس: عين بالهند. وعن قتادة: عين بالجزيرة، يقال لها: عين الوردة. وهذه أقوال غريبة.

فحينئذ أمر الله نوحا – عليه السلام – أن يحمل معه في السفينة من كل زوجين من صنوف المخلوقات ذوات الأرواح – قيل: وغيرها من النباتات – اثنين. ذكرا وأنثى، فقيل: كان أول من أدخل من الطيور الدرة، وآخر من أدخل من الحيوانات الحمار،

---

١ – تفسير المنار لمحمد رشيد رضا لسورة هود.

فدخل إبليس متعلقا بذنَبه، فدخل بيده، وجعل يريد أن ينهض فيثقله إبليس وهو متعلق بذنبه، فجعل يقول له نوح: مالك؟ ويحك. ادخل. فينهض ولا يقدر، فقال: ادخل وإن كان إبليس معك فدخلا في السفينة.

وذكر أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود أنهم لم يستطيعوا أن يحملوا معهم الأسد، حتى ألقيت عليه الحمى.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث، حدثني الليث، حدثني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم. عن أبيه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «لما حمل نوح في السفينة من كل زوجين اثنين، قال أصحابه: وكيف يطمئن - أو تطمئن - المواشي ومعها الأسد؟ فسلط الله عليه الحمى، فكانت أول حمى نزلت الأرض، ثم شكوا الفأرة فقالوا: الفويسقة تفسد علينا طعامنا ومتاعنا. فأوحى الله إلى الأسد، فعطس، فخرجت الهرة منه، فتخبأت الفأرة منها.

وقوله: ﴿ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ ﴾ أي: «واحمل فيها أهلك، وهم أهل بيته وقرابته «إلا من سبق عليه القول منهم، ممن لم يؤمن بالله، فكان منهم ابنه «يام» الذي انعزل وحده، وامرأة نوح وكانت كافرة بالله ورسوله.

وقوله: ﴿ وَمَنْ ءَامَنَ ﴾ أي: من قومك، ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ أي: نزر يسير مع طول المدة والمقام بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عاما، فعن ابن عباس: كانوا ثمانين نفسا منهم نساؤهم.

وعن كعب الأحبار: كانوا اثنين وسبعين نفسا. وقيل: كانوا عشرة. وقيل: إنما كانوا نوح وبنوه الثلاثة سام، وحام، ويافث، وكنائنه الأربع نساء هؤلاء الثلاثة وامرأة يام. وقيل: بل امرأة نوح كانت معهم في السفينة، وهذا فيه نظر، بل الظاهر أنها هلكت؛ لأنها كانت على دين قومها، فأصابها ما أصابهم، كما أصاب امرأة لوط ما أصاب قومها، والله أعلم وأحكم[1].

١- تفسير ابن كثير.

٤ - جاء في تفسير القرطبي للآية:

ويصنع الفلك أي وطفق يصنع. قال زيد بن أسلم: مكث نوح - صلى الله عليه وسلم - مائة سنة يغرس الشجر ويقطعها وييبسها، ومائة سنة يعملها. وروى ابن القاسم عن ابن أشرس عن مالك قال: بلغني أن قوم نوح ملأوا الأرض، حتى ملأوا السهل والجبل، فما يستطيع هؤلاء أن ينزلوا إلى هؤلاء، ولا هؤلاء أن يصعدوا إلى هؤلاء فمكث نوح يغرس الشجر مائة عام لعمل السفينة، ثم جمعها ييبسها مائة عام، وقومه يسخرون؛ وذلك لما رأوه يصنع من ذلك، حتى كان من قضاء الله فيهم ما كان.

وروي عن عمرو بن الحارث قال: عمل نوح سفينته ببقاع دمشق، وقطع خشبها من جبل لبنان. وقال القاضي أبو بكر بن العربي: لما استنقذ الله سبحانه وتعالى من في الأصلاب والأرحام من المؤمنين أوحى الله إليه ﴿ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ۝ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ ﴾ قال: يا رب ما أنا بنجار،

قال: بلى فإن ذلك بعيني، فأخذ القدوم فجعله بيده، وجعلت يده لا تخطئ، فجعلوا يمرون به ويقولون: هذا الذي يزعم أنه نبي صار نجارا؛ فعملها في أربعين سنة.

وحكى الثعلبي وأبو نصر القشيري عن ابن عباس قال: اتخذ نوح السفينة في سنتين. زاد الثعلبي: وذلك لأنه لم يعلم كيف صنعة الفلك، فأوحى الله إليه أن اصنعها كجؤجؤ الطائر.

وقال كعب: بناها في ثلاثين سنة، والله أعلم. وجاء في الخبر أن الملائكة كانت تعلمه كيف يصنعها.

واختلفوا في طولها وعرضها: فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - (كان طولها ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسون، وسمكها ثلاثون ذراعا؛ وكانت من خشب الساج). وكذا قال الكلبي وقتادة وعكرمة كان طولها ثلاثمائة ذراع، والذراع إلى المنكب. قاله سلمان الفارسي.

وقال الحسن البصري: إن طول السفينة ألف ذراع ومائتا ذراع، وعرضها ستمائة ذراع. وحكاه الثعلبي في كتاب العرائس. وروى على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال: (قال الحواريون لعيسى - عليه السلام -: لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها، فانطلق بهم حتى انتهى إلى كثيب من تراب فأخذ كفا من ذلك التراب، قال أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: هذا كعب حام بن نوح قال فضرب الكثيب بعصاه وقال: قم بإذن الله، فإذا هو قائم ينفض التراب من رأسه، وقد شاب؛ فقال له عيسى: أهكذا هلكت؟ قال: لا بل مت وأنا شاب؛ ولكنني ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت. قال: أخبرنا عن سفينة نوح؟ قال: كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع، وعرضها ستمائة ذراع، وكانت ثلاث طبقات: طبقة فيها الدواب والوحش، وطبقة فيها الإنس، وطبقة فيها الطير.

وذكر باقي الخبر.

وقال الكلبي فيما حكاه النقاش: ودخل الماء فيها أربعة أذرع، وكان لها ثلاثة أبواب؛ باب فيه السباع والطير، وباب فيه الوحش، وباب فيه الرجال والنساء. ابن عباس جعلها ثلاثة بطون؛ البطن الأسفل للوحوش والسباع والدواب، والأوسط للطعام والشراب، وركب هو في البطن الأعلى، وحمل معه جسد آدم - عليه السلام - معترضا بين الرجال والنساء، ثم دفنه بعد ببيت المقدس؛ وكان إبليس معهم في الكوثل.

وقيل: جاءت الحية والعقرب لدخول السفينة فقال نوح: لا أحملكما؛ لأنكما سبب الضرر والبلاء، فقالتا: احملنا فنحن نضمن لك ألا نضر أحدا ذكرك؛ فمن قرأ حين يخاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين لم تضراه؛ ذكره القشيري وغيره. وذكر الحافظ ابن عساكر في التاريخ له مرفوعا من حديث أبي أمامة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: من قال حين يمسي صلى الله على نوح وعلى نوح السلام لم تلدغه عقرب تلك الليلة.

قوله تعالى : ﴿ وَكُلَّمَا ﴾ ظرف.

﴿ مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ ﴾ قال الأخفش والكسائي يقال: سخرت به ومنه. وفي سخريتهم منه قولان:

أحدهما: أنهم كانوا يرونه يبني سفينته في البر، فيسخرون به ويستهزئون ويقولون:

يا نوح صرت بعد النبوة نجارا.

الثاني: لما رأوه يبني السفينة ولم يشاهدوا قبلها سفينة بنيت قالوا: يا نوح ما تصنع؟ قال: أبني بيتا يمشي على الماء؛ فعجبوا من قوله وسخروا منه. قال ابن عباس: (ولم يكن في الأرض قبل الطوفان نهر ولا بحر)؛ فلذلك سخروا منه؛ ومياه البحار هي بقية الطوفان.

﴿ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا ﴾ أي من فعلنا اليوم عند بناء السفينة.

﴿ فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ غدا عند الغرق. والمراد بالسخرية هنا الاستجهال؛ ومعناه إن تستجهلونا فإنا نستجهلكم كما تستجهلوننا.

قوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴾ تهديد، و «من» متصلة ب «سوف» تعلمون و «تعلمون» هنا من باب التعدية إلى مفعول؛ أي فسوف تعلمون الذي يأتيه العذاب. ويجوز أن تكون «مَن» استفهامية؛ أي أينا يأتيه العذاب؟.

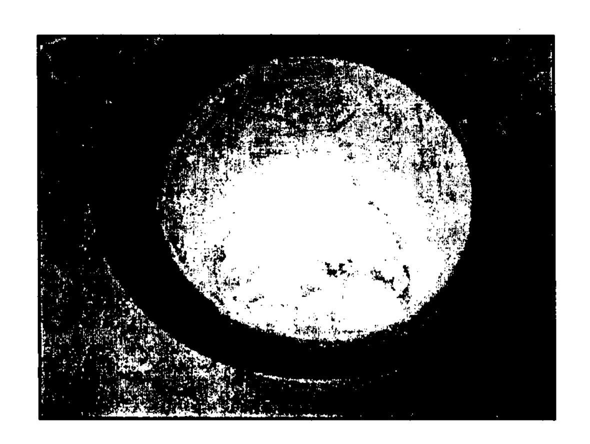
وقيل: «من» في موضع رفع بالابتداء و «يأتيه» الخبر، و «يخزيه» صفة لـ «عذاب».

وحكى الكسائي: أن أناسا من أهل الحجاز يقولون: سو تعلمون؛ وقال من قال: ستعلمون أسقط الواو والفاء جميعاً. وحكى الكوفيون: سف تعلمون؛ ولا يعرف البصريون إلا سوف تفعل، وستفعل لغتان ليست إحداهما من الأخرى.

ويحل عليه أي يجب عليه وينزل به.

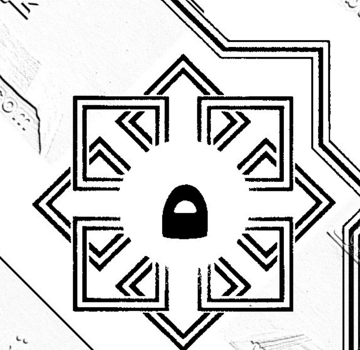
عذاب مقيم أي دائم، يريد عذاب الآخرة.

قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ اختلف في التنور على أقوال سبعة وقد ذكر تلك الأقوال السبعة من قبل.





صورة للتنور المعروف لدى الناس



"الجودي" هو المستقر الأخير لسفينة نوح

- جبل «الجودي» في اللغة وعند أهل التفسير والتاريخ الإسلامي.
- الجبل الذي استقرت عليه سفينة نوح في التوراة.
- المكان الذي استقرت عليه سفينة نوح في التوراة.

جبل «الجودي» في اللغة وعند أهل التفسير والتاريخ الإسلامي

قال تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ٤٤] .

احتار الباحثون عن مكان مستقر سفينة نوح حيث ذكر القرآن الكريم أنها استقرت على الجودي وفي التوراة على جبل أرارات، والحقيقة هي ما ذكره القرآن الكريم، ولكن أين يقع الجودي وما هو؟وهل هو جبل أو مكان؟

سوف نحاول التعرف عليه من خلال أقوال أهل الدقة والتفسير والتاريخ الإسلامي.

جاء في لسان العرب:

- وجيدت الأرض: سقاها الجود؛ ومنه الحديث: تركت أهل مكة وقد جيدوا أي مطروا مطراً جوداً.

وتقول: مطرنا مطرتين جودين.

وأرض مجودة: أصابها مطر جود؛ وقال الأصمعي: الجود أن تمطر الأرض حتى يلتقي الثريان.

والجودى موضع، وقيل جبل، وقال الزجاج: هو جبل بآمد وقيل: جبل بالجزيرة استوت عليه سفينة نوح، على نبينا محمد وعليه الصلاة والسلام؛ وفي التنزيل العزيز: واستوت على الجودِيِّ؛ وقرأ الأعمش واستوت على الجودِى، بإرسال الياء وذلك جائز للتخفيف أو يكون سمى بفعل الأنثى مثل حطي، ثم أدخل عليه الألف واللام؛ عن الفراء؛ وقال أمية بن أبي الصلت:

سبحانه ثم سبحاناً يعود له   وقبلنا سبح الجودي والجمد

وأبو الجودى: رجل؛ قال:

لو قد حداهن أبو الجودى   برجــز مسحنفر الــروى

بمستويات كنوى البرني

وقد روى أبو الجوذى، بالذال.

والجودياء، بالنبطية أو الفارسية: الكساء؛ وعربه الأعشى فقال:

وبيــداء تحسب آرامها   رجــال إياد بأجيادهــا

وجودان: اسم قال: الجوهري والجادي الزعفران؛ قال كثير عزة:

يباشرن فأر المسك في كل مهجع   ويشــرق جــادي بهــن مفيـد

المفيد: المدوف.

وبالتالي قد يكون الجودي اسم جبل قد احتضن السفينة بعد انتهاء الطوفان والله أعلم.

ففي الصحاح في اللغة: والجودى: جبل بالجزيرة استوت عليه سفينة نوح، عليه السلام.

وهذا تأكيد آخر لغوي من الاسم أنه اسم جبل في الجزيرة (بين مكة وصنعاء).

وعند أهل التاريخ الإسلامي نجد أن المسعودي، يقول: استوت على جبل الجودي على بعد ثمانية فراسخ من دجلة، إذا يمكن مشاهدة المكان حتى الآن، وتعادل الثمانية فراسخ حوالي ٢٥ - ٣٠ ميلاً وهو يؤدي إلى جبل كودى دانح.

وعند ابن حوقل في القرن العاشر الميلادي: الجودي قرب مدينة نصيبين الحالية ويذكر أن نوحاً بنى قرية عند سفح الجبل.

وأما عند أهل التفاسير نرى أن في تفسير الجلالين «وقفت السفينة» على الجودي «جبل بالجزيرة بقرب الموصل».

وفي تفسير الطبري:

﴿ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ﴾ يعني الفلك. استوت: أرست على الجودى، وهو جبل فيما ذكر بناحية الموصل أو الجزيرة. (الجزيرة مكان قرب الموصل).

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن نمير، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ﴾ قال: جبل بالجزيرة، تشامخت الجبال من الغرق، وتواضع هو لله فلم يغرق، فأرسيت عليه.

عن مجاهد: ﴿ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ﴾ قال: الجودي جبل بالجزيرة، تشامخت الجبال يومئذ من الغرق وتطاولت، وتواضع هو لله فلم يغرق، وأرسيت سفينة نوح عليه.

وعن ابن عباس، قوله: ﴿ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ﴾ يقول: على الجبل، واسمه الجودي ﴿ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ﴾ قال: جبل بالجزيرة شمخت الجبال وتواضع حين أرادت أن ترفأ عليه سفينة نوح.

عن قتادة: ﴿ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ﴾ أبقاها الله لنا بوادي أرض الجزيرة عبرة وآية عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول: ﴿ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ﴾ هو جبل بالموصل.

وفي تفسير ابن كثير جاء فيه:

علي الجودى، قال مجاهد: وهو جبل بالجزيرة تشامخت الجبال يومئذ من الغرق وتطاولت وتواضع هو لله عز وجل فلم يغرق وأرست عليه سفينة نوح عليه السلام وقال قتادة استوت عليه شهراً حتى نزلوا منها.

قال قتادة: قد أبقى الله سفينة نوح عليه السلام على الجودي من أرض الجزيرة عبرة وآية حتى رآها أوائل هذه الأمة، وكم من سفينة قد كانت بعدها فهلكت وصارت رماداً. وقال الضحاك: الجودي جبل بالموصل وقال بعضهم هو الطور.

وجاء في تفسير القرطبي:

إن الجودي اسم لكل جبل، ومنه قول زيد بن عمرو بن نفيل.

سبحانه ثم سبحاناً يعود له   وقبلنا سبح الجودي والجمد

ويقال: إن الجودي من جبال الجنة؛ فلهذا استوت عليه. ويقال: أكرم الله ثلاثة جبال بثلاثة نفر: الجودي بنوح، وطور سيناء بموسى، وحراء بمحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

لما تواضع الجودي وخضع عز، ولما ارتفع غيره واستعلى ذل، وهذه سنة الله في خلقه، يرفع من تخشع، ويضع من ترفع؛ ولقد أحسن القائل:

وإذا تذللت الرقاب تخشعاً   منـــا إليك فعزها في ذلها.

وفي صحيح البخاري ومسلم عن أنس بن مالك قال: كانت ناقة للنبي ﷺ تُسمي العضباء؛ وكانت لَّما تسبق؛ فجاء أعرابي على قعود له فسبقها، فاشتد ذلك على المسلمين؛ وقالوا: سُبقت العضباء ! فقال رسول الله ﷺ «إن حقًّا على الله ألا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه».

وخرج مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله». وقال ﷺ: «إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد» أخرجه البخاري.

وفي تفسير البيضاوي:

على الجودي جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل.

وفي الإتقان في علوم القرآن: والجودى: هو جبل بالجزيرة.

وفي الكشاف للزمخشري:

﴿ وَٱسْتَوَتْ ﴾ واستقرت السفينة ﴿ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ﴾ وهو جبل بالموصل.

وفي تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي:

﴿ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ﴾ جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل.

وفي زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي:

قال ابن عباس: دارت السفينة بالبيت أربعين يوماً، ثم وجهها الله إلى الجودي فاستقرت عليه.

واختلفوا أين هذا الجبل على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه بالموصل، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الضحاك.

والثاني: بالجزيرة، قاله مجاهد، وقتادة. وقال مقاتل: هو بالجزيرة قريب من الموصل.

والثالث: أنه بناحية آمد، قاله الزجاج.

وفي تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي:

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد رضي الله عنه قال: الجودي جبل بالجزيرة، تشامخت الجبال يومئذ من الغرق وتطاولت، وتواضع هو لله تعالى فلم يغرق، وأرسلت عليه سفينة نوح.

وأخرج ابن جرير عن الضحاك رضي الله عنه قال: الجودي جبل بالموصل.

وفي الوجيز للواحدي:

﴿ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ﴾ وهو جبل بالجزيرة.

وعند الكشف والبيان للثعلبي:

﴿ وَٱسْتَوَتْ ﴾ يعني السفينة استقرت ورست وحلت ﴿ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ﴾ وهو جبل بالجزيرة بقرب الموصل.

الجبل الذي استقرت عليه سفينة نوح في التوراة

جاء ذكر الجبل الذي استقرت عليه سفينة نوح باسم أرارات في سفر التكوين وكذلك جاء ذكر أرض أرارات في مواضع أخرى من التوراة ـ(العهد القديم).. نذكر ما جاء في سفر التكوين

«٨: ٤ واستقر الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبال أراراط».

«٨: ٥ وكانت المياه تنقص نقصاً متوالياً إلى الشهر العاشر وفي العاشر في أول الشهر ظهرت رؤوس الجبال».

يذكر سفر التكوين بأنه استقر في منطقة جبال أراراط ويذكر أنها منطقة جبلية بها عدد من الجبال ظهرت قممها تباعاً أثناء نزول معدل المياه والفلك كان مستقرا على مياه هذه المنطقة.

وكلمة استقرت أي ظلت في مكانها حتى هدأت حركتها وذكر النص أنها جبال وليس جبلاً واحداً.

ويقول قاموس سترونج إن أراراط كلمة أرمنية وهو منطقة في شرق منطقة أرمنيا بين نهر أركسيس وبحيرات فان أور ومياه وهو مكان رسو فلك نوح.

لهذا في الفلجاتا مكتوب جبال أرمنيا ويوسيفوس المؤرخ اليهودي قال إن جبال أراراط هي جبال أرمنيا.

وجاء ذكر أرض أراراط وليس جبل في سفر أشعياء الترجمة السبعينية إلى أرض أرمنيا أي أن أراراط هي أرمنيا. وهو منطقة بالأرمنية اسمها أراراط ومذكورة في وثائق قديمة جدًّا بهذا الاسم مثل مخطوطة بروسيوس تقع بين بحيرة فان وبحيرات يرميا وهو المنطقة التي استقر عليها فكل نوح.

وأصل الكلمة القديم جدًّا هو أرجورات أي أرض مقدسة وهذا البحث الذي توصل إليه سميث ديويت في أصول اللغة الأرمنية.

وهي أتت من أصل أكادي قديم جدًّا اسمها أروراطو لمنطقة في شمال أشور مشتركة مع أرمنيا.

ونشأت بها مملكة اسمها أرارطو من ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد. حيث كانت تسكن هناك قبائل لها أكثر من أصل[1].

وفي سفر الملوك الثاني ١٩: ٣٧ جاء ذكر أراراط على أنها أرض:

«وفيما هو ساجد في بيت نسروخ إلهه، ضربه أذرملك وشراصر ابناه بالسيف، ونجوا إلى أرض أراراط، وملك آسر حدون ابنه عوضاً عنه».

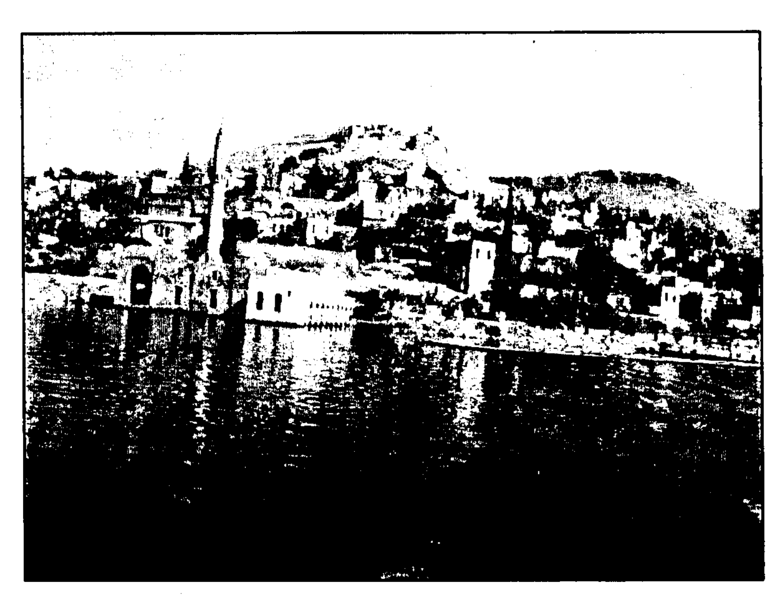
وفي (سفر إشعياء ٣٧: ٣٨) جاء أراراط على أنها أرض أيضاً:

«وفيما هو ساجد في بيت نسروخ إلهه، ضربه أذرملك وشراصر ابناه بالسيف، ونجوا إلى أرض أراراط، وملك آسر حدون ابنه عوضاً عنه».

وفي سفر إرميا ٥١: ٢٧ أيضاً جاء:

«ارفعوا الراية في الأرض. اضربوا بالبوق في الشعوب قدسوا عليها الأمم. نادوا عليها ممالك أراراط ومني وأشكناز. أقيموا عليها قائداً. أصعدوا الخيل كغوغاء مقشعرة».

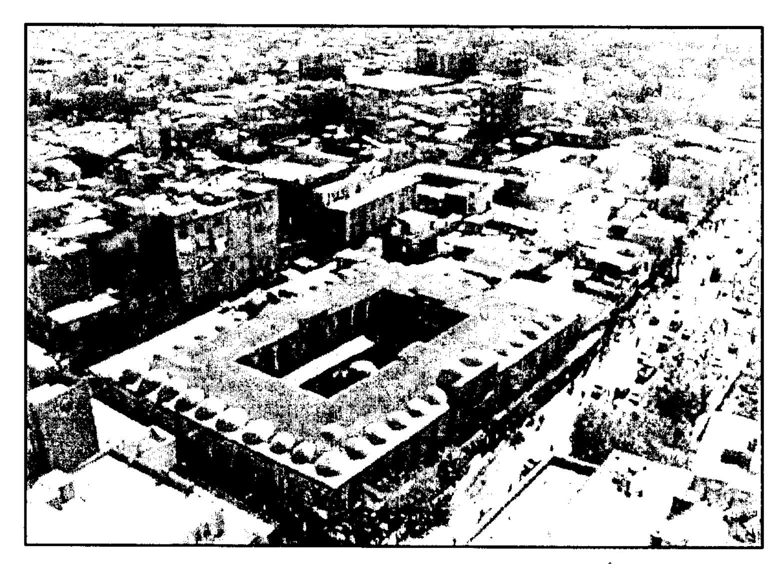
١- أراراط منطقة جبلية محاطة بالجبال عرضها تقريباً ١٣ كم، تقع على الحدود بين تركيا وأرمينيا وبها عدة قمم.



ديار بكر التي يقال إن جبل الجودي بها .. هي أكبر مدينة في جنوب شرق تركيا



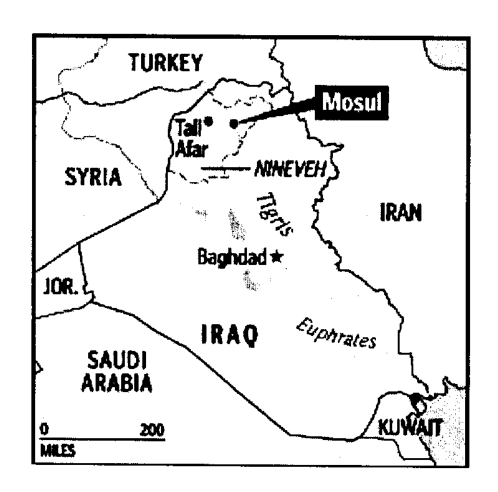
أثر سفينة نوح على جبل الجودي في ديار بكر كما صورها علماء الآثار



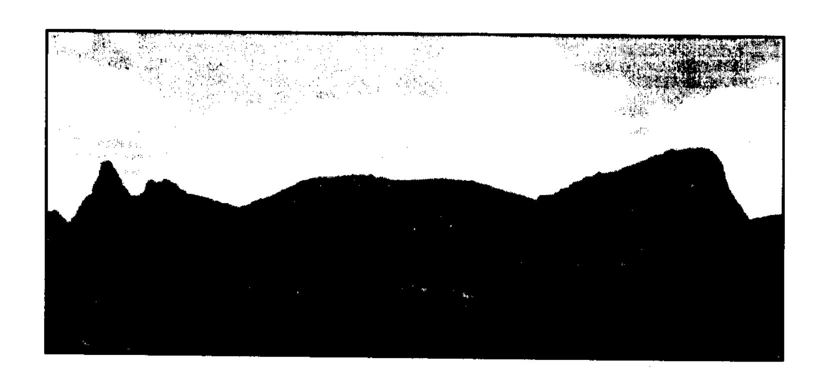
أمد بديار بكر التركية التي قيل إن بها جبل الجودي



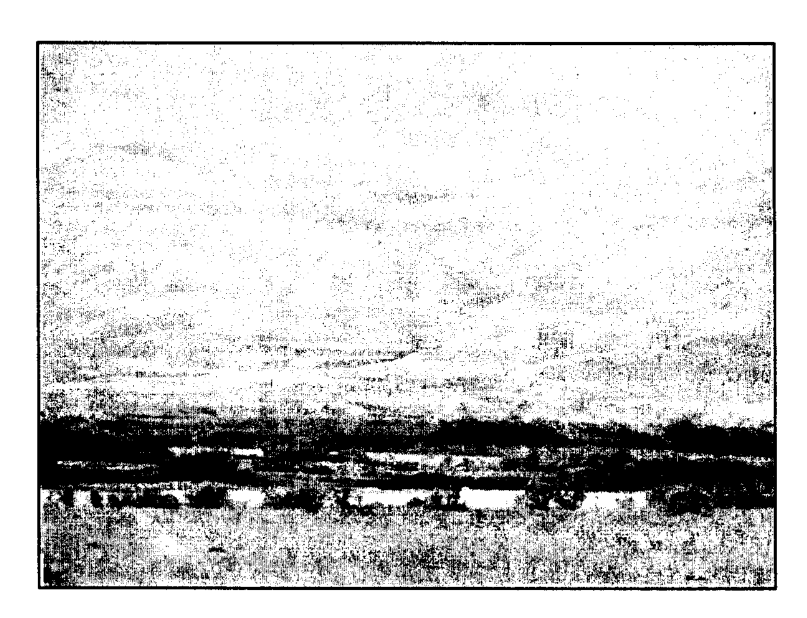
مدينة الموصل القديمة



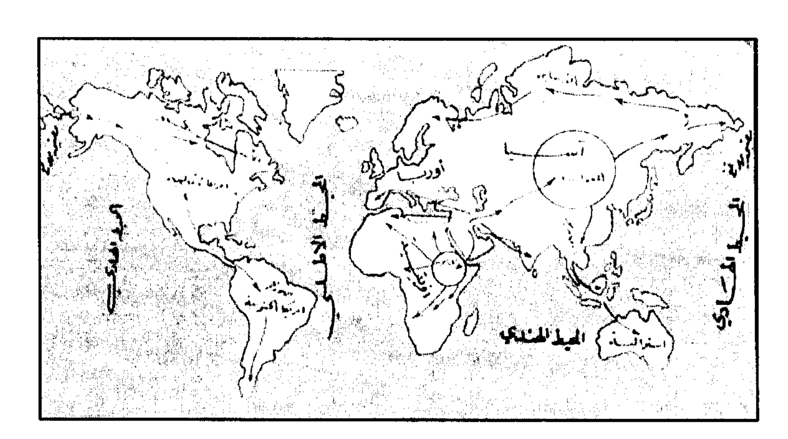
خريطة للموصل وهي على الحدود العراقية التركية الآن ويقال إن سفينة نوح رست هناك



جبل الجودي بجزيرة ابن عمر في الجانب الشرقي من نهر دجلة



جزيرة ابن عمر الذي يطل عليها جبل يقال إنه الجودي وهي بلدة وقضاء في محافظة شرناق في منطقة جنوب شرق الأناضول في تركيا، الواقعة على حدود سوريا. تقع شمال غرب الموصل وشمال غرب نقطة الحدود الثلاثية التركية – السورية – العراقية وأقصى نقطة في شمال شرق سوريا بحدودها الحالية ضمن حدود تركيا. تقع جنوب شرق الأقاليم السورية الشمالية التي ألحقت بتركيا بموجب معاهدة لوزان التي عدلت الحدود المتفق عليها في معاهدة سيفر عام ١٩٢٠ في أعقاب الحرب العالمية الأولى.



جزيرة ابن عمر .. وسميت الجزيرة بهذا الاسم نسبة لمؤسس المدينة عبدالعزيز بن عمر وهو رجل من الموصل. غالبية المدينة من العرب والأكراد.

جبل أرارات وجبل الجودي في تركيا

أشار القرآن الكريم إلى جبل الجودي حيث تحدث عن استقرار سفينة نوح بعد انتهاء الطوفان، قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ﴾ [هود: ٤٤]، وجاء في العهد القديم (التوراة) في سفر التكوين أنها رست على جبل أرارات.. فما هو جبل أرارات وما هو جبل الجودى؟

١- جبل أرارات هو أعلى قمة جبلية (٥١٦٥ م) بتركيا. جبل أرارات بركان نائم تغطيه الثلوج، يقع في شمال منطقة شرق الأناضول بمحافظة أغري، على بعد ١٦ كلم من الحدود مع إيران و ٣٢ كلم من الحدود مع أرمينيا.

يبلغ قطر جبل أرارات حوالي ٤٠ كيلومتر يحاذي حدود إيران وتركيا وأرمينيا وأذربيجان. وله قمتان: ماسيس الكبير (أعلى قمة في هضبة أرمينيا بارتفاع ٥.١٣٧)، وماسيس الصغير أقل ارتفاعاً (بارتفاع ٣.٨٩٦). وتشكل الجبل نتيجة لثورات البركانية وكميات الحمم. سجل آخر نشاط زلزالي في شهر يوليو من سنة ١٨٤٠ م.

ويعتقد أهل الكتاب أنه الجب الذي استقرت عليه سفينة نوح على قمته، كما يحظى بمكانة رفيعة لدى الأرمن، حيث يرتبط بالقومية الأرمنية منذ عصور ما قبل الميلاد.

وقد تمكن فريدريتش بارو (ابن أول رئيس لجامعة تارتو باستونيا) لأول مرة من تسلق الجبل والوصول لقمته برفقة أربعة من الطلبة. سنة ١٨٢٩.

٢- جبل كودي دانج: هو جب يَطلق عليه البعض جبل جودي ويقع على بعد حوالي ٢٠٠ ميل تقريباً إلى الجنوب من جب أرارات في جنوب تركيا قرب الحدود السورية العراقية أي جنوب شرق تركيا في محافظة شرناق التركية.

وقد ظن البعض أنه جبل الجودي المذكور في قصة نوح بالقرآن الكريم والتي رست عليه سفينة نوح كما جاء في سورة هود: ﴿ وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ

وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [هود: ٤٤].

ولكن لم يثبت حتى الآن أن جبل أرارات أو جبل (كودي دانج) بتركيا هما المقصودان برسو سفينة نوح.

ويجرى نهر دجلة عند قاعدة جبل كودي دانج حيث يمضي في طريقه عبر سوريا ثم العراق، وهذا الجبل يدعى في الأدبيات التاريخية باسم جب لاالجودي (Judi Mt) أو جبل كاردو (Mt Quardu) أو جبل كوردنيي أو جبال كورديان أو جبال كاردوجين (The Karduchian of the mauntains) أو جبال الأجراد: mountains of the kurds وهو جبل مغطى بالثلوج طيلة العام وتذكر الموسوعة الإسلامية أن ارتفاعه أكثر من ١٣ ألف قدم وهو على بعد ٢٥ ميلاً من نهر دجلة شرق مدينة جزر التركية (Gizre).

ويطل جبل «كودي يانج» على بلاد ما بين النهرين وكان الملك الأشوري سنحاريب (سنة ٧٠٠ م) قد قام بصناعة بخوت صخرية بارزة لنفسه جانب الجبل.

وقد قامت طائفة النسطوريون المسيحية ببناء عدة أديرة على هذا الجبل منها دير يسمى «دير السظفينة» على قمة الجبل إلا أن البرق دمر هذا الدير عام ٧٦٦م.

وقد قام المسلمون ببناء مسجد على الموقع.

وقد قامت جيرتريد بيل Gertrade Bell سنة (١٨٦٨ - ١٩٢٦) وهي خبيرة بريطانية في الآثار باستكشاف المنطقة ووجدت تركيباً حجرياً ما زال على قمة الجبل على شكل سفينة يطلق عليه الناس هناك بسفينة نوح.

وذكرت «جيرتريد بيل» أنه في الرابع عشر من شهر أيلول كل عام يتجمع اليهود والمسلمون والصابئة واليزيديون على الجبل لإحياء قربان نوح.

وقد زعم بعض الصحفيين الأتراك عام ١٩٤٩م أنهم رأوا سفينة بطول ٥٠٠ قدم على الجبل يعتقد أنها سفينة نوح[1].

---

١ - جير تريد بيل لها كتاب هام نشر عام ١٩١١ اسمه آموراث إلى أموراث عن رحلتها لجبل الجودي.

وتذكر الرواية البابلية عن الطوفان أن السفينة رست في جبال أرمينيا ويقال إن بعض أجزائها ما زالت هناك في جبال كورد يانس Gordyeans في أرمينيا، وموقع «جودي باغ» يق في بال كورديان ناحية أرمنيا.

ويدعي اليهودي بنيامين توديلا Beniamin of tudela من القرن الثاني عشر الميلادي أنه سافر إلى جزيرة ابن عمر لمدة يومين وهذه الجزيرة تقع على نهر دجلة أسفل جبل أرارات والذي يعتقد أهل الكتاب أن السفينة قد استوت عليه كما في سفر التكوين أن عمر بن الخطاب الخليفة الثاني للمسلمين قد أمر بإزالة السفينة من أعلى قمة الجبل وبني مكانها مسجداً.

وهذا القول يحتاج إلى دليل حيث إن خرائب جزيرة ابن عمر أسفل جبل «كودي داغ».

ويدعي بنيامين أن جبل أرارات يسمى أيضاً «جبل كود باغ» وأن الجبل لديه قمتان وأن بقايا السفينة لا تزال موجودة به.

والمثير للجدل أن قمة الجبل سواء أرارات أو كوي باغ مغطاة بالثلوج طيلة العام، كي يظل الأمر مجهولاً والاحتمالات الواردة تحت البحث والتنقيب، عن هذا الجبل الذي اختفت فوقه سفينة النجاة.

البحث عن سفينة نوح على جبل أرارات لا يزال جارياً

يحاول علماء الآثار وغيرهم من العلماء الغربيين إثبات وجود سفينة نوح أو بقاياها على جبل أرارات «أراراط» لإثبات صدق سفر التكوين «التوراة» الذي ذكر فيه أن السفينة استقرت هناك ولكنهم لم يقدموا إلا أقاويل.

يقول دافيد باسيجير David Basiger في كتابه «اكتشاف فلك نوح» إن الحكومة التركية تعطي تصريحاً بالبحث لتسلق الجانب الجنوبي من جبل أراراط بينما الفلك يقع في الجانب الشمالي وأي أمريكي يضبط في الجانب الشمالي يتم حبسه.

والجانب الذي يوجد به الفلك «السفينة» عالٍ وغادر ولا يسمح بهبوط طائرة هليكوبتر، وإن الإرهابيين في هذه المنطقة يهاجمون ويسرقون ويخطفون أي مستكشف يقوم بالبحث في الجبل.

ومن الأقاويل التي ذكرت أن السفينة على قمة جبل «أراراط» هي مجرد كلام لا قيمة له حيث إنها ليست إلا مجرد كلام نذكر منها:

فى عام (١٢٦٩م) كتب المكتشف الشهير ماركو بولو Marco Polo في كتابه The Travels أن فلك نوح يستقر عالياً على القمم الثلجية لجبل أراراط. وهذا مجرد كلام وتخمين فقط.

ويقول الدكتور كارل دافيس Davis Carl . Dr Dr. Carl Davis المتخصص في تاريخ العهد القديم أن بطليموس المؤرخ المصرى عام ٣٠ ق م ذكر أن الفلك موجود على جبل أراراط. وفي نفس الزمان كتب نيكولاس الدمشقي وهو مؤرخ هيرودس الكبير أن الفلك رسا فوق قمة جبل أراراط وأضاف أن هذا البناء الخشبي لازال هناك.

فى عام ١٨٢٩ ذهب الطبيب الألماني والروسي الأصل فريدريك باروت Friedrich Parrot جبل أراراط، وهو أول غربي يستكشف المنطقة. وقبل أن يتسلق الجبل اتجه

باروت إلى كاتدرائية أتشميازين في أرمينيا حيث رأى صليباً قيل له إنه من الخشب المأخوذ من فلك نوح عام (٣١٨م). كان طول هذا الصليب حوالي ١٢ بوصات وارتفاعه ٩ بوصة ولونه بنيًّا. ثم تسلق باروت الجبل حوالي سبعة آلاف قدم فوجد قرية أهورا حيث كان دير القديس يعقوب. وهناك رأى مخطوطات قديمة وبقايا من الفلك، وهذا أيضاً ليس إلا كلام مرسل.

في يونيو (١٨٤٠م) أي بعد إحدى عشر عاماً من استكشاف باروت لجبل أراراط قاسى الجبل من زلزال عنيف دمّر الدير وأغلب المنازل والمباني بالمنطقة فاختفى الدير وكل بقايا الفلك التي كانت مذخورة فيه تحت الصخور الناتجة عن الانكسار الذي حدث بالجبل، والذي نتج عنه تجويف أهورا Ahora Gorge وهو مجرف يعتبر أعمق من الجرف العظيم Grand Canyon.

فى عام (١٨٨٣م) أرسلت بعثة جبل أراراط من الحكومة التركية لرصد التدمير الذي أحدثه الزلزال. وقد كتب فريق البعثة في تقريره عن اكتشاف الجزء الأمامي من سفينة قديمة جدًّا بارزة من الجليد على ارتفاع ١٤,٠٠٠ قدم عند قمة الجبل. وقد أخذوا قياسات الفلك، كما دخلوا داخله، وحدد الفريق رؤية مرابط وأقفاص بداخل هذه السفينة الضخمة.

فى عام (١٩١٦م) بعد الحرب العالمية الأولى بقليل حكى الطيار الروسي المقدم زابلوتسكى Lieutenant Zabolotsky قصته عن رؤية فلك نوح فقال: كنت مع مجموعة صغيرة من الطيارين حوالي ٢٥ ميلاً شمال شرق جبل أراراط.. وكنت قد أرسلت في طلعة استكشافية، فلما درت حول الجبل استطعت أن أحدد وجود بناء قاتم اللون وضخم، وهو في حجم السفن الحربية. كان هذا البناء عبارة عن مركبة عجيبة المنظر، لكنها سفينة، بوضوح ولها قمة دائرية.

لما وصلت أخبار زابلوتسكى إلى التزار نيكولاس Tsar Nicholas نفسه أرسل مجموعتين من الجنود لتحديد مكان هذا الكشف الفائق وتوثيقه. ووجد الجنود الفلك

فعلاً، وأخذوا مقاييسه، وتم عمل تقارير فوتوغرافية لهذه السفينة الضخمة. لكن مع الأسف جرت هذه الأحداث والثورة الشيوعية في روسيا على وشك الاندلاع، ونتيجة لذلك فقد فقدت التقارير والصور، أو قد تكون مخبأة في مكان سرى في الكرملين. لكنهم رأوا الفلك.

وفي التسعينيات من القرن الماضي قتل حوالي ستة آلاف في الحرب بين الجنود الأتراك والإرهابيين على منحدرات جبل أراراط، ويقول إنه لكي يتم البحث بجدية على بقايا سفينة نوح يحتاج لإحلال السلام بالمنطقة.

وتقول متسلقة الجبال ديبي ردمر Debbie Redmer أن فهم هذا الجزء من العالم هو فهم حالة سياسية معقدة جداً تتكون من جماعات محلية أو إقليمية كثيرة. فهذا الجزء من تركيا كان يعرف بأنه أرمينيا، وجانبي الجبل جيران في عداوة قديمة هما إيران والعراق وهناك أيضاً مقاتلون أكراد يتعقبون المستكشفين للجبل ويسرقونهم ويهددونهم بالقتل، ومن هنا كان إحلال السلام أمراً ضروريًّا لمن يقوم باستكشاف المنطقة.

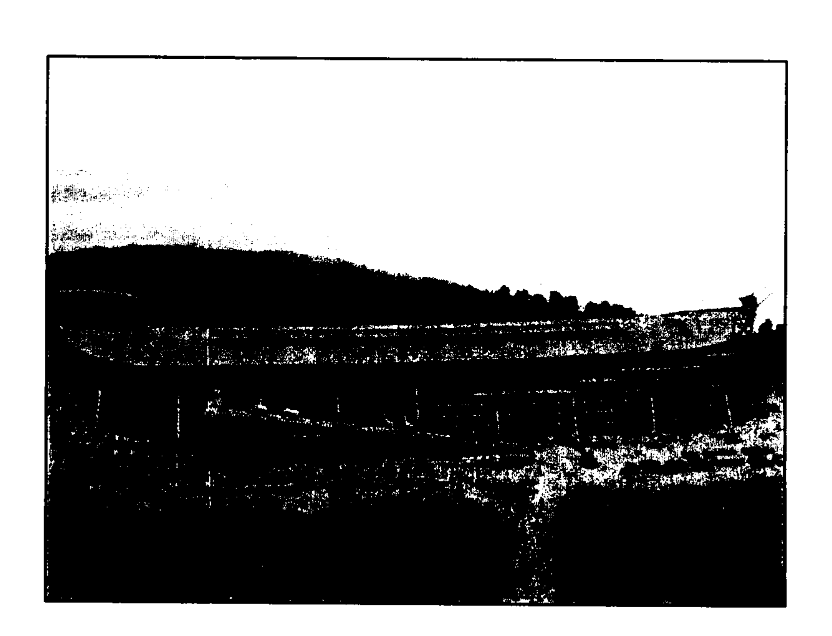
وهكذا نجد أنه من أوائل الخمسينات من القرن الماضي أصبح البحث عن سفينة نوح موضوع عدد كبير من الكتب والأفلام السينمائية وذلك بعد ادعاء بعض الشهود أنهم عثروا على بقايا السفينة عام ١٩٤٨ على قمة جبل أراراط أو «كودي» وكان هذا الاهتمام لإثبات صحة ما جاء في سفر التكوين عن السفينة.

وفي الثمانينيات من القرن الماضي قام رائد الفضاء جيمس إروين col james irwin وهو من الرواد الذين مشوا على سطح القمر قام بتمشيط معظم مناطق جبال أرارات وقام بتصويره جواً من خلال طلعات قام بها ولم يصل إلى وجود دليل على وجود سفينة نوح أو بقاياها.

وقد اقتنع الكثير من الباحثين عن سفينة نوح أن السفينة قد تكون قد اندمجت مع عناصر الطبيعة أو أن الله لا يريد إظهارها حتى الآن، لكنها بالتأكيد ليست في جبل أرارات أو كودي باغ في تركيا.

ونختتم هذا الموضوع بما ذكره عبد الوهاب النجار رحمه الله في كتابه قصص الأنبياء عن جبل الجودي الذي استوت عليه سفينة نوح فيقول: جبل الجودي في نواحي ديار بكر من بلاد جزيرة العرب وهو يتصل بجبال أرمينية، قال في القاموس المحيط والجودي بالجزيرة التي استوت عليه سفينة نوح عليه السلام ويسمي في التوراة «أراراط».

إنهم قالوا في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ ﴾ [هود: ٤٤] أن الأرض قالت: أُمرت أن أبلع مائي أنا فقط، ولم أؤمر أن أبلع ماء السماء، فبلعت الأرض ماءها وبقى ماء السماء فصُير بحر حول الدنيا[1].

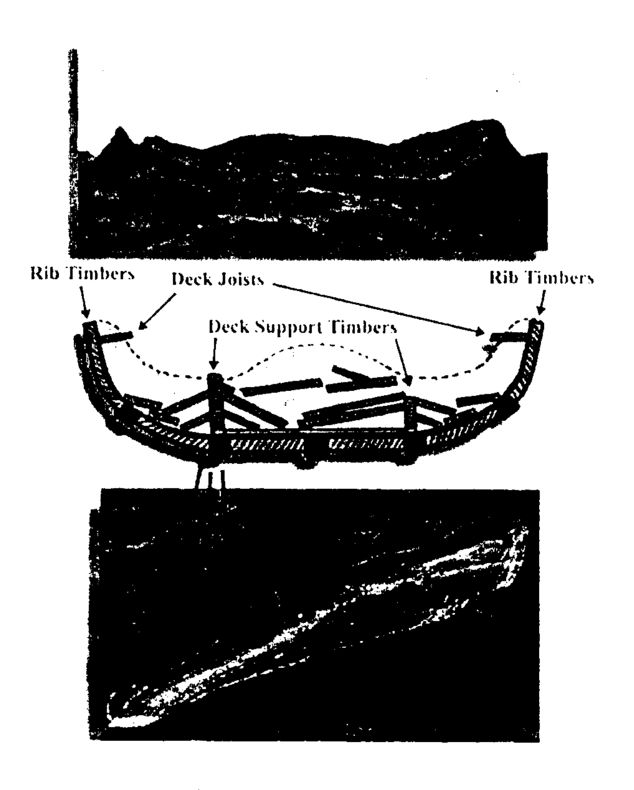


صورة تخيلية لسفينة نوح

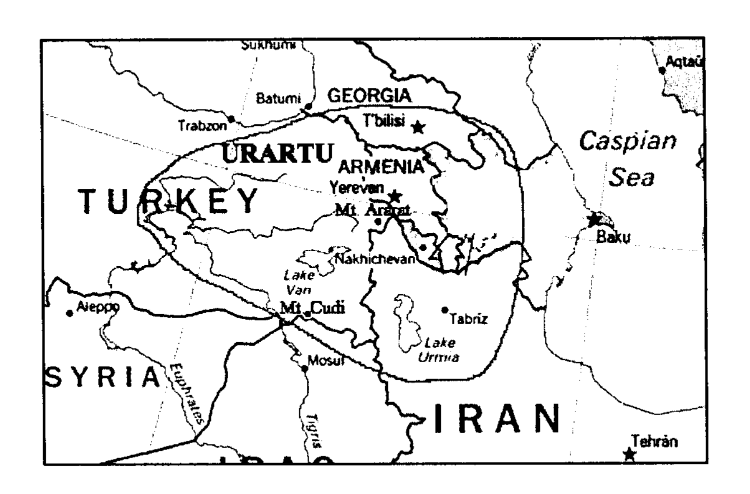
١ - انظر الميزان في تفسير القرآن - المجلد ١٠.

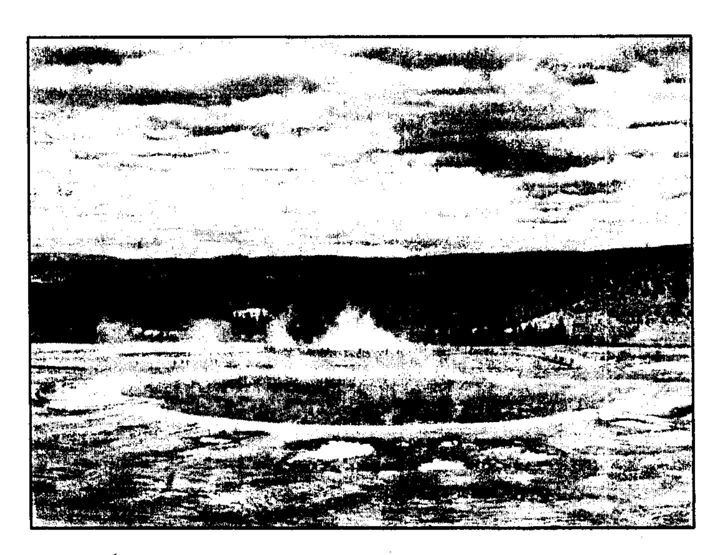


صورة لبعض المواطنين الأتراك بالقرب من بقايا سفينة على جبل الجودي بتركيا يظن أنها لسفينة نوح اكتشفت عام ١٩٤٩م.

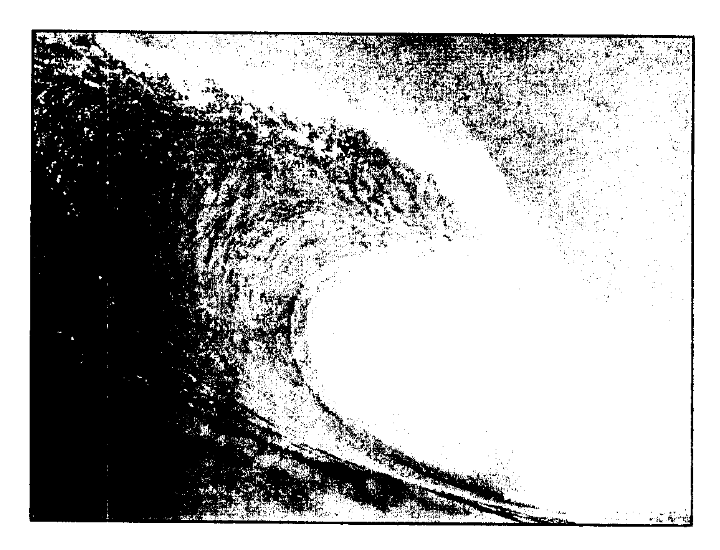


صورة لبقايا سفينة نوح عليه السلام





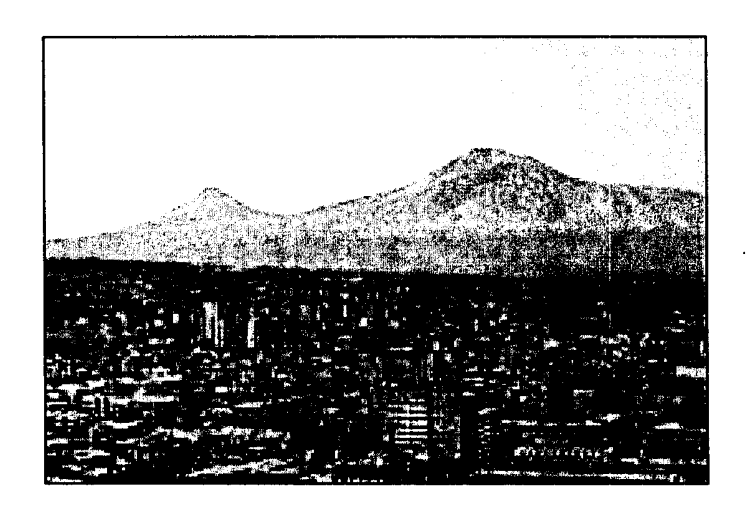
انفجار الينابيع يشكل البحيرات ويخرج الماء من الأرض مضغوطاً ويرتفع وقد يصل ارتفاعه إلى أكثر من مئة متر.



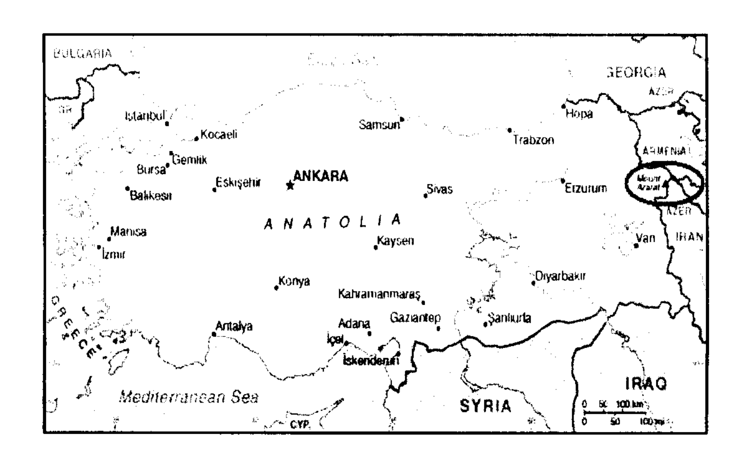
الأمواج التي نراها في المحيطات يمكن أن تبلغ ارتفاعات لا تتجاوز عشرات الأمتار، ولكن الأمواج التي حدثت زمن سيدنا نوح كانت بارتفاع الجبال أي مئات أو آلاف الأمتار، وهذا يدل على أن الطوفان كان حدثاً غير مجرى البشرية، ولم يحدث مثله على مر العصور.



لوحة زيتية لطوفان نوح وسفينته



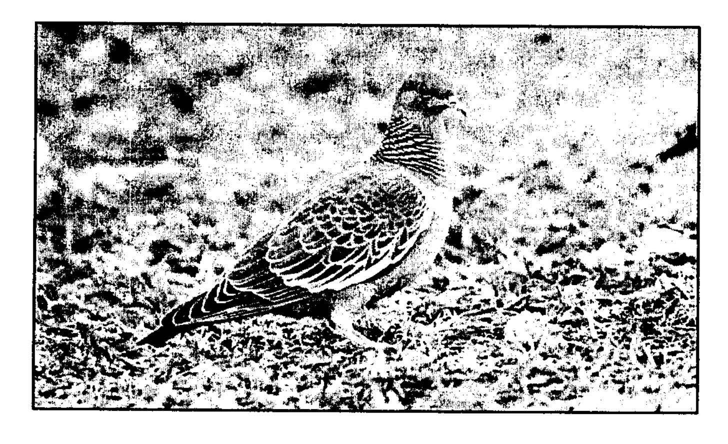
منظر لجبل أرارات من ناحية أرمينيا.



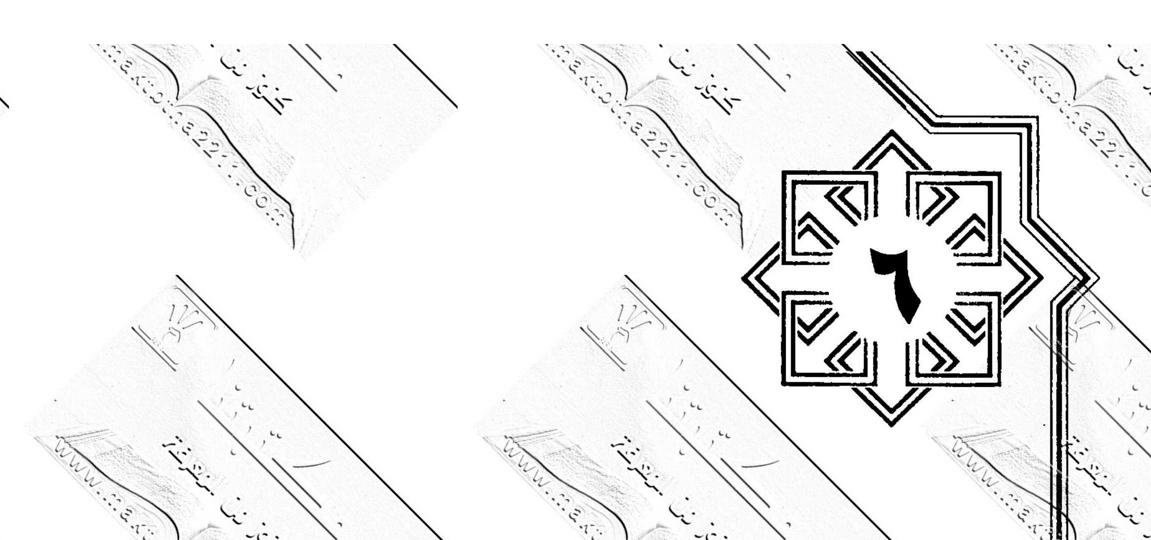
خريطة توضح موقع جبل أرارات بتركيا.



جبل أرارات بركان نائم تغطيه الثلوج، يقع شمال شرق تركيا بمقاطعة أغري وهو أعلى قمة جبلية (٥١٦٥م) بتركيا.



أرسل سيدنا نوح عليه السلام الحمامة لكي تعود وتبلغه بأن الطوفان قد جف كي يستطيعوا النزول إلى اليابسة حسب رواية التوارة ومن هنا نشأت فكرة الحمام المراسل أو الزاجل.



الطوفان والكرة الأرضية

- عمومية الطوفان للأرض كلها ومن عليها أم خصوصية لقوم نوح فقط.
- بناء الأهرام لتكون ملجأ من الطوفان.

عمومية الطوفان للأرض كلها ومن عليها أم خصوصية لقوم نوح فقط

دعونا أولاً نقرر أن دعوة نوح عليه السلام وسائر الأنبياء كانت خاصة لأقوامهم إلا نبينا محمد ﷺ، وكذلك أنه لا عذاب ولا عقاب إلا بعد إنذار من الله عز وجل،قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [الإسراء: ١٥].

وقال تعالى عن نوح ورسالته لقومه: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وقال أيضاً: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٤] .

وكلمة «لبث فيهم».... أي ظل في أرضهم ولم يذهب لأحد غيرهم ولم يغادر أرضهم ولم يهاجر منها.

أما محمد ﷺ فقد أرسله الله لناس كافة بشيراً ونذيراً للإنس والجن.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال أيضاً: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨].

ويرى الرأي القائل أن الطوفان كان خاصاً بقوم نوح عليه السلام أن أهل الهند يقولون إن عمران بلادهم يمتد في الماضي إلى تاريخ أبعد من الذي قدرته التوراة لنوح وطوفانه وأن عمرانهم متصل من أعمق أجيال التاريخ إلى اليوم.

لقد ذكرت التوراة أو ما يسمى العهد القديم وهو كتاب اليهود المقدس أن الطوفان قد عم الأرض كلها، ولكن القرآن الكريم ليس فيه إشارة واضحة إلى ذلك وإنما كما

ذكرنا أن القرآن قد ذكر أن الأنبياء يرسلون إلى أقوامهم خاصة وليس إلى الكافة إلا النبي الخاتم ﷺ؛ قال تعالى: ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [هود: ٤٨].

فقوله ﴿ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾ يشير إلى وجود أمم مع نوح عليه السلام وقد اختلف المفسرون حول المقصود من ذلك.

فيقول الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره للآية: ﴿ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾ واختلفوا في المراد منه على ثلاثة أقوال: فمنهم من حمله على أولئك الأقوام الذين نجوا معه وجعلهم أمماً وجماعات، لأنه ما كان في ذلك الوقت في جميع الأرض أحد من البشر إلا هم، فلهذا السبب جعلهم أمماً.

ومنهم من قال: بل المراد ممن ملك نسلاً وولداً، ودليل ذلك أنه ما كان معه إلا الذين آمنوا وقد حكم الله تعالى عليهم بالقلة في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود: ٤٠].

ومنهم من قال: المراد من ذلك مجموع الحاضرين مع الذين سيولدون بعد ذلك.

والمختار القول الثاني: لابتداء الغاية أي على أمم ناشئة من الذين معك.

واعلم أنه تعالى جعل تلك الأمم الناشئة من الذين معه على قسمين: أحدهما الذين عطفهم على نوح في وصول سلام الله وبركاته إليهم وهم أهل الريان، والثاني أمم وصفهم بأنه تعالى سيمتعهم مدة في الدنيا ثم في الآخرة يمسهم عذاب أليم، فحكم الله بأن الأمم الناشئة من الذين كانوا مع نوح عليه السلام لابد وأن ينقسموا إلى مؤمن وإلى كافر.

قال المفسرون: دخل في تلك السلامة كل مؤمن وكل مؤمنة إلى يوم القيامة، ودل في ذلك المتاع وفي ذلك العذاب كل كافر وكافرة إلى يوم القيامة[1].

---

١ - انظر تفسير الفخر الرازي.

وأما قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود: ٤٠].

فهذا يشير بوضوح إلى أن نوح عليه السلام حمل معه من كل زوجين من الطيور والحيوانات التي كانت على الأرض التي يعيش عليه وقومه وليست كل الحيوانات والطيور على الأرض والتي تصل إلى ملايين أصناف كما ذكرنا من قبل وقد حاول الباحثون من أهل الغرب إثبات ذلك لتصديق ما جاء في سِفْر التكوين ولكنهم لم يفلحوا.

لأن حَمْل كلا من الحيوانات والطيور التي كانت تعيش معه وليست كل الحيوانات والطيور التي كانت على الأرض بأحجامها الضخمة كالديناصورات والأفيال وغير ذلك، والدليل على ذلك أن حفص صاحب القراءة الشهيرة[1] والمعتمدة للقرآن

١- رواية حفص عن عاصم، هي الرواية أو التلاوة لكتاب الله تعالى (القرآن الكريم- لحفص على شيخه الإمام عاصم. إن هذا القارئ كان ممن التزم بهذه الطريقة في قراءته لكتاب الله وأتقنها وصار شيخا فيها بعد معلمه وله طلابه وتلاميذه الذين يأخذون عنه فالنسبة هنا نسبة التزام لطريقة القراءة وليست نسبة اختراع بمعنى أن حفصا مثلا أو غيره ليس هو الذي اخترع هذه الطريقة حاشا لله، وإنما لسبب إتقانه وبراعته وحفظه في عصره واشتهاره بتلاوته القرآن بها وبذلك وقع الاختيار عليه لنسبة الرواية إليه لا إلى غيره ولم تعد تنسب هذه الروياة إلى الصحابي أو التابعي، وأما عاصم فهو شيخ الإمام حفص كما سيأتي ذلك لاحقا.

هو حفص بن سليمان بن المغيرة بن أبي داود الأسدي الكوفي الغاضري البزّاز ـ نسبة لبيع البز أي الثياب ـ وكنيته: أبو عمر، ولد سنة تسعين. ويعرف بحفص. أخذ القراءة عرْضاً وتلقيناً عن عاصم، وكان ربيبه ـ ابن زوجته ـ وتوفي حفص سنة ١٨٠ هـ.

قال الداني: وهو الذي أخذ قراءة عاصم على الناس تلاوة، ونزل بغداد فأقرأ بها، وجاور بمكة فأقرأ بها، قال يحيى بن معين: الرواية الصحيحة التي رويت عن قراءة عاصم هي رواية أبي عمر حفص بن سليمان.

وقال أبو هشام الرفاعي: كان حفص أعلم أصحاب عاصم بقراءة عاصم فكان مرجحاً على شُعبة بضبط الحروف، وقال الذهبي: هو في القراءة ثقة ثبت ضابط، وقال ابن المنادي: قرأ =

الكريم هو الوحيد الذي قرأ قوله تعالى ﴿ مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ بتنوين اللام، أما باقي القراءات فقالت: (مِن كُلِّ زوجينِ اثنين) دون تنوين فالكل هنا مقصود به الكل الموجود والمتوفر في بلاد وأرض نوح فقط أي أنه حمل من كل الحيوانات والطيور الموجودة في بلاده وليس في الأرض كلها وبالتالي لم يغرق الطوفان العالم كله.

وغرق أهل الأرض من بشر وحيوانات وغيرهم من الكائنات يقضى عالمية دعوة نوح عليه السلام وهذا أمر نفاه القرآن الكريم وهو كلام الله عز وجل بوضوح.

ولا ننسى أن نذكر أن حديث أم الصبي التي غرقت من قوم نوح والذي أورده ابن كثير في قصص الأنبياء واستدل به على غرق كل من كان على الأرض منهم عوج بن عنق هو حديث لا يصح كما قال ابن كثير نفسه.

وأما قول نوح ودعائه ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦] لا يعني الأرض كلها وإنما يقصد به الأرض التي عليها قومه.. كقوله تعالى ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ ﴾ [المائدة ٣١] وقوله: ﴿ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [التوبة: ٢] ، وقوله أيضاً: ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [يونس: ٨٣].

= على عاصم مراراً، وكان الأولون يعدونه في الحفظ فوق أبي بكر بن عياش. ويصفونه بضبط الحروف التي قرأها على عاصم، وقرأ الناس بها دهراً طويلاً وكانت التي أخذها عن عاصم ترتفع إلى علي رضي الله عنه.

أما عاصم بن بهدلة بن أبي النَّجُود الكوفي، وقيل اسم أبيه عبد الله وكنيته أبو النجود، واسم أم عاصم «بهدلة» وكنيته أبو بكر، وهو أحد القراء السبعة (من قراء الشاطبية)، وهو تابعي جليل. وإسناد عاصم في القراءة ينتهي إلى عبد الله بن مسعود وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ويأتي إسناده في العلو بعد ابن كثير وابن عامر، فبين عاصم وبين النبي صلى الله عليه وسلم رجلان.

وقوله في سورة يوسف ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٢١] ، وقوله: ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، فالأرض هنا تشير إلى مصر فقط وجعله على خزائنها، فقد مكن الله ليوسف عليه السلام في أرض مصر وليس في كل الأرض (أي العالم).. وكذلك ذكرت الأرض في القرآن الكريم وهي تدل على الأرض كلها.

والرأي الذي ذهب إلى أن الأرض لم تكن عامرة للأرض كلها أو أن من على الأرض لم يكن يعبد الأصنام إلا قوم نوح.

هذه الآراء يمكن أن تؤخذ في الاعتبار، فالفترة من آدم ونوح ليست بالبعيدة وكانت عشرة قرون كلها على التوحيد ثم جاءت عبادة الأصنام الذي كان من ورائها إبليس حيث كان في قوم نوح خمسة رجال صالحين قد ماتوا فجاء الشيطان للناس كي يصنعوا تماثيل لهم تخليداً لذكراهم ثم جاءت أجيال تعبدهم على أنهم آلهة فأرسل الله إليهم نوحاً عليه السلام لهدايتهم، ولا يعقل أن يكون هناك من يعبد غير الله في مكان آخر على الأرض لم يرسل الله إليهم رسولاً !!

أو أن نوحاً عليه السلام شملت دعوته قومه الذي هم من كان على الأرض وهم من العماليق ولم تشمل دعوته الأرض كلها، ومن المعقول أن يكون الطوفان قد شمل أرض قوم نوح ولم يغرق الأرض كلها حيث إنه لا داعي لغرق الأرض كلها.

أضف إلى ذلك أن نوحاً ظل ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعو قومه فما آمن له إلا قليل منهم وكان الطوفان عقاباً للكافرين المصرِّين على الكفر، ولا يعقل أن يغرق الله أقواماً دون أن يرسل إليهم رسلاً وأنبياء.

وحدوث الطوفان في زمن نوح عليه السلام لا يمنع من حدوث مثله في أرض أخرى مثل الأعاصير التي تحدث في مناطق محددة من العالم حتى الآن مثل أعاصير تسونامي وغيرها من الأعاصير.

فقد أثبت علماء الآثار وجود آثار لدمار في منطقة ما بين النهرين بسبب فيضانات في أماكن مثل أوروكيش وشوروباك وهذه الأماكن دمرت بواسطة فيضانات وسيول في أوقات مختلفة إلا أن هذه الفيضانات كانت محدودة المساحة على الأرض.

وأعتقد من قال بأن الطوفان عم الأرض كلها قد تأثر بنصوص سفر التكوين في العهد القديم «التوراة» عن طوفان نوح وأنه عم أهل الأرض كلهم.

قال أهل التفسير أن قوله تعالى ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦] أي لا تترك على وجه الأرض التي هي عليها منهم أحداً ولا دياراً واحداً أي التي يسكنونها.

وقال السدي: فاستجاب الله تعالى له فأهلك جميع من على وجه الأرض من الكافرين واستدلوا على ذلك بقوله ﷺ: لو رحم من قوم نوح أحداً لرحم المرأة التي لما رأت الطوفان حملت ولدها.. الحديث، وهذا الحديث كما ذكرنا وقال ابن كثير إنه حديث غريب... وهو لا يفيد من قال بأن الطوفان عم الأرض كلها، حتى قوله تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ۝ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ۝ ﴾ [الشعراء: ١١٩: ١٢٠].

وكذلك قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ [الصافات: ٧٧]، هاتان الآيتان لا تشيران على أن الهلاك عم أهل الأرض كلهم، وإنما تشير إلي نجاه نوح ومن معه في السفينة وهلاك قومه الذين كفروا برسالته وبالتالي يكون ذريته من ركب معه هم الباقين.

وهكذا قال الشيخ محمد عبده بأن القرآن الكريم لم يرد فيه نفي قاطع على عموم الطوفان.

وكذلك قال تلميذه محمد رشيد رضا: إن ظاهر القرآن أن الطوفان كان شاملاً لقوم نوح الذين لم يكن في الأرض غيرهم ولكنه لا يقتضي أن يكون عاماً للأرض إذا لا دليل على أنهم كانوا يملأون الأرض.

وممن أيد هذا الرأي في كتابه قصص الأنبياء والتاريخ د. رشيد البدراوي: أن قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦] لا تعني بالضرورة عموم الكرة الأرضية كلها، وإنما تستعمل لتدل على جزء من سطح الأرض ففي سورة يوسف ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٥] وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يوسف: ٢١] والمراد هنا أرض مصر لا كل الأرض، ولا كل الكرة الأرضية، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ . وقوله : ﴿ وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾. والمراد هنا أرض مصر، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ﴾ [الإسراء: ٧٦] والمراد أرض مكة المكرمة.

وقالوا بأن القول بأن نوحاً وقومه كانوا هم أهل الأرض كلهم، أي لا يوجد غيرهم وإنهم لم يمثلوا كل ذرية آدم عليه السلام، يرد عليه بأن بلداً مثل مصر كانت عامرة بأبناء شيث بن آدم وكذلك شرق آسيا كالهند وغيرها.

وهناك العديد من الكتاب قد أيد هذا الرأي القائل بأن طوفان نوح لم يعم الأرض كلها وإنما كان خاصًّا بقومه فقط؛ وذكروا الآيات الدالة على خصوصية دعوة نوح التي ذكرناها من قبل وأن كل الأنبياء أرسلوا إلى أقوامهم إلا النبي الخاتم ﷺ قد أرسل للناس كافة.

وأيضاً قوله تعالى : ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا ﴾ تدل على أن غرق قوم نوح بسبب عصيانهم لرسول الله نوح عليه السلام وعبادتهم الأصنام: ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى ﴾ فلا يعقل أن يهلك الله معهم أهل الأرض دون أن يرسل إليهم رسولا كما أرسل إلى قوم نوح؟!

وأما القول بأن العلماء وجدوا بقايا حيوانية من الأحياء التي لا تعيش إلا في الماء فوق الجبال وهذا يعني أن الطوفان عم الأرض وعلا الجبال في معظم جبال الأرض فهذا لا يؤيد قولهم بعموم الطوفان حيث إنه من الممكن تكون تلك الرواسب إنما

حدثت عندما ارتفع سطح الماء في البحار والمحيطات فغطى أجزاء كبيرة من الأرض اليابسة.

وفي هذا يقول د. رشدي البدراوي: إن القائلين بعمومية الطوفان يظنون أن عموميته معجزة أكبر من كونه خاصًا ونقول: إن الصيحة التي أهلك بها الله قوم صالح كان من الممكن أن تبلغ كل أنحاء الأرض وتهلك الناس جميعاً إلا أن الله سبحانه وتعالى برحمته جعلها قاصرة على المكذبين من قوم صالح.

أما المؤمنون ولم يكونوا قد ابتعدوا كثيراً فقد حماهم الله من الأثر المهلك لهذه الصيحة، وهذا في حد ذاته معجزة أخرى، وكذلك فإن خصوصية الطوفان لا تقل إعجازاً من عموميته فإن ماء الطوفان وقد ارتفع فوق قمم الجبال بخمسة عشر ذراعاً.

وفي قول آخر بثمانين ذراعاً في المنطقة التي كان بها قوم نوح وهي أصلاً مرتفعة كثيراً عن جنوبه بدليل جريان ماء دجلة والفرات - هذا حسب قوله - شمال العراق من الشمال إلى الجنوب باندفاع شديد.

ولو نظرنا إلى الجزيرة العربية لتبين لنا أن ماء الطوفان كان حريًّا أن يغطي صحراء الجزيرة العربية كلها.

ولو أخذنا بخصوصية الطوفان فلابد أن حافة المياه ناحية صحراء الشام وصحراء الجزيرة العربية كانت كالطود العظيم بحيث إنها لم تغرق هذه الأمكنة، ومع هذا فيحتمل أن يكون الطوفان قد شمل الجزيرة العربية مع كل المناطق المحصورة بين الجبال.

وكذلك وجود عبادة كل من: ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا، في بعض القبائل في أطراف الجزيرة العربية في فترة وجيزة بعد الطوفان فقد وجد في بلد «معين» في اليمن تمثال ود - يدل على أن عبادة هذه الأصنام قد انتقلت من قوم نوح إلى البلدان عن طريق قوافل التجارة ولما حدث الطوفان في العراق اندثرت عبادة هذه الأصنام،

ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا، وبقاؤها في هذه القبائل العربية بعد الطوفان بفترة وجيزة تدل على أن الطوفان لم يشملها إذ لو كان عاماً وشمل كل الكرة الأرضية لزالت عبادة هذه الأصنام أيضاً من اليمن فمن غير المعقول أن تنشأ عبادة الأصنام بنفس الأسماء القديمة من جديد بهذه الأماكن وفي فترة زمنية وجيزة كذلك فإن شمال العراق لم يكن به بعض الأنواع من الحيوانات مثل الفيل والجمل ذو السنامين والزرافة والكنغر، وبالطبع لم يحمل نوح عليه السلام معه أيّاً منها في السفينة، فلو أن الطوفان قد عم جميع أنحاء الكرة الأرضية ولبادت جميع الحيوانات إلا التي حملها نوح عليه السلام معه، فمن أين وجد الفيل الحالي أو غيره على سطح الأرض، فنحن نعلم أنها أنواع تقدر بمئات الآلاف وحتى لو فرض جدلاً وأنها وجدت في العراق لما اتسعت السفينة لهم جميعاً.

وفي النهاية نقول إن من قال بأن الطوفان عم الأرض قد استأنس بالرأي القائل أن قوم نوح كانوا منتشرين على وجه الأرض وقد شملهم دعوة نوح خلال الألف سنة إلا خمسين التي قضاها في الدعوة ولكنه رأي نراه يناقض كون نوح قد أرسل لقوم محدود في أرض محدودة ولم يكن رسولاً لكل من كان على الأرض. والله أعلم.

بناء الأهرام لتكون ملجأ من الطوفان

هناك الكثيرون من المؤرخين والباحثين القدماء قالوا إن سبب بناء الهرم الأكبر بالجيزة بمصر كان للنجاة من طوفان محتمل حسب حلم رآه الملك (سوريد) قبل طوفان نوح بـ ٣٠٠ عام وبالتالي فإن الأهرام لم يقم ببنائه الفراعنة[1].

قال الحافظ / جلال الدين السيوطي (رحمه الله) في كتابه: (تحفة الكرام بخبر الأهرام): (وقال ابن فضل الله العمري في (مسالك الأبصار): (قد أكثر الناس القول في سبب بناء الأهرام، فقيل: هياكل للكواكب، وقيل: قبور ومستودع مال وكتب، وقيل: ملجأ من الطوفان؟!

وقال: وقد كانت الصائبة تأتي فتحج إلى الهرم الأكبر وتزور الآخر ولا تبلغ فيه مبلغ الأول في التعظيم.

وقال أيضاً، في موضع آخر: (وقد يقول قائل: هل ورد ما يشير إلى أن الأهرام بقيت بعد الطوفان ولم يذهب الطوفان بها؟، أقول: نعم ورد فقد نقل تقى الدين المقريزى في خططه عن الهمداني في كتابه: (الإكليل) قوله: لم يوجد مما كان تحت الماء وقت الغرق من القرى قرية فيها بقية سوى نهاوند وجدت كما هي اليوم لم تتغير، وأهرام الصعيد فمن أرض مصر).

قال أبو الريحان البيرونى (رحمه الله) في كتابه: (الآثار الباقية عن القرون الخالية): (والفرس والمجوس تنكر الطوفان وأقر به بعض الفرس ولكنهم قالوا كان بالشام والمغرب منه شيء في زمان طمهورث، ولكنه لم يعم العمران كله ولم يتجاوز عقبة حلوان ولم يبلغ ممالك الشرق وأن أهل مصر لما أنذر به حكماؤهم بنوا أبنية كالهرمين بمصر ليدخلوها عند الآفة وإن آثار ماء الطوفان وتأثيرات الأمواج كانت بينة على أنصاف الهرمين لم تتجاوزهما؟!).

---

١ - اقرأ كتابنا المسيح الدجال وأسرار الأهرامات الكبرى، الناشر دار الكتاب العربي.

قال الحميرى، في كتابه: (الروض المعطار في أخبار الأقطار) ما نصه: (قدر سوريد الملك أن ذلك الغرق يأتى على الأرض ومن فيها، فأمر ببناء الأهرام، وقيل: أمر ببناء الأهرام والبرابر من حجارة ومن طين، فإن كان هذا الحادث ماء ذهبت التي هي من طين وبقيت التي هي من حجارة، وإن كانت ناراً ذهبت التي هي من حجارة وبقيت التي هي من طين، فكان ذلك الحادث ماء فذهب الطين وبقيت الحجارة).

وقد علق على ذلك النص الإمام الحافظ / جلال الدين السيوطى (رحمه الله) فقال: (ويلاحظ احتمال ترجيح ذلك من قدر الطين في أعلى الأهرام وذهاب أكثره عنها، وقد يكون ذلك تقديراً لارتفاع ماء الطوفان وقتئذ والله أعلم).

وقال العلامة تقي الدين المقريزي (رحمه الله) في كتابه: (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار): (وقد ذكر قوم إن الهرمين قبران وليس كذلك وإنما حمل صاحبهما على عملهما أنه قضى بالطوفان أنه يهلك جميع ما على وجه الأرض إلا ما حصن في مثلهما فخزن ذخائره وأمواله فيهما، وأتى الطوفان ثم نضب).

وقال في نفس المصدر السابق : (يقال إن الطوفان لما نضب ماؤه لم يوجد تحت الماء قرية سوى نهاوند وجدت كما هي وأهرام مصر وبرابيها).

قال الشيخ / محمد بن إياس الحنفى (رحمه الله) في كتابه: (بدائع الزهور في وقائع الدهور) : (قال الكسائى لم يسلم من طوفان نوح (عليه السلام) من القرى سوى قرية نهاوند فوجدت من تحت الماء كما هي لم تتغير وسلمت الأهرام وسلمت البرابر التي كانت بجهات الصعيد، وهى التي بناها هرمس الأول الذي أودع فيها علم النجوم وعلم الهيئة فوجدت على حالها).

وأضاف في نفس المصدر: (أمر سوريد ببناء هذه الأهرام وقد جعل أساسها مقدار ارتفاعها عن الأرض وقال نجعلها نواوس لنا وحرزاً لأجسادنا، ثم نقل إليها أشياء كثيرة من الأموال والجواهر والآلات والسلاح والتماثيل العجيبة والأواني الغريبة التي

هي من سائر المعادن وكتب عليها الطلاسم والعلوم الفلكية التي تخبر بها سيحدث من الأمور إلى آخر الزمان، ومن يملك البلاد من الملوك المسلمين والكافرين، وأخبرت الكهنة أن هذا الطوفان لا يقيم كثيراً على وجه الأرض بل نحو أربعين يوماً فبنى الأهرام وحبس فيها الهواء بتقدير وتدبير الحكمة، وادخر ما ذكرنا من الأموال وغير ذلك، وقال إن كنا ننجو من هذا الطوفان نعود إلى ملكنا فنجد أموالنا كما هي باقية، وإن متنا فتكون هذه الأهرام قبوراً لأجسادنا حرزاً تصونها من البلى، فبنوا الأهرام لتكون حرزاً لأجسادهم من الطوفان).

وفى موضع آخر في نفس المصدر السابق : (وقال المؤرخ ابن وصيف شاه: إن سوريد هذا هو الذي بنى الهرمين العظيمين بمصر قبل طوفان نوح بثلثمائة سنة، وكانت الكهنة تنذر بأمر الطوفان، فبنى سوريد هذه الأهرام).

قال الأستاذ / وليد طوغان، في كتابه: (عبادة الأهرام) ما نصه: (وينسب الأهراميون لسهلوق بناء الهرم الأكبر الذي شرع في بنائه لأسباب مختلفة، أولها مشيئة الإله ورغبته، ثم اتقاء لشر الطوفان الذي تنبأ به الحكيم فليمون)[1].

(فى نفس المصدر السابق) ما نصه: (أما الطوفان عند جماعة الروزى كروشن (أي الصليب الوردي) من مقدسي الأهرام، فقد أغرق مصر في زمن (فرعان بن ميسور) وبلغ ارتفاعه ربع الهرم الأكبر، وما زال أثر الماء باقياً إلى اليوم)[2].

ويقول أسامة مرعي في كتابه الجبت والطاغوت: ليس أدل على ارتباط الهرم الأكبر بطوفان نوح العظيم الذي أغرق الأرض ومن عليها من وجود عدة حفر عميقة بجانب الهرم الأكبر في كل حفرة من هذه الحفر مركب ضخم أطلق عليها بعض علماء الآثار والمصريات في العصر الحديث خطأ اسم: (مراكب الشمس) والتي تم اكتشافها

١- انظر عبادة الأهرام - وليد طوغان.

٢- انظر عبادة الأهرام - وليد طوغان.

في بداية الخمسينيات سنة ١٩٥٤م جنوب وشرق الهرم الأكبر محفورة أماكنها في فجوات داخل صخر ربوة أهرام الجيزة.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: ما هي وظيفة مراكب الشمس؟

وللإجابة على ذلك نقول: لقد اختلق علماء الآثار والمصريات تبريراً لوجود هذه المراكب بجانب الهرم الأكبر عدة أساطير منها ما يلى:

١- أن هذه المراكب مجهزة لصعود الملك المدفون في الهرم الأكبر إلى الشمس.

٢- أن هذه المراكب كانت تستخدم في حياة الملك لنقله للحج إلى الأماكن المقدسة؟!

٣- أن هذه المراكب كانت تستخدم للطقوس والشعائر.

٤- أن هذه المراكب عبارة عن مراكب رمزية للشمس وهى التي كانت تحمل الملك عبر السماء.

٥- أن هذه المراكب كانت تستخدم لنقل جثمان الملك إلى الهرم الأكبر، ودفنت بعد ذلك في الحفر الجنوبية ولا ينبغي أن يستخدمها غيره واعتبروا أن هذه المراكب مقدسة؟!

وليس أدل على اختلاق تلك الأسطورة من التناقض في الرمزية بين مراكب الصعود إلى الشمس والمراكب الجنائزية إذ كان من المفروض أن يكون رمز مركب الصعود إلى الشمس عبارة عن نموذج لطائر يطير إلى الشمس وأن يكون رمز المركب الجنائزي عبارة عن نموذج لتابوت يضم جثمان الملك المتوفى محمولاً فوق مركب ولكن الحقيقة التي توصلت إليها بفضل الله سبحانه وتعالى هي أن المراكب التي أطلق عليها علماء الآثار والمصريات في العصر الحديث خطأ اسم: (مراكب الشمس) هي عبارة عن قوارب نجاة قد أعدها الجبت الإنسي: قابيل اللعين (الدجال) مسبقاً للنجاة من الغرق عند حدوث طوفان نوح العظيم؟!

أما الإدعاء بأن هذه المراكب مجهزة لصعود إلى الشمس أو أنها مراكب جنائزية فهو أمر مرفوض وغير مقبول عقلاً ولا نقلاً حيث إن هناك عدة أدلة استند إليها بعض علماء الآثار لإثبات أن هذه المراكب ليست مراكب الشمس وهى ما يلي:

١- أن ملوك الأسرة الرابعة لم يعتنقوا عقيدة عبادة الإله (رع) رسميًّا.

٢- لم تتضمن (متون الأهرام) ما يفيد أن الملوك كانوا يمتلكون قوارب شمسية خاصة بهم وأن ذلك خاص بالإله (رع) فقط.

٣- أن شكل مركب خوفو المكتشف يختلف تماماً عن شكل المراكب الشمسية، خاصة من ناحية شكل المجداف الأمامي.

٤- لم يتم العثور أثناء الحفائر داخل الحفرة على شعار أو رمز يدل على أنه مركب للشمس.

٥- من المعروف أن مركب خوفو تم تزويده بعشرة مجاديف ومجدافين للقيادة، ولذلك لا يمكن اعتباره رمزيًّا بل هو مركب حقيقي استغل فعلاً في حياة الفرعون.

٦- وأخيراً قرر بعض العلماء أن هناك بعض الأدلة التي تفيد بأن هذه المراكب قد استخدمت كأداة للنجاة من الغرق في طوفان نوح (عليه السلام) ويمكن رؤية تأثير المياه على الجبال التي عثر عليها والمعروفة حالياً في متحف مركب خوفو إلى جوار الهرم الأكبر؟!

قال الأستاذ / مختار السويفى، في كتابه: (مراكب خوفو حقائق لا أكاذيب): (إذا كان من الثابت وجود مثل هذا العدد من المراكب التي كانت مدفونة بالقرب من الهرم الأكبر فكيف نستبيح لعقولنا أن تبلغ الادعاء غير الصحيح بأن هذه المراكب مراكب شمس؟ وكيف كان يتأتى للملك المتوفى خوفو أن يذهب في تلك الرحلة السماوية وهو يركب خمسة مراكب شمس؟ ألم يكن يكفى مركب واحد؟!).

وقد نفى عالم المصريات الكبير / سير آلان جاردنر، في كتابه: (مصر الفراعنة) نفياً قاطعاً وصف هذه المراكب بأنها مراكب شمس، استناداً إلى تعددها من جهة، وإلى دفنها في مختلف جهات الهرم الأكبر حيث يمكن لصاحب الهرم أن يرتحل بها حيثما يريد، كما كان يفعل حين كان حيًّا فوق الأرض).

وهذا يثبت لنا أن المراكب المكتشفة بجنوب الهرم الأكبر ليست هي مراكب الشمس؟!

وأن المهندس المعماري / كمال الملاخ (رحمه الله) كان مخطئاً حين أطلق على هذه المراكب خطأ اسم: (مراكب الشمس) بعد كشفه لها في ٢٥ مايو عام ١٩٥٤م، وهناك بعض العلماء ذكروا أن هذه المراكب هي عبارة عن مراكب جنائزية بدون أن يأتوا بأدلة موضوعية ومنطقية سليمة على ذلك، وكذلك لو قمنا بتنفيذ تلك الأدلة التي تدل على أن هذه المراكب هي عبارة عن مراكب جنائزية سنثبت بطلانها كلها بإذن الله تعالى.

وكان معروفاً أيضاً أن بعض السفن كانت مدفونة على مقربة من هرم الجيزة الأكبر وأن ثلاثاً من الحفرات التي كانت موضوعة فيها قد تم الكشف عنها منذ عدة سنوات، وكان بعضها يمكن زيارته ورؤيته في الناحية الشرقية من الهرم الأكبر كما يمكن رؤية خمس من هذه الحفرات على مقربة من الهرم الثاني على مسافة قليلة من المكان الذي عثر فيه على هذه السفينة وكانت هذه السفن كلها موضع دراسة مستفيضة نشرها الدكتور / سليم حسن (رحمه الله) في عام ١٩٤٦م عندما نشر نتائج حفائر موسمه السادس في منطقة أهرام الجيزة وهو موسم ١٩٣٤ - ١٩٣٥م، وتسمى السفن التي عثر عليها بجوار الهرم الأكبر عادة باسم: (مراكب الشمس) ولكن هذه التسمية ليست دقيقة على أي حال، ونحن نعرف أنه قد عثر حتى الآن على خمس سفن اثنتين منها في الجهة الجنوبية واثنتين في الجهة الشرقية، وخامسة إلى جانب الطريق الصاعد، علماً بأن جهتين أخريين من الهرم الأكبر هما الجهة الشمالية، والجهة الغربية لم تفحصا فحصاً تامًّا حتى الآن، ولن يكون مستغرباً إذا تم العثور في يوم من الأيام على سفن أخرى فيها أو إلى جانب الطريق الصاعد؟!

كما عثروا على أعمدة حجرة السفينة ومجدافيها الكبيرين اللذين كانا يستخدماه بدلاً من الدفة لتحريكها ذات اليمين وذات الشمال، والمجاديف الصغيرة الأخرى متناثرة فوق سطحها، كما اتضح أن أخشاب السفينة كانت تثبت بعضها مع بعض بألسنة تعشيق وخوابير خشبية، ومسامير غروية ومشابك من النحاس، وقد تم تركيب السفينة بصفة مؤقتة لمعرفة مقاييسها النهائية فطولها من المقدمة إلى النهاية ٤٣,٥٥ متراً، وارتفاعها عند المقدمة ٥ أمتار، وعند المؤخرة سبعة أمتار، وتتكون أجزاؤها من ٦٥١ قطعة من الخشب غالبيتها العظمى من أرز لبنان تضاف إليها بضع مئات من قطع صغيرة من الحبال والمسامير والحصير وغير ذلك كما تعرف الآن أن حجرة كبيرة تحتل وسط السفينة ويحمل سقفها ثلاثة أعمدة من الخشب مِـجانها من النوع المعروف في الفن المصري القديم باسم الطراز النخيلي؟!

وهكذا كان من الواضح أن غالبية علماء الآثار والباحثين في علوم المصريات قد أجمعوا تقريباً على أن المراكب التي عثر عيها بجنوب الهرم الأكبر ليست هي مراكب الشمس، كما أنها ليست مراكب جنائزية.

بناء على الأدلة التي ذكرناها في كل تلك النصوص السابقة نقول: هذه هي حقيقة المراكب التي عثر عليها بجنوب الهرم الأكبر والتي أطلق عليها بعض علماء الآثار والمصريات في العصر الحديث خطأ اسم: (مراكب الشمس) هي عبارة عن قوارب نجاة قد أعدها الجبت الإنسي: قابيل اللعين (الدجال) مسبقاً للنجاة من الغرق عند حدوث طوفان نوح (عليه السلام) وذلك حسب رأي الباحث/ أسامة مرعي مع اختلافنا معه على كون المسيح الدجال هو قابيل بن آدم[1].

من المفاجآت التي كشفها علماء الآثار الذين قاموا بدراسة عن تاريخ الطوفان وآثار البلاد التي أغرقها فقد كشفوا عن حفريات كثيرة منها التي تقع في وادي دجلة والفرات فكانت المفاجأة التي قاموا بإعلانها أن تاريخ الطوفان يتفق مع بناء الهرم الأكبر.

---

١ - كتاب الجبت والطاغوت جزءان - للباحث أسامة مرعى تحت الطبع - الناشر دار الكتاب العربي - مع اختلافنا معه حول عمومية الطوفان للأرض.

وقد أوضح الباحث أسامة مرعي في كتابه الجبت والطاغوت أن المسيح الدجال الذي يراه أنه قابيل بن آدم هو الذي قام ببناء الأهرام للنجاة من الطوفان حيث من وجهة نظر الباحث أن الطوفان قد عم الأرض كلها، وقال:

والسؤال الذي يطرح نفس الآن هو: لماذا قام الجبت الإنسي: قابيل اللعين (الدجال) بتصميم البناء الذي لجأ إليه عند حدوث طوفان نوح العظيم على هيئة الشكل الهرمي الحالي الذي أطلق عليه اسم: (الهرم الأكبر)؟

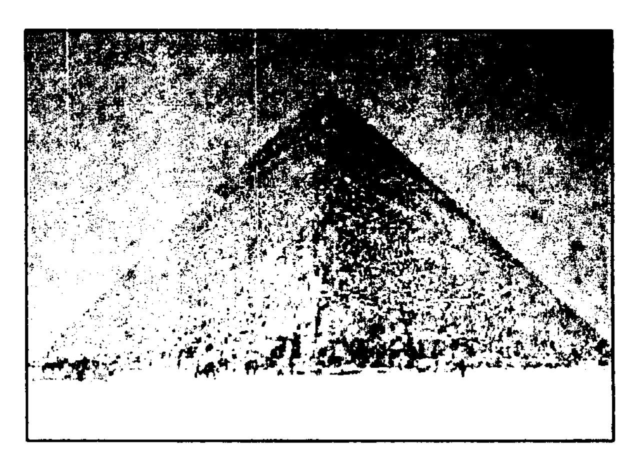
وللإجابة على ذلك نقول: لقد قام الجبت الإنسي قابيل اللعين (الدجال) بتصميم البناء الذي سيحتمي به ويكون ملجأ له من الغرق عند حدوث طوفان نوح العظيم على هيئة الشكل الهرمي الحالي الذي أطلق عليه اسم: الهرم الأكبر، لأن الشكل الهرمي هو الشكل الهندسي الوحيد الذي يمكن أن يتحمل مئات الألوف من الكيلومترات المكعبة من ضغط مياه الطوفان الهائلة عليه دون أن ينهار أو يهدم؟!

قال عالم المصريات الكبير د. / سيد كريم، في جريدة: (حديث المدينة) ما نصه: (ويرجع سر بناء بيت الإله وتحويله إلى شكله الهرمي الحالي (الهرم الأكبر) إلى نبوءة سجلها كهنة معبد منف (معبد أيمحوتب) الذي كانوا يشرفون على إدارة بيت الإله، تشير النبوءة إلى أن لعنة إله السماء ستنزل على البشر بطوفان عظيم يغرق الأرض وما عليها، فقاموا بجمع جميع المقدسات وكنوز أسرار الوجود التي خلفها أيمحوتب ووضعوها داخل خزائن بيت الإله، ثم أغلقوا أبوابه وحصنوها ثم قاموا بتغطية سطح بيت الإله وغرفة العرش بالقمة الهرمية وتحول بيت الإله إلى شكله الهرمي الحالي الذي أطلق عليه اسم: الهرم الأكبر).

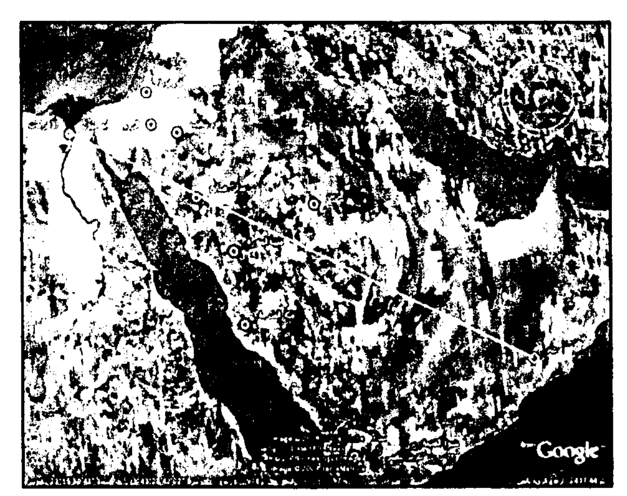
ولذلك فقد قام الجبت الإنسي: قابيل اللعين ببناء عرشه على هيئة الشكل الهرمي، والذي يقع في قاع بحر سارجاسو بمنطقة مثلث برمودا بالمحيط الأطلنطي بمغرب الأرض، وهو الذي توجد صورته على ختم الجبت الإنسي قابيل اللعين بالدولار الأمريكي (من فئة الدولار الواحد)[1]؟!

١- انظر المصدر السابق.

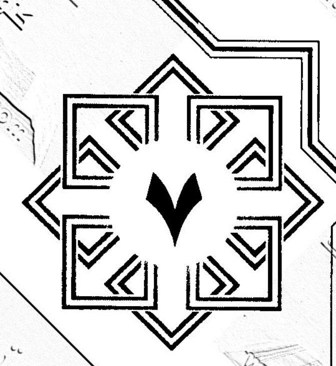
وهذا الكلام قد نتفق معه وقد نختلف ولكننا نأخذ منه أن الطوفان لم يعم الأرض كلها ولعل رؤيا الملك سوريد كانت تخص قوم نوح الذين جاءوا من بعده حسب ما ذكره السيوطي وغيره من المؤرخين القدماء حيث إن الطوفان حدث بعد ثلاثمائة عام من حلم الملك، وليس هناك دليل على غرق أهل مصر بالطوفان بل إن أهل التاريخ يرجحون أن قوم نوح قد سكنوا منطقة الطائف بالجزيرة العربية كما سبق وذكرنا ذلك.



الهرم الأكبر يقال إنه تم بناؤه بسبب توقع حدوث الطوفان



شبه الجزيرة العربية هل شهدت مدنها الطوفان؟
وهل هي بلاد قوم نوح (حضر موت)



قصة الطوفان عند الأمم الأخرى

- قراءة ومقارنة في قصة الطوفان في العهد القديم والقرآن الكريم.
- قصة الطوفان في أدبيات الحضارات والأساطير القديمة.
- ذكر طوفان نوح في الأساطير الإغريقية.
- قصة الطوفان في الحضارة السومرية قبل الميلاد.
- مقارنة بين قصة الطوفان في القرآن الكريم والتوراة وملحمة جلجامش البابلية.

قراءة ومقارنة في قصة الطوفان في العهد القديم والقرآن الكريم

ذكرت قصة طوفان نوح عليه السلام في العهد القديم الذي يعرف بالتوراة والقصة في إجمالها تتحدث عن نبي الله نوح عليه السلام ودعوته لقومه الذين عبدوا الأصنام وعصيانهم له ثم عقاب الله لهم بالطوفان ونجاة نوح ومن آمن معه في السفينة وهناك اختلافات بين القصة في القرآن الكريم والعهد القديم في التفاصيل حيث إن العهد القديم في سفر التكوين قد ذكر قصة الطوفان ولم تذكر مثلاً أن لنوح زوجة كافرة ولم تذكر أن له ولداً كافراً، وذكرت أن نوحاً أدخل زوجته السفينة مع المؤمنين وأنها نجت.

وكذلك أقرت رواية العهد القديم أن الطوفان عم الأرض كلها وأن السفينة رست على جبال أرارات، جاء في سفر التكوين: «في سنة ستمائة من حياة نوح في الشهر الثاني من اليوم السابع عشر من الشهر في ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفجرت طاقات السماء، وكان المطر على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة. في ذلك اليوم عينه دخل نوح وسام وحام ويافث بنو نوح وامرأة نوح وثلاث نساء بنيه معهم إلى الفلك وكل الوحوش كأجناسها وكل البهائم كأجناسها وكل الدابات التي تدب على وجه الأرض كأجناسها وكل الطيور كأجناسها وكل البهائم كأجناسها».

- ذكر العهد القديم عمر نوح من مولده إلى وفاته،ولم يرد ذكر ذلك في القرآن الكريم.
- لم يصرح العهد القديم بنبوة نوح، وصرح القرآن الكريم بنبوته.
- اكتفى العهد القديم بوصف قوم نوح بالمعصية والفسق، وقد صرح القرآن بأنهم كانوا وثنيين.
- ذكر القرآن الكريم معالم دعوة نوح، وهي الإيمان بالله ورسله واليوم الآخر ولم يرد شيء من هذا في العهد القديم.

- لم يأت ذكر صراع بين نوح وقومه في العهد القديم لكن القران الكريم ذكر بالتفصيل ما جرى بين نوح وما دار مع قوم نوح منه ومن دعوته ومن المؤمنين به.
- اهتم العهد القديم بكيفية صناعة السفينة ووصفها، لكن القرآن الكريم أشار فقط إلى صناعتها (بأعيننا ووحينا).
- حدد العهد القديم أسماء الناجين ولم يشر القرآن إلى ذلك.
- الحديث عن الطوفان في العهد القديم يركز على كيفيته وزمنه ونقطة بدايته وتوقفه ولم يشر القرآن إلى ذالك.
- لم يبين العهد القديم أن حركة السفينة واستقرارها كان باسم الله لكن القرآن صرح بذلك.
- ذكر العهد القديم قصة بناء نوح مذبحا للرب بعد نجاته ولم يشر القرآن إلى ذلك.
- وجاء في العهد القديم العهد بين نوح وربه بعدم إهلاك أهل الأرض ثانية ولم يشر القرآن إلى ذلك، وبالتالي فتكرر أمر الطوفان مرة أخرى وارد.
- جاء في العهد القديم أن سمر البشرة يكونون عبيداً لبيض البشر وهذا مخالف للقرآن.
- جاء في العهد القديم أن السبب في إهلاك ابن نوح أنه رأى عورة أبيه ولم يسترها أما السبب في القرآن فكفره بالله.
- جاء في العهد القديم أن الطوفان عم سائر الأرض ولم يقطع القرآن الكريم بذلك، بل هناك في القرآن ما يدل على أنه خاص بقوم نوح والدليل على ذلك قد ذكرناه من قبل وأهم تلك الأدلة أن دعوة نوح كانت خاصة بقومه وبالتالي لا يعقل أن يعذب الله أهل الأرض الذين لم يبلغهم دعوة نوح عليه السلام.

تلك أهم الفوارق في قصة نوح وطوفانه بين القرآن الكريم وسفر التكوين في العهد القديم.

ومع قراءة لقصة نوح في القرآن الكريم وأمر الطوفان يمكن لنا اختصاره في النقاط الآتية:

لقد وردت قصة نوح والطوفان في القرآن الكريم بشكل مختصر في السور التالية: (الأعراف:٥٩-٦٤)، (يونس:٧١-٧٣)، (الشعراء:١٠٥-١٢٢)، (الصافات: ٧١-٨٣)، (القمر:٩-١٦)، (المؤمنون:٢٣-٣١)، (نوح:١-٨). وهنالك إشارات عابرة إلى القصة في السور التالية: (الأنبياء:٧٦-٧٧)، (الفرقان:٧٧)، (العنكبوت: ١٤-١٥)، (غافر: ٥-٦). أما القصة الأكثر تفصيلاً فقد وردت في (سورة هود: ٢٥-٤٩).

وتحتوي الرواية القرآنية على العناصر الرئيسية للقصة، ولكن باستخدام الأسلوب الموجز الذي يقفز فوق التفاصيل؛ حيث تبدأ بذكر قيام قوم نوح بعبادة الأصنام على الأرض، والله يختار الرجل الصالح نوحاً لهدايتهم.

قال: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ﴾ [نوح: ١-٨].

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝٢٧ ﴾ [نوح: ٢٦-٢٧].

ثم قرار الطوفان والإعلام عنه والأمر ببناء السفينة بوحي من الله، ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [هود: ٣٦-٣٧].

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود: ٤٠].

أن نوحاً كان يصنع السفينة تحت إشراف الربّ بعد أن تلقّى منه التعليمات الخاصة بذلك وحياً. كما أنه قد حمل من آمن معه إضافة إلى أهله،.

أما عن التنور الذي فار عند ابتداء الطوفان، فيقول أغلب المفسرين بأنه تنور كانت تخبز فيه امرأة نوح الخبز، ومنه تدفقت المياه السفلية.

ثم دخول الفلك عند الطوفان:

﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [هود: ٤١-٤٣].

تنفرد الرواية هنا بذكر قصة ابن نوح التي لم ترد في التوراة. كما أنها لا تنص على فترة معينة لطغيان الطوفان وتراجعه.

تراجع الطوفان والرسو على «الجودي»

﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ٤٤].

نستدل من قوله: ﴿ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي ﴾ على أن علل الطوفان كانت مياه الأمطار والمياه السفلية التي تفجرت من الأعماق. أما الجودي فهو جبل بالعراق قرب الموصل.

ثم النزول ومباركة بطل الطوفان:

﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [هود: ٤٨].

وفي العهد القديم جاء ذكر إطلاق الطيور الوارد في الرواية التوراتية.

وأن الله قد أنعم على نوح بحياة مديدة، فعاش عدداً من السنوات يعادل ما ذكرته الرواية التوراتية.

أما في القرآن الكريم: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا ﴾ [العنكبوت: ١٤].

وفي سفر التكوين:

«وعاش نوح بعد الطوفان ثلاثمئة وخمسين سنة، فكانت أيام نوح تسعمئة وخمسين سنة، ومات». (التكوين ٩: ٢٨).

ويمكن لنا أن نلخص قصة نوح وطوفانه في سِفْر التكوين بالعهد القديم في النقاط الآتية أيضاً مع مقارنتها بما جاء في القرآن الكريم:

ذكر العهد القديم وسفر التكوين أن نوحاً كان رجلاً سكيراً تذهب الخمر بعقله فينطرح على الأرض مكشوف العورة مثيراً للضحك !! (لا سمح الله).

في القرآن الكريم نجد نوحاً يعلم قومه كيف يعظمون ربهم، و يفتح عقولهم على مشاهد القدرة في الكون﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾ ﴾ [نوح:١٥-١٨].

وبعد هذا يرفض نوح التفاوت الاجتماعي في قومه ونظام الطبقات، ويرفض اقتراح الأغنياء عليه أن يطرد الفقراء من حوله حتى يستطيعوا الاجتماع به، و يصيح: ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [هود:٢٩، ٣٠].

أما في العهد القديم الذي يعرف بالتوراة فجاء ذكر ووصف نوح عليه السلام على الوجه التالي في سفر التكوين: (وابتدأ نوح يكون فلاحاً و غرس كرْماً و شرب من الخمر فسكر و تعرَّى داخل خبائه، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه، وأخبر أخويه خارجاً، فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء، فلم يبصرا عورة أبيهما، فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير، فقال: ملعون كنعان، عبد العبيد يكون لإخوته، وقال: مبارك الرب إله سام، وليكن كنعان عبداً لهم)..

كما جاء في الإصحاح التاسع من سفر التكوين.. وكاتب هذه القصة أراد إهانة الكنعانيين و هم سلالة عربية سكنت الشام وعمرت فلسطين قبل اليهود فانتحل هذه الحكاية... وهذه القصة لا أصل لها وهي من تأليف أحبار اليهود.

وجاء في بداية الإصحاح من نفس السفر: (و رأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، و أن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم، فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض، وتأسف في قلبه، فقال الرب: أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته، الإنسان مع بهائم و ذبابات و طيور السماء لأني حزنت أني عملتهم، و أما نوح فوجد نعمة في عيني الرب).

هكذا تلحظ في هذا السرد أن الخالق جل و علا فوجئ بما لم يكن في الحسبان!! ومن أجل ذلك تألم لأنه خلق أبناء آدم فقرر الخلاص منهم، و ها هو ذا قد أغرقهم بالطوفان و نجى نبيه نوحاً، فماذا يصنع نوح لمرضاة الله: (بنى نوح مذبحاً للرب،

وأخذ من كل البهائم الطاهرة و من كل الطيور الطاهرة، و أصعد محرقات على المذبح، فتنسم الرب رائحة الرضا، و قال الرب في قلبه: لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان، لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته، و لا أعود أيضاً أميت كل حي كما فعلت) (سفر التكوين).

أما في القرآن الكريم: ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ۝ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ۝ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ۝ ﴾ [الصافات: ٧٥: ٧٧].

وقد ذكر نبيُّنا نوحاً في حديث من الرِّقاق نحب أن نُثبته: روى النسائي عن سليمان ابن يسار عن أحد الأنصار أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: «قال نوح لابنه: إني موصيك بوصية وقاصرها لكي لا تنساها: أوصيك باثنتين و أنهاك عن اثنتين، أما اللتان أوصيك بهما فيستبشر الله بهما وصالح خلقه، و هما يكثران الولوج على الله: أوصيك بلا إله إلا الله، فإن السماوات و الأرض لو كانتا حلقة قصمتهما، و لو كانتا في كفة وزنتهما.. و أوصيك بسبحان الله و بحمده، فإنها صلاة الخلق، و بها يرزق الخلق: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء:٤٤]... و أما اللتان أنهاك عنهما فيحتجب الله منهما وصالح خلقه: أنهاك عن الشرك و الكبر»[1].

حسب رواية العهد القديم: أخبر الله عز وجل نوحاً عليه السلام أن قومه سيهلكون إلا المؤمنين منهم، لأن الأرض قد ملئت جَوراً، ولهذا أمره ببناء السفينة وأخبره كيف يقوم بذلك بالتفصيل، كما أمره أن يصطحب معه عائلته وأولاده الثلاثة ونسوتهم، وزوجين من كل دابة وبعض المؤن.

بعد ذلك بسبعة أيام، وعندما حان وقت الطُّوفان، تفجرت ينابيع الأرض وفتحت أبواب السماء، وحصل طُوفان عظيم أغرق كل شيء، استمر الطُّوفان أربعين يوماً

١- رواه النسائي.

وليلة، وأبحرت السفينة في الماء الذي غطى كل الجبال والمرتفعات، وهكذا أنقذ كل من حمله نوح معه على السفينة وقضى الباقون غرقاً بماء الطُّوفان، توقفت الأمطار بعد الطُّوفان الذي استمر ٤٠ يوماً و٤٠ ليلة، وابتلعت الأرض مياهها بعد ١٥٠ يوماً من ذلك.

بعد ذلك، وفي اليوم السابع عشر من الشهر السابع، استوت السفينة على جبال أرارات، وأرسل نوح عدة مرات حماماً ليرى ما إذا كانت المياه قد نضبت كلُّها أم لا، وعندما لم تعد الحمامة في المرة الأخيرة أدرك أن المياه قد انحسرت، وأمره الله أن ينـزل ومن معه من السفينة وينتشروا في الأرض.

جاء في سفر التكوين عن طوفان نوح:

«١٣فقال الله لنوح: نهاية كل بشر قد أتت أمامي، لأن الأرض امتلأت ظلماً منهم، فها أنا مهلكهم مع الأرض،١٤ اصنع لنفسك خشباً من جفر، فها أنا آت بطُوفان الماء على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء، كل ما في الأرض يموت١٨، ولكن أقيم عهدي معك فتدخل الفُلْكَ أنت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك١٩، ومن كل حي من كل ذي جسد اثنين من كل تدخل إلى الفُلْكِ لاستبقائها معك. ٢٢ففعل نوح حسب كل ما أمره به الله، هكذا فعل.» (التكوين ٦: ١٣-٢٢)

«٤واستقر الفُلْكُ في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبال أرارات». (التكوين ٤:٨).

«٢من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكراً وأنثى، ومن البهائم التي ليست بطاهرة اثنين ذكراً وأنثى، ٣ومن طيور السماء أيضاً سبعة سبعة ذكراً وأنثى، لاستبقاء نسل على وجه كل الأرض.» (التكوين ٧:٢-٣).

«١١أقيم ميثاقي معكم فلا ينقرض كل ذي جسد أيضا بمياه الطُّوفان، ولا يكون أيضاً طُوفان ليخرب الأرض» (التكوين ١١:٩).

حسب رواية العهد القديم: «كل ما على الأرض سوف يموت» في الطُّوفان الذي غمر كل العالم، فإن كل الناس قد أصابهم العقاب ما عدا أولئك الذين كانوا على ظهر السفينة مع نوح

ذكر طُوفان نوح في العهد الجديد «الأناجيل الأربعة»:

جاء في إنجيل متى:

«٣٧وكما كانت أيام نوح كذلك أيضا يكون مجيء ابن الإنسان٣٨، لأنه كما كانوا في الأيام التي قبل الطُّوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون ويزوجون إلى اليوم الذي دخل فيه نوح الفُلْكَ٣٩ ولم يعلموا حتى جاء الطُّوفان وأُخذ الجميع. كذلك يكون أيضاً مجيء ابن الإنسان. (متى:٣٧-٣٩).

وفي إنجيل بطرس:

«ولم يشفق على العالم القديم، بل إنما حفظ نوحاً ثامناً كارزاً للبر، إذ جلب طُوفاناً على عالم الفجار.» (بطرس: ٥).

وفي إنجيل لوقا:

«وكما كان في أيام نوح كذلك يكون أيضاً في أيام ابن الإنسان كانوا يأكلون ويشربون ويزوجون ويتزوجون إلى اليوم الذي فيه دخل نوح الفلك وجاء الطوفان وأهلك الجميع» (لوقا ٢٦: ١٧ - ٢٧).

وفي إنجيل بطرس:

«إذا عصت قديماً حين كانت أناة الله تنتظر مرة في أيام نوح إذا كان الفلك يبنى فيه خلص قليلون أي ثماني أنفس بالماء» (بطرس: ٢: ٣).

«لأن هذا يخفى عليهم بإرادتهم أن السماوات كانت منذ القديم، والأرض بكلمة الله قائمة من الماء وبالماء، اللواتي بهذا العالم الكائن حينئذ فاض عليه الماء فهلك» (بطرس ٥: ٣ - ٦).

ويرى المؤرخون أن قصة الطوفان في التوراة مأخوذة من ملحمة جلجامش أو قصة الطوفان البابلية حيث إن الشكل الأدبي الأخير لملحمة جلجامش التي احتوت على قصة الطوفان البابلية هذه، يعود بتاريخه إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد. ولكن نسخة منها وُجدت محفوظة في مكتبة الملك آشور بانيبال بمدينة نينوى والتي تعود بتاريخها إلى أواسط القرن السابع قبل الميلاد، الأمر الذي يدل على أنها بقيت متداولة إلى حين وصول سبي يهوذا إلى بابل نحو عام ٥٨٧ ق.م، وكان لدى محرري التوراة فرصة للاطلاع على قصة الطوفان الكبير، ودمجها في روايتهم عن بدايات التاريخ البشري في سفر التكوين. «فخلال تسعة أجيال بعد وفاة آدم كان شر البشر يكثر على وجه الأرض. فندم الرب على خلقه للإنسان وفكر بطريقة للتخلص منه» كذا. نقرأ في الإصحاحات من ٦ إلى ٩ في سفر التكوين ما يلي:

«ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم. فحزن الربّ أنه عمِل الإنسان وتأسف في قلبه، فقال الربّ: أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته، الإنسان مع بهائم ودباباتٍ وطيور السماء، لأني حزنت أنّي عملتهم. وأما نوح فوجد نعمة في عيني الربّ (التكوين ٦: ٥-٧).

فقال الله لنوح: نهاية كل بشر قد أتت أمامي لأن الأرض امتلأت منهم ظلماً. فها أنا مهلكهم مع الأرض. اصنعْ فُلكاً من خشب جُفر، وتجعل الفلك مساكن وتطليه من داخل ومن خارج بالقار، وهكذا تصنعه: ثلاثمئة ذراع يكون طول الفلك وخمسين ذراعاً عرضه وثلاثين ذراعاً ارتفاعه. وتصنع كوى للفلك وتكَمِّله إلى حد ذراع من فوق، وتصنع باب الفلك في جانبه. مساكن سفلية ومتوسطة وعلوية تجعله. فها أنا آت بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء. كل ما في الأرض يموت، ولكن أقيم عهدي معك فتدخل الفلك أنت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك. ومن كل حي من كل ذي جسد اثنين من كلٍّ تُدخل إلى الفلك لاستبقائها معك تكون ذكراً وأنثى. من الطيور كأجناسها ومن البهائم كأجناسها، اثنين من كل

تُدخل إليك لاستبقائها. وأنت فخذ لنفسك من كل طعام يؤكل واجمعه عندك فيكون لك ولها طعاماً. ففعل نوح حسب كل ما أمره الرب (الإصحاح ٦: ١٣-٢٢).

«وقال الرب لنوح: أُدخل أنت وجميع بيتك إلى الفلك لأني إياك رأيت بارًّا في هذا الجيل (الإصحاح ٧: ١).

ولما كان نوح ابن ستمئة سنة صار طوفان الماء على الأرض. فدخل نوح وبنوه ونساء بنيه معه إلى الفلك من وجه مياه الطوفان، ومن البهائم الطاهرة والبهائم التي ليست بطاهرة، ومن الطيور ومن كل ما يدب على الأرض دخل اثنان اثنان إلى نوح إلى الفلك ذكراً وأنثى كما أمر الله نوحاً. وحدث بعد السبعة الأيام أن مياه الطوفان صارت على الأرض. في سنة ستمئة من حياة نوح، في الشهر الثاني، في اليوم السابع عشر من الشهر، في ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء، وكان المطر على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة (الإصحاح ٧: ٦-١٢).

وكان الطوفان على الأرض أربعين يوماً على الأرض، وتكاثرت المياه ورفعت الفلك فارتفع عن الأرض. وتعاظمت المياه وتكاثرت جدًّا على الأرض، فكان الفلك يسير على وجه المياه. وتعاظمت المياه كثيراً جدًّا على الأرض فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء، خمس عشرة ذراعاً في الارتفاع تعاظمت المياه فتغطت الجبال، فمات كل ذي جسد كان يدب على الأرض ... وتبقى نوح والذين معه في الفلك فقط. وتعاظمت المياه على الأرض مئة وخمسين يوماً (٧: ٦-٢٤).

«ثم ذكر الله نوحاً وكل الوحوش وكل البهائم التي معه في الفلك، وأجاز الله ريحاً على الأرض فهدأت المياه وانسدت ينابيع الغَمر وطاقات السماء، فامتنع المطر من السماء، ورجعت المياه عن الأرض رجوعاً متوالياً. وبعد مئة وخمسين يوماً نقصت المياه واستقر الفلك في الشهر السابع عشر من الشهر على جبل أراراط. وكانت المياه تنقص نقصاً متوالياً إلى الشهر العاشر. وفي العاشر في أول الشهر ظهرت رؤوس الجبال.

«وحدث بعد أربعين يوماً أن نوحاً فتح طاقة في الفلك التي كان عمِلها، وأرسل الغراب فخرج متردداً حتى نشفت المياه عن الأرض. ثم أرسل الحمامة من عنده ليرى هل قلَّت المياه عن وجه الأرض، فلم تجد الحمامة مقرًّا لرجلها فرجعت إليه ... فلبث أيضاً سبعة أيام أُخر وعاد فأرسل الحمامة من الفلك، فأتت إليه عند المساء وإذا ورقة زيتون خضراء في فمها، فعلم نوح أن المياه قد قلت عن الأرض. فلبث أيضاً سبعة أيام أُخر وأرسل الحمامة فلم ترجع إليه.

«وكان في السنة الواحدة والستمئة (من عمر نوح) في الشهر الأول في أول الشهر، أن المياه نشفت عن الأرض. فكشف نوح الغطاء عن الفلك ونظر وإذا وجه الأرض قد نشف. وفي الشهر الثاني في اليوم السابع والعشرين من الشهر جفت الأرض. وكلم الله نوحاً قائلاً: أُخرج من الفلك أنت وامرأتك وبنوك ونساء بنيك معك، وكل الحيوانات التي معك ... فخرج نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه وكل الحيوانات... وبنى نوح مذبحاً للرب وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة، وأصعد محرقات على المذبح. فتنسَّم الرب رائحة الرضا، وقال الرب في قلبه: لا أعود العن الأرض أيضاً من أجل الإنسان، لأن قلب الإنسان شرير منذ حداثته، ولا أعود أيضاً أُميت كل حي كما فعلت. مدة كل أيام الأرض زرع وحصاد وبرد وحر وصيف وشتاء ونهار وليل لا تزال (الإصحاح ٨).

«وبارك الله نوحاً وبنيه وقال لهم: أثمروا وأكثروا في الأرض، ولتكن خشيتكم ورهبتكم على كل حيوانات الأرض ... وها أنا أقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم ومع كل ذوات النفس الحية ... لا ينقرض كل ذي جسد بمياه الطوفان، ولا يكون أيضاً طوفان ليخرب الأرض. وقال الله: هذه علامة الميثاق الذي أنا واضعه بيني وبينكم وبين كل ذوات الأنفس الحية التي معكم إلى أجيال الدهر. وضعت قوسي في السحاب فتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض؛ فيكون متى أنشر سحاباً على الأرض وتظهر القوس في السحاب أني أذكر ميثاقي الذي بيني وبينكم (الإصحاح ٩:

١-١٤). وعاش نوح بعد الطوفان ثلاثمئة وخمسين سنة، فكانت كل أيام نوع تسعمئة وخمسين سنة ومات. (التكوين ٩: ٢٨-٢٩).

تعتمد الروايتان التوراتية والبابلية على العناصر نفسها، وتسير الأحداث فيهما على نحو متوازٍ. فقرار الطوفان يتخذه الإله إنليل في الرواية البابلية بعد موافقة مجمع الآلهة عليه، وفي الرواية التوراتية يتخذ القرار الإله يهوه منفرداً نظراً لعدم وجود مجمع للآلهة.

أما الدافع إلى ذلك فهو ازدياد شر البشر على الأرض، على ما نفهم ذلك بشكل صريح في مطلع القصة التوراتية، وبشكل غير مباشر في نهاية القصة البابلية، حيث يقول إيا لإنليل: «كيف دونما ترو جلبت هذا الطوفان؟ كان بإمكانك أن تُحمل الآثم إثمه والمعتدي عدوانه ... الخ».

بعد ذلك يقوم كل من الإله إيا والإله يهوه باختيار رجل صالح لمهمة إنقاذ بذرة الحياة على الأرض، ويعطيه تعليمات مفصلة حول مخطط السفينة وكيفية بنائها. ففي الرواية البابلية تتخذ السفينة شكل مربع، وتنقسم إلى سبعة طوابق والطابق إلى تسع حجرات. أما في الرواية التوراتية فتتخذ شكل مستطيل وتنقسم إلى ثلاثة طوابق، والطابق إلى عدد غير محدد من المساكن. بعد ذلك تنتقل التعليمات إلى تحديد ركاب السفينة وما يُحمل فيها من متاع. فقد كان على أوتنابشتيم أن يحمل معه عدداً غير محدد من أهله المقربين وممتلكاته، وعدداً غير محدد أيضاً من حيوانات الأرض. وكان على نوح أن يحمل معه امرأته وأبناءه ونساء أبنائه، ومن الحيوانات من كل زوجين اثنين، إضافة إلى ما يكفي من طعام.

ولكن أوتناشتيم كان أكثر فطنة من نوح (كذا!!) لأنه حمل معه أيضاً نخبة من أهل الصناعة والحرف، من شأنها حفظ منجزات الحضارة من الضياع.

الطوفان في الروايتين بتأثير عاملين رئيسيين هما ماء المطر والمياه الباطنية التي تفجرت من أعماق الأرض، وأضافت الرواية البابلية إلى ذلك مياه السدود التي

انهارت. وقد استمر طغيان الطوفان في الرواية البابلية سبعة أيام، تلتها سبعة أيام أُخر استقرت السفينة خلالها على جبل نصير، أثناء ذلك وعلى ثلاث فترات غير محددة أطلق أوتنابشتيم على التوالي ثلاثة طيور هي الحمامة والسنونو والغراب.

أما في الرواية التوراتية فلدينا خبران موضوعان جنباً إلى جنب؛ الخبر الأول يحدد أربعين يوماً لطغيان الطوفان وأربعين يوماً لتراجعه، إضافة إلى ثلاثة أسابيع أطلق خلالها نوح الغراب أولاً ثم الحمامة مرتين.

أما الخبر الثاني فيحدد المدة بنحو سنة كاملة، ١٥٠ يوماً لطغيانه و١٥٠ يوماً لتراجعه إضافة إلى فترات متقطعة أخرى بما فيها إطلاق الطيور.

وقد رست السفينة بعد تراجع الطوفان على جبل يدعوه النص بجبل آراراط.

بعد أن تأكد كل من أوتنابشتيم ونوح من انحسار الطوفان عقب بشارة الطائر الثالث، أطلق ركاب السفينة وقدم قرباناً للإله.

يلي ذلك مباركة إنليل لاوتنابشتيم وزوجته واسباغ نعمة الخلود عليهما ومباركة يهوه لنوح وبنيه وإعطاؤه عمراً مديداً بلغ ٩٥٠ سنة.

قصة الطوفان في أدبيات الحضارات والأساطير القديمة

جاء ذكر الطوفان في أدبيات الحضارات القديمة مثل الحضارة السومرية والبابلية والهندية والصينية، وكلها تؤكد أن قصة الطوفان قد حدثت ولها أهمية عظمى في حياة الإنسان وقد سجلها العهد القديم كما ذكر وكذلك القرآن الكريم وهو أصدق كتاب نقل إلينا ولم تطله أيدي التحريف.

وقد حملت أدبيات الحضارات القديمة قصة الطوفان الذي غمر الأرض وأفنى البشرية والكائنات الحية عدا فئة قليلة نجت وأعادت بناء الحضارة، وهي أسطورة شائعة في أدبيات تلك الحضارات القديمة جدًّا مثل الحضارة السومرية ومخطوطاتها «الألواح الطينية» التي كتبت بالخط المسماري، ولكنها لم تذكر في آثار الحضارة الفرعونية لأنها وجدت بعد الطوفان إلا أن الهرم الأكبر قد تم بناؤه كما قال المؤرخون القدماء لإنقاذ الحضارة التي كانت على أرض مصر حين رأى الملك رؤيا بدمار الأرض والطوفان فأخبره الكهنة بحدوث الطوفان وأشاروا عليه ببناء الهرم وذلك قبل حدوث الطوفان بثلاثمائة عام[1].

وهناك خلط بين ما وجد في الأدبيات القديمة للحضارات التي سبقت عصور قبل الميلاد بين الفيضانات التي حدثت في بعض المناطق وبين طوفان نوح الذي يظن بعض المؤرخين أنه عم الأرض كلها بناءً على رواية التوراة «العهد القديم» في سفر التكوين.

وذكر قصة الطوفان في أساطير كثير من بلدان العالم لا يعني أن الطوفان كان عالميًّا وإنما من الممكن القول إنه سجل في أدبيات تلك الأساطير نقلاً عن القدماء الذين ورثوا القصة من الآباء والأجداد الذين بقوا من نسل أولاد نوح الذين جاء منهم الجيل الحالي على الأرض من ذرية آدم وخاصة نسل شيث وأولاد آدم عدا قابيل الذين

---

١ - اقرأ كتابنا أسرار الأهرام والمسيح الدجال، فيه المزيد عن هذا الموضوع، الناشر دار الكتاب العربي.

هلكوا في الطوفان كما قال المفسرون والمؤرخون العرب وغيرهم والذين يرون أن قابيل هو المسيح الدجال المنتظر والذي أنظره الله كما أنظر إبليس والله أعلم.

يرى البعض أن ذكر الطوفان دليل على أن قصة الطوفان لا أساس لها حيث أن الأسطورة من نسج الخيال، ولكن الحقيقة أن تكرار ذكر الطوفان في أدبيات الشعوب القديمة دليل على صدق الواقعة أضف إلى ذكرها في آيات القرآن الكريم الذي هو كلام رب العالمين.

وقد دونت الحضارة السومرية قصة الطوفان منذ ٣١٠٠ سنة قبل الميلاد بالكتابة المسمارية ثم دونت القصة في حضارات الشعوب الأخرى أو نقلت عبر الذاكرة الشعبية.

وكما قلنا فقد خلط البعض بين طوفان نوح عليه السلام الذي كان في مساحة محدودة من الأرض على الرأي الراجح وبين الفيضانات التي حدثت لدول كثيرة على مر التاريخ كما حدث في الصين بحوالي عام ٢٢٩٧ قبل الميلاد.

فقد دونت أدبيات الصين القديمة كارثة هطول أمطار غزيرة كاسحة حوالي عام ٢٢٩٧ قبل الميلاد لما فاض نهر هونج هو Huang Ho أو النهر الأصفر الذي حول شمال الصين إلى بحر كبير.

وهناك فيضان آخر مدمر عام ١٣٣٢ قبل الميلاد في الصين لنفس النهر الأصفر، وغرق فيه ملايين البشر هناك قد يصل تعدادهم سبعة ملايين.

واستمر فيضان النهر أيضاً سنوات أخرى وراح ضحية الفيضان أناس كثيرون.وحدوث الفيضانات حدث في بلاد كثيرة ومنها مصر قبل بناء السد العالي وأيضاً بعده، وتلك الفيضانات ليست كطوفان نوح العظيم.

وكذلك الأمر في الهند التي شهدت الكثير من الفيضانات المدمرة جراء الأمطار الموسمية الغزيرة مثل الصين نذكر منها عام ١٥٠٠ قبل الميلاد في مدن منطقة هارابان.

وهناك قصة الطوفان الكبرى الجامح وبطله الإنسان الأول في الأساطير الهندية وهو «مانو» وهو يعادل آدم عندنا، وتتلخص الأسطورة في كون الإله براجاتي خالق الكون وأب الإله ظهر لمانو الإنسان البدائي وأنذره بحلول الطوفان المهلك وأمره ببناء السفينة كي ينجو من الطوفان وهكذا وقع الطوفان.

وهناك أسطورة الطوفان في الأساطير اليونانية وكلها تدور حول محور واحد ومضمون واحد، حيث زيوس كبير الإلهة في اليونان القديمة يستبدل سكان الأرض بإهلاكهم وإغراقهم بالطوفان العظيم ويستبدلهم بآخرين، وبطل الطوفان هو ديو كاليون ابن بورميثيوس والسبب انغماس أهل الأرض في الخطيئة والمعاصي.

وهناك أمثلة أخرى لنفس قصة الطوفان ذكرت في أدبيات شعوب قديمة كالرومان وألسكا ونيوزيلندا وإندونيسيا وماليزيا.

وكل هذه الأساطير عن الطوفان تقرر كما قلنا أن طوفان نوح العظيم هو الأساس وأن القرآن الكريم هو القصة الوحيدة الصحيحة لها، حيث أن سبب الطوفان في كل الروايات هو غضب الإله بسبب سلوك البشر الخاطئ والعقاب الإلهي لهم بالغرق في الطوفان.

من وجهة نظر المؤرخين فقد حصل طوفان قبل حوالي ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد في منطقة وادي الرافدين، ولقد أجرت عدة بعثات أثرية بعض التنقيبات في سهول بلاد الرافدين للبحث عن الآثار التي تذخر بها تلك المنطقة التي شهدت عدة حضارات ولقد كشفت تلك التنقيبات إلى أن هذه المنطقة شهدت طوفاناً عظيماً قضى على الحضارة السومرية التي كان أهلها يقطنون في سهول الرافدين، فقد ظهرت آثار الطوفان جلية في أربع مدن رئيسية في بلاد الرافدين: أور ـ أريش ـ شورباك ـ كيش.

إن أقدم ما تبقى من هذه الحضارة هو مدينة أور المعروفة اليوم (بتل المكيار) والتي يعود تاريخها إلى عام ٧٠٠٠ قبل الميلاد إن مدينة أور قد كان سكنها حضارات متعاقبة

سادت ثم بادت ومن خلال المكتشفات الأثرية لمدينة أور تبين بأن تلك الحضارة ضربها طوفان رهيب وأن حضارات نشأت مكانها تدريجيًا.

لقد قاد عالم الآثار (سير ليونارد وولي) حملة تنقيب من قبل المتحف البريطاني وجامعة (بنسلفانيا) عام ١٩٢٨م في المنطقة الصحراوية بين بغداد والخليج العربي ولقد وصف (ورينر كيلر) عالم الآثار الألماني تنقيبات (سير ليونارد وولي) كالتالي:

عندما قدمت حملة علماء الآثار إلى تل المكيار التي ارتفاعها ٥٠ قدماً جنوب المعبد وبعد التنقيب وجدوا صفا طويلا من القبور فوق بعضها البعض وقناطر حجرية رائعة وخزائن الكنوز التي كانت ممتلئة بـ أقداح ثمينة، وجرارا رائعة ومزهريات وطاولات وبرونزيات وفسيفساء وفضة تحيط بهذه الأشياء التي يغطيها الغبار وبعد عدة أيام من الحفر والتنقيب نادى أحد العمال الذين مع (وولي) وقال: نحن على مستوى الأرض ووضع نفسه في النفق ليقنع نفسه. ظن (وولي) إن هذا كل شيء، إنه رمل نقي (غريد) وهو نوع من الرمل ينحل بالماء فقط.

قامت الحملة بالحفر داخل جوف الأرض بأعماق وصلت إلى عشر أقدام، وعلى عمق عشر أقدام توصلوا إلى دليل واضح على مساكن بشرية.

وينقل (ماكس مالوان) عن سير ليونارد وولي «الطوفان هو الدليل الوحيد الممكن لهذا الطمي الهائل الذي وضع تحت التلة في مدينة أور، الذي فصل بين حضارتين بين مدينة أور السومرية ومدينة العبيد الأشورية»

ولقد دلت التحليلات المجهرية لهذا الطمي أو الغريد الهائل الذي وضع تحت التلة في أور تكدس هنا نتيجة الطوفان.

هذا ما حدث في التنقيب بمدينة «أور» وهي المدينة التي ولد ونشأ فيها نبي الله وأبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام.

وكذلك الأمر تم الكشف عن آثار للطوفان في مدينة أخرى من مدن بلاد الرافدين وهي «كيش» السومرية المعروفة اليوم بـ «تل الأحيمر» ويصف تاريخ السومريون القدماء هذه المدينة بـ (الموقع الأول للأسرة الحاكمة) في ذلك الزمان.

المدينة الجنوبية في بلاد الرافدين (شوربا) المعروفة اليوم بـ تل الفرح، تحمل أيضاً دليلاً واضحاً على الطوفان من خلال الأبحاث الأثرية التي قام بها (أريش سكمرت) من جامعة بنسلفاينا في هذه المدينة من عام ١٩٢٠-١٩٣٠ كشفت هذه التنقيبات الأثرية النقاب عن ثلاث طبقات من المساكن التي امتدت في عصر ما قبل التاريخ إلى الأسرة الحاكمة الثالثة كمدينة أور (٢١١٢- ٢٠٠٤) قبل الميلاد.

وكانت الاكتشافات المميزة بيوتاً مبنية بشكل رائع مترافقة مع كتابة مسمارية وقوائم من الكلمات تدل على التطور الراقي الذي كان موجوداً في نهاية الالف الرابع قبل الميلاد وكذلك كانت هناك آثار للطوفان في مدينة أريش الأثرية.

وحول موضوع وجود آثار لحياة على الأرض قبل الطوفان، فقد عثر مستكشفون أميركيون على عمق مئات الأمتار تحت سطح البحر الأسود على بقايا منطقة سكانية في بقعة وقعت فيها سيول مدمرة قبل ٧٥٠٠ عام تعادل في أهميتها اكتشاف أطلال بومبي المدينة الرومانية القديمة التي دمرها بركان فيزوف قبل عدة قرون.

وذكرت رويترز في تحقيق لها بهذا الشأن أن «روبرتبا لارد» أحد المستكشفين أوضح أن فريقه من جمعية ناشيونال جيوغرافيك عثر على هيكل مستطيل قد يكون لبناء على عمق نحو ٣١٠ أمتار تحت سطح البحر مما يشير إلى أن أناساً كانوا يعيشون هناك قبل إغراق طوفان هائل للمنطقة الأمر الذي يعتبر شواهد على مستوطنات بشرية. وقال «بالارد» في حديث هاتفي من سفينة الأبحاث نوردزنهور ايزون على مسافة ٢٠ كيلومتراً قبالة الساحل التركي إن الاكتشاف هائل ويرجع المعمار والقطع الفنية فيه إلى العصر البرونزي الحديث الذي كانت بدايته قبل نحو ٧٠٠٠ عام كما أنه يضم كمية

كبيرة من الأطلال تحت سطح الماء مما يشير إلى أن عدداً كبيراً من الناس كانوا يعيشون فيها واعتبر هذا الاكتشاف يفوق في أهميته اكتشاف حطام التايتانيك في عام ١٩٨٥.

وأضاف أن فريقه توصل إلى هذا الاكتشاف قبل ثلاثة أيام في الأسبوع الثاني من بعثة تستغرق خمسة أسابيع ويأمل أعضاء الفريق في التوصل إلى اكتشافات أخرى وسيقومون بعمليات تجفيف وتصوير وثائقي دقيق قبل إحضار أي شيء إلى السطح. وتم التعرف على القطع المكتشفة بمجسات ضوئية «سونار» وتم تصويرها بواسطة عربة متنقلة اسمها ازجوس في حجم الغسالة الكهربائية متصلة بباخرة الأبحاث بكابلات من الألياف الزجاجية وتبلغ مساحة الهيكل المستطيل الذي تم اكتشافه أربعة أمتار عرضاً و ١٥ متراً طولاً.

من المعروف منذ زمن طويل أن قصص الطوفان تنتشر انتشاراً واسعاً في جميع أنحاء العالم، فهناك قصص عن الطوفان في بعض مجتمعات الشرق الأدنى القديم، وفي الهند وبورما والصين والملايو وأستراليا وجزر المحيط الهادي، وفي جميع مجتمعات الهنود الحمر.

ومن هذا كله نرى أن الطوفان المعروف بطوفان نوح، قد شمل منطقة الجزيرة العربية وبلاد الرافدين.

ولهذا ذكرت الألواح السومرية في بلاد ما بين النهرين قد ذكرت قصة الطوفان وهذه الألواح قد كتبت قبل العهد القديم المعروفة بالتوراة وأسفار موسى

فقد كان الناس يعتقدون حتى أواخر القرن الماضي أن التوراة هي أقدم مصدر لقصة الطوفان، ولكن الاكتشافات الحديثة أثبتت أنه عثر في عام ١٨٥٣ م على نسخة من رواية الطوفان البابلية، وفي الفترة ما بين ١٨٨٩م،١٩٠٠ م، اكتشفت أول بعثة أثرية أمريكية قامت بالتنقيب في العراق اللوح الطيني الذي يحتوي على القصة السومرية للطوفان في مدينة «نيبور» (نفر) ثم تبعه آخرون، ويبدو من طابع الكتابة

التي كتبت بها القصة السومرية أنها ترجع إلى ما يقرب من عهد الملك البابلي الشهير «حمورابي» وعلى أنه من المؤكد أنها كانت قبل ذلك.

و ملخص القصة حسب الرواية السومرية تتحدث عن ملك يسمى (زيوسودا) كان يوصف بالتقوى ويخاف من الله، وينكب على خدمته في تواضع وخشوع أُخبر بالقرار الذي أعده مجمع الآلهة بإرسال الطوفان الذي صاحبه العواصف والأمطار التي استمرت سبعة أيام وسبع ليال يكتسح هذا الفيضان الأرض، حيث يوصف (زيوسودا) بأنه الشخص الذي حافظ على الجنس البشري من خلال بناء السفينة.

في الثالث من ديسمبر ١٨٧٢ م أعلن «سيدني سمث» نجاحه في جمع القطع المتناثرة من ملحمة جلجامش بعضها إلى بعض، مكتوبة في اثنى عشر نشيداً، أو بالأحرى لوحاً، ومحتوية على قصة الطوفان في لوحها الحادي عشر: وملخص القصة أنه كان هناك رجل يسمى جلجامش أمرته الآلهة بأن يبني سفينة، وأن يدع الأملاك وأنه احتمل على ظهر السفينة بذور كل شيء حي، والسفينة التي يبنيها سيكون عرضها مثل طولها وأنه نزل مطر مدرار.. الخ ثم استوت السفينة على جبل نيصير (نيزير) [وهو جيل بين الدجلة والزاب الأسفل].

وفي النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد، وعلى أيام الملك «أنتيوخوس الأول» (٢٨٠،٢٦٠ ق.م)، كان هناك أحد كهنة الإله «ردوك» البابلي، ويدعى بيروسوس قد كتب تاريخ بلاده باللغة اليونانية في ثلاثة أجزاء واحتوى الكتاب على قصة الطوفان وتقول: إنه كان يعيش ملك اسمه «أكسيسو ثووس» هذا الملك يرى فيما يرى النائم أن الإله يحذره من طوفان يغمر الأرض ويهلك الحرث والنسل فيأمره بأن يبني سفينة يأوي إليها عند الطوفان.

فيبني هذا الملك سفينة طولها مائة وألف يارده وعرضها أربعمائة وأربعون ياردة، ويجمع فيه كل أقربائه وأصحابه، ويختزن فيه زاداً من اللحم والشراب فضلاً عن الكائنات الحية من الطيور وذات الأربع.

و يغرق الطوفان الأرض.. وتستقر السفينة على جبل حيث ينزل وزوجته وابنته وقائد الدفة، ويسجد الملك لربه ويقدم القرابين الخ....

والقصة في الألواح السومرية تختلف عن القصة في الحضارة البابلية في الأسماء والتفاصيل وليس المضمون على النحو التالي:

- **السومرية:** أخبر الإله إنليل الناس أن الآلهة الأخرى عزمت على إهلاك البشرية، ولكنه هو نفسه يريد إنقاذها. بطل القصة هو زيوسودرا، ملك مدينة سيبور، أخبر الإله إنليل زيوسودرا ماذا يفعل لينجو من الطُّوفان، النص المتعلق ببناء السفينة غير موجود، إلا أن الأجزاء الأخرى من القصة والتي تروي كيف نجا البطل من الطُّوفان، تظهر أن هذا المقطع كان موجوداً، وبالاعتماد على الرواية البابلية للقصة نصل إلى نتيجة حقيقية بأنه لابد أن تكون النسخة السومرية الكاملة متضمنة تفاصيل شاملة عن الطُّوفان وأسبابه وكيفية بناء السفينة.
- أما الرواية البابلية وهي ملحمة جلجامش فتذكر أن: أوت نابيشتيم هو البطل البابلي الموازي للبطل السومري زيوسودرا، والشخصية المهمة الأخرى هي شخصية غلغامش، حسب الأسطورة، يقرر غلغامش أن يجد أسلافه ليحصل على سر الخلود، حُذّر غلغامش من الصعوبات والمخاطر التي تنتظره خلال رحلته هذه، قيل له: إنه سيمر على جبال ماشو ومياه الموت»؛ وإن هذه الرحلة لم يقم بها أحد سوى إله الشمس شامشا حتى الآن، إلا أن غلغامش اجتاز بشجاعة كل المخاطر ووصل إلى أوت نابيشتيم.

ينقطع النص عندما يلتقي غلغامش بنابيشتيم، وعندما يعود مرة أخرى يستمر من قول نابيشتيم لغلغامش:

«احتفظت الإلهة بسر الموت والحياة لنفسها (أي: إنها لا تطلع عليه أحداً من الناس)، وهنا سأله غلغامش: كيف يمكن أن يحصل على الخلود؟ فأخبره بقصة

الطُّوفان كجواب عن سؤاله. وتوجد رواية الطُّوفان أيضاً في «الموائد الاثنتي عشرة» من أسطورة غلغامش.

بدأ أوت نابيشتيم حديثه بأن هذه القصة التي سيرويها إلى غلغامش هي سر من أسرار الإلهة، قال: إنه جاء من مدينة شورباك أقدم مدن أرض أكاد، ناداه الإله «إي» حسب روايته، ناداه من خلف جدران كوخه المصنوع من القصب، وأخبره أن الآلهة قررت أن تقضي على كل ما هو حي فتغرقه بطُوفان، إلا أن سبب قرارهم هذا أغفل في القصة البابلية كما أغفل في الرواية السومرية. قال أوت نابيشتيم: إن الإله «إي» أخبره أن يصنع سفينة ويضع فيها «بذور كل الأحياء»، وأعلمه عن حجم السفينة، فكانت أبعادها طولاً وعرضاً وارتفاعاً متساوية، قلبت العاصفة كل شيء رأساً على عقب، واستمرت ستة أيام، وفي اليوم السابع هدأت، ورأى أوت نابيشتيم أن كل شيء قد تحول إلى طين، واستقرت السفينة على «مت نيصير».

وحسب السجلات السومرية والبابلية: فقد أنقذ «إيكزوثروس» أو «خاسيساترا» من الطُّوفان في السفينة التي بلغ ارتفاعها ٩٢٥ متراً هو وعائلته وأصدقاؤه وبعض الحيوانات والطيور. ويقال: إن «المياه ارتفعت إلى السماء، وغطت المحيطات والشطآن، وفاضت الأنهار فخرجت من مجراها»، واستوت السفينة في النهاية على جبل «كوريديان».

وحسب الرواية الآشورية- البابلية: فقد أنقذ «أوبرا توتو» أو «خاسيساترا» هو وعائلته وخدمه وقطعانه والحيوانات الأليفة على سفينة طولها ٦٠٠ ذراع وارتفاعها ٦٠ذراعاً وعرضها ٦٠ ذراعاً أيضاً، استمر الطُّوفان ستة أيام وست ليال، وعندما وصلت السفينة إلى جبل نزار، عادت الحمامة التي كانت قد أطلقت من السفينة ولم يعد الغراب الأسود.

وحسب بعض السجلات السومرية والآشورية والبابلية: فإن أوت نابيشتيم قد أنقذ مع عائلته في السفينة من الطوفان الذي استمر ستة أيام وست ليال، «وفي اليوم

السابع نظر أوت نابيشتيم إلى الخارج، الهدوء يلف المكان، لقد عاد الإنسان مرة أخرى إلى الطين»، وعندما استوت السفينة على جبل نزار، أرسل حمامة وغراباً وعصفوراً. بقي الغراب ليأكل من حبوب الأرض بينما لم يرجع الآخران.

الهندية: تقول الشاتاباثا البراهمية وأساطير الماهاباهارتا الهندية: إن رجلاً يدعى مانو قد نجا من الطُّوفان مع ريشيتز، وحسب رواية الأسطورة: فقد كبرت السمكة التي التقطها مانو من البحر وأبقى على حياتها، وفجأة قالت له أن يصنع سفينة ويربطها إلى قرنيها، كانت هذه السمكة تجلياً من تجليات الإله «فيشنو»، وقادت السمكة السفينة في المياه لتوصلها إلى جبل هيسهافات.

ويلز: حسب أساطير ويلز: فقد فر كل من دوينوين و دوينفاك من الكارثة الكبيرة في السفينة، وعندما انتهى الطُّوفان الكبير الذي حدث من فيضان «لينليون» الذي كان يسمى «بحيرة الأمواج» استقر كل من دوينوين ودوينفاك واستوطنا بريطانيا من جديد.

اسكندينافيا: تقول أساطير «: إيدا»: إن بيرغلمير وزوجته قد هربا من الطُّوفان الكبير في سفينة كبيرة.

ليتوانيا: تروي الأسطورة الليتوانية أن قليلاً من أزواج البشر والحيوانات قد نجوا في قشرة بندق عملاقة عند قمة أحد الجبال العالية عندما عصفت الرياح، وفاضت المياه التي استمرت اثني عشر يوماً وليلة، ووصلت إلى الجبل المرتفع لتبتلع كل من كان عليه، أرسل الخالق إليهم قشرة بندق عملاقة، ونجا من كان على الجبل بإبحارهم في قشرة البندق هذه.

الصين: تروي المصادر الصينية أن رجلاً يدعى «ياو»، أو «فا لي»، مع سبعة آخرين وزوجته وأولاده قد نجوا في سفينة من طُوفان عظيم وهزات أرضية، ويقال: إن «الأرض كانت في دمار كامل، لقد تفجرت المياه وغطت كل شيء.» وفي النهاية انحسر الماء.

ذكر طُوفان نوح في الأساطير الإغريقية

قرر الإله زيوس إغراق الناس الذين يملؤون الأرض فساداً كل يوم بالطُّوفان، ديوكاليون وزوجته بيرا فقط هما اللذان نجيا من الطُّوفان، لأن برومثيوس والد ديوكاليون نصحه ببناء سفينة،. ونزل الزوجان إلى جبل بيرناسوس بعد تسعة أيام من صعودهم إلى القارب.

تدل كل هذه الأساطير على حقيقة تاريخية ملموسة تاريخيًّا، كل أمة أتاها رسول وتلقت وحياً إلهيًّا، و لذلك عرفت العديد من الحضارات السابقة قصة الطوفان بأسماء مختلفة وتفاصيل أيضاً مختلفة، لكن المضمون واحد يشير إلى حدوث قصة الطوفان.

وعن القصص التي وردت في أدبيات الحضارات القديمة عن الطوفان يقول الدكتور تشارلز برلتز Dr. Charles Berlitz كاتب كتاب «سفينة نوح المفقودة» The Lost Ship of Noah إن قصة نوح والطوفان متشابهة في كل اللغات القديمة المختلفة في فارس وبابل ومصر القديمة والصين الشيء الوحيد المختلف هو اسم نوح.

وتقول الدكتورة إثيل نلسون Dr. Ethel Nelson الخبيرة اللغوية التصويرية في الصين إن وصف الطوفان موجود على الألواح البابلية والأكادية والسومارية ومنها الموجود الآن بالمتحف البريطانى ويرجع تاريخها إلى عام ٧٠٠ ق م... لكن هناك تقارير أقدم عن طوفان وجدت باللغة الصينية، وهى ترجع لزمن بعيد، ووجدت على أوانى تستخدم في الاحتفالات، والكتابة منقوشة داخل الأوانى وهذه الأوانى ترجع إلى حوالي ١٧٠٠ قبل الميلاد أي بعد قصة الفلك بحوالى ٦٠٠ سنة.

ويقول الدكتور ستيف ديكارد Dr. Steven Deckard أستاذ علم العلوم إن دراسة التقاليد المختلفة الخاصة بوجود طوفان عالمي تبيّن أن هناك أكثر من مائتي وصف. وهذه التقاليد موجودة في أغلب أماكن العالم وبها عناصر مشتركة كثيرة جدًّا.

قصة الطوفان في الحضارة السومرية قبل الميلاد

وردت قصة الطوفان في الألواح الطينية التي ذكرت الحضارة السومرية والتي يعتقد الباحثون المتخصصون أنها دونت في الثلث الأخير من الألف الثالثة ق.م، وهي بالتأكيد ليست النسخة الوحيدة، أو الأخيرة، فالتنقيبات توعد بالكثير في بلاد العراق.. وسوف نستعرض نصًا منها عن الطوفان مأخوذة من كتاب الأستاذ / خزعل الماجدي الأديب والباحث العراقي [سفر سومر عام ١٩٩٣]، جاء فيه هذا النص عن القصة:

خمسة مدن وثمانية ملوك حكموا، وتكاثر ذوي الرؤوس السود، وحدث ذات يوم أن البستاني «شوكلي تودا» أراد زراعة أرضه، وكان الماء يجري في السواقي فأراد حفر نهر له، حيث كان يتعثر في جذورها فتجرحه.

إن رياح العاصفة وتراب الجبال كانت تلطم وجهه، وفي وجهه ويديه كانت العاصفة تدور، لقد خربت العاصفة أرضه فرفع بصرهُ صوبَ الأقاليم السفلى، وتطَلَعَ إلى نجوم الشرق، ورفع بصرهُ صوب الجهات العليا وتطلع إلى النجوم التي في الغرب، وراقب الطوالع السعيدة المرقومة في صفحة السماء، وعرف من السماء المرقومة تنفيذ نواميس الإلهة، رأى شوكليتودا، أن طالعاً سيئاً سيصيب الأرض، وأن النجوم وهي بيوت الآلهة توحي بإرادة إلهية قاسية، وتقول بغضب إلهي ستصعق البشر على الأرض..لقد درس إرادات الإلهة في مساكنها في النجوم.. وفي البستان وفي خمسة وعشرة مواضع منيعة غرس في تلك المواضع شجرة لتكون غطاء واقياً من العواصف.

عن تلك الشجرة الواقية، شجرة «سربيتو» ذات الظل العريض، إن ظلها الذي تنشرهُ تحتها لا يزول، لا في الفجر ولا في الظهيرة ولا في الغسق.

وذات يوم مـرّت ملكة السماء «إينانا» وعبرت الأرض، إنانا بعد أن عبرت السماء وعبرت الأرض، وبعد أن قطعت بلاد إيلام وبلاد شوبر، اقتربت الأنثى المقدسة، إينانا، من بلاد شوكليتودا، وكانت تعبةً فوجدت في بستانه ملاذاً للراحة، فنزلت في البستان، وأراحت جسدها تحت ظل الشجرة، شجرة سربيتو، ولكنها غطـّت في نومٍ عميق، ورفّ على عيونها ملاك النوم، غابت الإلهة في نومٍ عميق ولم تشعر بشيء.

وحين اطلّ شوكليتودا من كوخهِ ونظر إلى شجرتهِ رأى تحتها الأنثى البالغة الأنوثة، رأى تحتها السيدة السماوية المستلقية وقد انكشف جسدها، رأى سُرّتها كالكوكب، رأى بطنها المشتهاة، فحن لهذه الأنثى، حنّ شوكلي واشتاق لمضاجعتها، فأزاح عنها رداءها الخز، وضاجعها تحت شجرة السربيتو، ولم تشعر الإلهة من شدة تعبها، فعاد شوكلي تودا إلى طرف البستان، وحين طلع الفجر وأشرق الإله «أوتو» بنوره الساطع، لسع نوره خلخال إينانا، أفاقت فزعة ونظرت إلى نفسها، نظرت إلى جسدها، المقدس وقد أُنتُهـك، إينانا من أجل ذلك قررت أن تملأ جميع الأنهار بالدم، وبكلمةٍ منها امتلأت الآبار والجداول والأحراش والبساتين دماً. لقد صار العبيد حين يذهبون للاحتطاب، لا يشربون بغير الدم، والإماء إذا جئنَ للتزود بالماء لايملئن جرارهن بلا دم.

لقد قالت إينانا لأجِـدنَ مَـن ضاجعني، سأبحث عنه في جميع البلاد، وبحثت عنه لكنها لم تجد الذي ضاجعها، لأن شوكليتودا الشاب قد فـرّ إلى بيت أبيه وإخوته، واستمر غضب إينانا حتى قررت أن تنزل بالبشر عقاباً اشدَّ وأقسى، فسلـّطتْ على البلاد وباءً عظيماً انتزع الحياة من بشرٍ كثيرين، وماتت الغَلَةُ والماشيةُ، وراقبت الإلهةُ إينانا كل مَـن ماتَ، رأتهُ كيف يسقطُ من غضبها، ولكنها لم تجد الذي ضاجعها.

ومَرّ زمن طويل مات فيهِ بشرٌ كثيرون بسبب لعنات إينانا، لعنةُ الدم، ولعنةُ العاصفة، ولعنةُ الوباء، ولم تشفِ إينانا غليلها، فعقدت العزم على الذهاب إلى

«أوريدو» حيث يقيم الإله الحكيم «آنكي» هناك لتشكو لهُ ما حلّ بها، ولتشرح لهُ أمراً أقلقها، فرحلت ورأت آنكي هناك فقالت له:

لقد عاثَ بشرُكَ في الأرضِ فساداً ووصل بأحدهم أن ضاجعني عندما كنتُ نائمةً متعبة، في بستانهِ تحت شجرةِ التوت، فلعل آنكي العظيم يتدبر الأمر لي ويسعى لانتقامي، لعله يرمي البشر بعقابٍ أقسى مما حكمتُ عليهم.

فأطرقَ آنكي، اطرقَ الحكيم، وقال لإينانا:

لقد وصل الأمر إلى مرحلةٍ خطيرةٍ، فالإنسانُ الذي خُلـقَ لخدمة الآلهة ولرفع العناءِ عنهم، خُلِقَ عبداً لهم، تمادى في أمرهِ، فبعد أن وفرت له الآلهة كل شيء.. النواميس والزرع والماشيةِ والعمران، وبعد أن أنزلت الملوكية من السماء ليحكم بها باسمنا، فإنه اليوم يطمع بأشياء أكبر، إنه يريد أن يساوي نفسه بالآلهة.

كيف يجرؤ الخادم وهو من الطين أن يفعلَ بالإلهة إينانا ما فعل، كيف، يجب أن نعرض الأمر على آلهة «الآنوناكي» ليقرروا شيئاً ما.

فذهب آنكي وإينانا إلى مجمع الآلهة وعرضوا الأمر هناك، فصُعِـقَ الآلهة مما سمعوا وقال آنـو:

إن هذا الذي جرى هو أمرٌ فظيع، وكيف يجرؤ الوضيع الذي صنعناه من الطين على أن يفعل بربـّته هذه الفعله السيئة..

وصاح الآلهة المجنمعون عالياً:

ليفنى البشر،ليذهبوا إلى الجحيم

وقرر مجمعُ الآلهة أن يفنى البشر من على الأرض أن يمحوهم تماماً بطوفان عظيم يغطي وجه الأرض كلها وكانت لعنة الطوفان أمراً إلهيًّا لايُـرد، ولكن «نِـنتو» أم البشر بـكَـت على مصير الذي صنعتهُ بيديها.

وذُهلتْ إينانا بعدما عرفت وأدركت إن شكواها ستُهلِك جميع البشر، ولم يدر بخلدها إن الإلهة ستقرر ذلك مرة واحدة.

أما آنكي فقد دُهـش لقرار الإلهة، ورأى أن مخلوقهُ سيفنى، فكيف ستعيش الآلهة دون خادم، فقرر آنكي الخروج على إجماع الآلهة وقرارها.

لقد قرر آنكي إنقاذ الإنسان «زيوسودرا»

قرر آنكي إنقاذ البشرية، وفكـّر آنكي ملياً، فنظر إلى الأرض، وإلى الشعب المختار، إلى ذوي الرؤوس السود، إلى سومر وجنتها الخضراء، ونظر إلى الأرض حتى رأى البشر جميعاً، واختار من بينهم مَلكاً حكيماً، إنهُ اختار «زيواسودرا» الذي هو – باشيشو- يخدم الآلهة والمعبد، وكان يحكم مدينة «شيروباك» زيوسودرا رجل شروباك، وكان تقيًّا ورعاً وراعياً لمعبد الآلهة، والذي نثر القرابين الكثيره للآلهةِ، كان يسجد ويركع بخشوع، لذا فقد قرر آنكي أن يكلمه توجه زيوسودرا إلى المعبد ذلك اليوم، وبعد أن قـدّم طقوس العبادة للآلهةِ أدركه التعب، فنام في المعبد، ورأى حُلماً لم يـرَ مثله من قبل.

لقد رأى آنكي يقفُ قرب الجدار..وزيوسودرا يقف قرب الجدار، وسمع الإله آنكي يناديه قف قُرب الجدار إلى يساري واسمع، سأقول كلاماً فاتَـبِعـه.. أعطني أُذناً صاغيةً، وإسمع وصاياي.

لقد قرر الآلهةُ إرسال طوفان عظيم إلى الأرض يقضي على البشر.. حكَمَ مجمع الآلهة بذلك وإنهم لُرسلون فيضاناً عظيماً يملأ الأرض، ليضعوا حدًّا لملكوت البشر، فأصغِ إليَّ يا زيوسودرا اصنع سفينة ضخمة، واحمل بذرة من كل ذي حياة حتى لا تفنى الحياة على الأرض، ويوم يأتي الطوفان اقفل سفينتك عليك وامخر عبابه نهض زيوسودرا مذعوراً من نومه، وأيقن أن حُلمـهُ هذا نذيرٌ شديد وإن عليه أن ينفذ مشيئة الإله آنكي فقام يبني سفينته الضخمة التي لم يعرف سرّها أحد وذات يوم هبّت

العاصفة كلها دفعة واحدة وانفجر الإله «ننورتا» غضباً في السماء، وانداحت سيول الطوفان فوق وجه الأرض، وحتى الآلهة اختبأوا مذعورين من هول الطوفان.

ولسبعة أيام وسبع ليالٍ غمر الماء وجه الأرض، ودفعت الريح العاتية المركب فوق المياه العظيمة وكانت الأرض تنضح الماء، وكانت السفينة مثل حبة رمل في المحيط.

كانت السفينة تحمل زيوسودرا والناس والماشية وكل ذي حياة، وكان الموجُ رهيباً، ولسبعة أيام احتجبت الشمس واعتكف أوتو خلف السماء السوداء، ولم تظهر نانا، وأوتو يرقب دفق المياه وغضبها التي أفنت الحياة على الأرض، وأغرقت كل شيء..

أما النواميس التي كانت لآنكي فقد دفنها في «سپـار» وفي اليوم الثامن ظهر أوتو ناشراً ضوءهُ في السماء على الأرض.. وفتح زيوسودرا كـوّةً في المركب الكبير تاركاً أنوار اوتو البطل تدخل منه، فخَـرَّ زيوسودرا أمام اوتو، ونحر ثوراً، وقدّم قرباناً من الغنم، خرّ أمام آنو وأنليل ساجداً، ومثل إله وهبهُ حياةً أبدية، ومثل إله وهباه روحاً خالده، عند ذلك دُعيَ زيوسودرا الملك، حافظ بذرة الحياة، وفي أرض دلمون اسكناهْ.

أرض دلمون مكانٌ طاهر،

أرض دلمون مكان نظيف.

أرض دلمون مكان مبهج،

أرض دلمون مكان مضيء،

في أرض دلمون لاينعقُ الغراب،

ولاتصرخُ الحدأة صراخها المعروف،

حيث الأسد لايفترس أحداً،

ولا الذئب ينقَضّ على الحَمَل،

ولا الكلب المتوحش على الجدي،

ولا الخنزير البري يلتهمُ الزرع،

والطيرُ في الأعالي لا....... صغارها،

والحمامةُ لا.................. رأسها

حيثُ لا أحد يشكو رمَد العين،

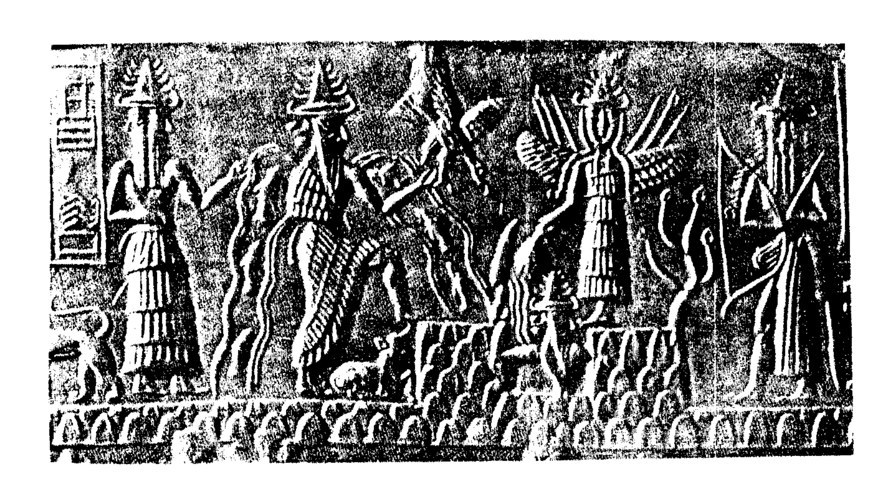
ولا أحد يعرف صداع الرأس،

حيثُ لا يشتكي الرجل من الشيخوخة

ولا تشتكي المرأةُ من العجز،

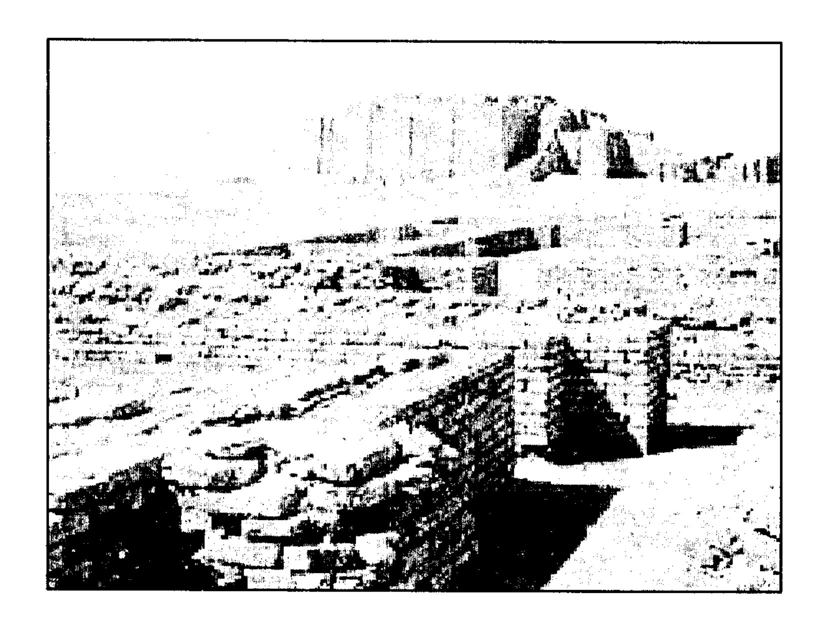
حيثُ لا يوجدُ منشدٌ ينوح،

ولا الجوّال يُعول،



ختم إسطواني للآلهة السومرية (منتصف الألف الثالث ق م) – هنا الآلهة الخمسة المقربون من إله السماء (آنو) وهم من أعضاء مجمع الآلهة (الأنوناكي) من اليمين إله الهواء (أُنليل) ويمثل الكوكب المريخ وهو إله الحرب ثم الإلهة (إينانا : أشتار لاحقاً) إلهة الحب والخصب و(بيدها عنق من التمر) تقف على رمز لجبل تستقبل خروج إله الشمس (أوتو) حيث يخرج من بين الجبال، يحمل بيده منشاراً هو رمز العدل والمساواة .. ومن الجانب الآخر يقف الإله (أنكي) يستقبل أوتو .. وهو (إله الماء العذب .. يخرج من كتفيه دجلة والفرات وفيهما ترتفع الأسماك وتأتي الطيور للمياه وتستريح الماشية والأغنام) أنكي هو أيضاً إله الحكمة والعقل (يتصف دوماً بحبه للبشر والدفاع عنهم) وأخيراً من اليمين يقف إله القمر (نانا) .. (سين لاحقاً) يمد يده توقيراً لآنكي – (نانا بوجهين كما القمر).

(الصورة مأخوذة من كتاب حضارة العراق وأثاره (نيكولاس بوستغيت) والختم في المتحف البريطاني).



أطلال مدينة أور البابلية (العراق الآن) التي يظن أنها شهدت الطوفان.

مقارنة بين قصة الطوفان في القرآن والتوراة وملحمة جلجامش البابلية

ونعود إلى ملحمة جلجامش البابلية وهي الألواح الأثرية التي تم العثور عليها في مواقع مختلفة من العراق وفي أماكن أخرى من العالم، التي تعد تحفة أدبية نادرة المثال من أبدع وأنفس إنتاج الشرق القديم، فهي أطول قصيدة من الأشعار البابلية كتبت باللغة السامية (الأكدية).

تتألف الملحمة من (١٢) رقيماً، واختص الرقيم الحادي عشر بقصة الطوفان، وهو أطول وأكمل خبر عن الطوفان وصل إلينا عن سكان العراق القديم.

وقد تم العثور على القسم الأعظم من موادها خلال حفريات المنقبين من منتصف القرن التاسع عشر في خزانة الكتب في المكتبة الملكية في قصر الملك الآشوري (آشور بانيبال) في نينوى.

ترجمت المحلمة أول مرة سنة (١٨٧٢)، وظهرت عدة ترجمات للملحمة في مختلف اللغات الأوربية، وتدور وقائعها حول حياة (كلكامش) أحد ملوك سومر الأقدمين ومحاولاته التفتيش عن سر الحياة والخلود، والتقى بجده (أوتو - نبشتم)، فعرض كلكامش رغبته في الحصول على الخلود الذي حصل جده عليه، إلا أن جده لمح بأنه لا خلاص من الموت الذي قدر على البشر أجمعين، ثم قص ووصف (أوتر - نبشتم) حوادث الطوفان، فرجع خائباً إلى مدينته.

وبعمل مقارنة بين قصة الطوفان في التوراة والقرآن وملحمة جلجامش.

اتفقت المصادر الثلاثة على أن فساد البشر وآثامهم كان السبب في غضب الله تعالى بمفهوم عقيدة التوحيد، كما في القرآن الكريم والتوراة، وغضب الآلهة واجتماعهم واتخذوا قرار إبادة البشر على الأرض بمفهوم عقيدة الشرك، كما في ملحمة كلكامش.

فقد وصف القرآن الكريم قوم نوح بأنهم كذبوا نوحاً كما في النص المنقول في أول هذا البحث ووصفهم بالظالمين في النصوص الآتية:

﴿ وَلَا تُخَـٰطِبۡنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٢٧].

﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَـٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٤].

وأنهم أهلكوا وأدخلوا النار بسبب خطاياهم:

﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارًا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴾ [نوح: ٢٥].

ووصفهم بالقوم الفاسقين والطاغين في قوله تعالى:

﴿ وَقَوۡمَ نُوحٍ مِّن قَبۡلُ ۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا فَـٰسِقِينَ ﴾ [الذاريات: ٤٦].

﴿ وَقَوۡمَ نُوحٍ مِّن قَبۡلُ ۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ﴾ [النجم: ٥٢].

إلى آخر القصة في القرآن الكريم وقد عرضناها من قبل.

جاء في كتاب فيضانات بغداد للدكتور أحمد سوسة:

أما ملحمة كلكامش، فقد جاء فيها، ضمن ما أخبر به (أوتو - نبشتم) كلكامش فرأى الآلهة العظام، وقد حثتهم قلوبهم، أن يحدثوا طوفانا.

فكان أنو أبوهم، وأنليل البطل مشيرهم.

وتينورتا وكيلهم ونائبهم.

وأنوكي وزيرهم.

وكان نينيكو أي أيا جالساً معهم أيضاً[1].

ونقل هذا حديثهم إلى كوخ القصب.

١- انظر فيضانات بغداد في التاريخ - د، أحمد سوسة.

وأضاف: الظاهر أن غضب الله تعالى لم يرد في النصوص المقدسة، وإنما هو مفهوم من خلالها كذلك القول في الملحمة فلم يرد غضب الآلهة في النص وإنما هو مفهوم من خلال اجتماعها واتخاذ قرار (تنفيذ) الطوفان.

كذلك اتفقت المصادر على توجيه (إعلام) أو (إنذار) نوح (عليه السلام) لكي يبني سفينة لكي تحمله وتحمل من أمر بحمله لينقذ من ركب السفينة من الهلاك:

﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٢٧].

وأوضح الدكتور أحمد سوسة بأن التوراة قد روت قصة الطوفان وتضمنت أن الفلك قد بناها نوح امتثالاً لأمره تعالى:

فانتقل إليها هو وزوجته وأولاده.... إلى آخره.

أما الملحمة فقد جاء فيها ما يأتي:

وكان (نينيكو أي أيا) جالساً معهم أيضاً

ونقل هذا حديثهم إلى الكوخ القصب وقال:

يا كوخ القصب، يا كوخ القصب ! يا حائط، يا حائط !

(يا رجل شورباك) يا ابن (أوبارا - توتو).

قوض بيتك وابن السفينة.

واترك ما تملك وأنقذ حياتك.

وتخلَّ عن أملاكك وانج بحياتك.

هكذا كان نوح، في القرآن والتوراة، وأتو - نبشتم الذي استعير عنه بكوخ القصب وبالحائط الذي أكد الدكتور أحمد سوسة بأن المقصود بذلك، على الأرجح، مسكن

أوتو – نبشتم وهذا من قبيل المجاز، هو الذي أمر ببناء السفينة وإنقاذ نفسه من الهلاك بأمر الإله أو الآلهة[1].

أما كون أن الطوفان كان عالمياً وعم الأرض كلها.

فقد استعرض الدكتور أحمد سوسة رواية التوراة قصة الطوفان فقال فانتقل نوح إليها هو وزوجته وأولاده وزوجاتهم وزوج من كل صنف من حيوان أو طير ومن كل ما يدب على الأرض.

وأما ملحمة كلكامش فجاء فيها:

«وخذ معك إلى السفينة بذرة من كل مخلوق حي».

قال الفخر الرازي: (من كل زوجين اثنين) أي من كل زوجين من الحيوان الذي يحضره في الوقت اثنين الذكر والأنثى لكي لا ينقطع نسل ذلك الحيوان... وروى أنه لم يحمل إلا ما يلد ويبيض «انظر تفسير الفخر الرازي للقرآن).

ومن الأمور المهمة التي اتفقت عليها مصادر القصة هو أن عوامل الطوفان الأساس كانت غزارة سقوط الأمطار على الأرض وجعل الأرض كلها عيوناً تنبع منها المياه ولا توجد أية إشارة إلى فيضانات دجلة والفرات وروافدهما، جاء في القرآن الكريم:

﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ ﴾ [القمر: ١١ – ١٢].

في التوراة النص الآتي: (وفي سنة ست مئة من حياة نوح في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر من الشهر في ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء وكان المطر على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة» سر التكوين.

١- المصدر السابق.

جاء في ملحمة كلكامش وصف عوامل الطوفان في النص الآتي:

وحل الوقت المعين،

أرسل الموكل بالزوبعة مطراً مهلكاً في السماء،

وتطلعت إلى حالة الجو،

فإذا الجو مخيف لا يمكن النظر إليه،

دخلت السفينة وأغلقت بابي،

ووكلت إدارة دفة السفينة إلى الملاح (يوزرا - آموري)،

وعندما لاح أول خيط من نور الصباح،

أتى غيم أسود من الأفق البعيد،

وأرعد (أدد) في داخله،

وبلغت رعود (أدد) عنان السماء،

وقلبت النور إلى ظلمة،

وكسر الأرض مثل إناء..،

وأسرع نينيورتا وفتق السدود،

وهبت العاصفة يوماً واحداً، هبت سريعاً[1].

قال سيد قطب في النص القرآني السابق: وهي حركة كونية ضخمة غامرة تصورها ألفاظ وعبارات مختارة تبدأ بإسناد الفعل إلى الله مباشرة: (ففتحنا) فيحس القارئ يد الجبار تفتح (أبواب السماء).. بهذا اللفظ وبهذا الجمع.. (بماء منهمر).. غزير متوالٍ.

١- المصدر السابق.

وبالقوة ذاتها وبالحركة نفسها: (وفجرنا الأرض عيوناً).. وهو تعبير يرسم مشهد التفجر وكأنه ينبثق من الأرض كلها، وكأنما الأرض كلها قد استحالت عيوناً. والتقى الماء المنهمر من السماء بالماء المتفجر من الأرض.. (على أمر قد قدر) التقيا على أمر مقدر، فهما على اتفاق لتنفيذ هذا الأمر المقدر، طائعان للأمر محققان للقدر[1].

ويقول الدكتور أحمد سوسة: أما العوامل التي تضافرت على أحداث الطوفان فهي بلا شك الأمطار الغزيرة وتفجر ينابيع المياه كما ورد في التوراة، ويشبه هذا ما جاء في النصوص السومرية البابلية، إذ ذكرت أن الطوفان حدث من هطول الأمطار المصحوبة وبالأعاصير، والزوابع، والرياح الشديدة، والبرق، والرعد، الأمر الذي أدى إلى كسر سدود المياه كما يفهم من ملحمة كلكامش.

إلا أنه استدرك على ذلك بما كتبه في الفقرة اللاحقة قائلاً: وليس بالأمر الغريب أن يحدث مثل الطوفان الذي نحن بصدده في وادي الرافدين الذي كانت ولا تزال ظاهرة الفيضان فيه ظاهرة طبيعية مألوفة..

قال: خاصة إذا صادف هطول أمطار غزيرة في منطقة الأحواض كلها وطغيان كل الأنهر مرة واحدة ثم انظمام المياه التي تنحدر من قمم الجبال إليها بسبب ذوبان كميات كبيرة من الثلوج. وبعد كلام آخر قال الدكتور سوسة: ولعل الفيضان الذي أطلق عليه اسم الطوفان كان من أكبر الفيضانات التي حدثت في تلك الأزمان، إن لم يكن أكبرها بحيث رسخت حوادثه في أذهان سكان هذا الوادي جيلاً بعد جيل وبقيت ذكراه خالدة مدى الدهر[2].

اتفقت مصادر الطوفان على أن سفينة نوح عليه السلام قد استوت (استقرت) على جبل، واختلفت في اسم هذا الجبل:

١- في ظلال القرآن - سيد قطب.
٢- فيضانات بغداد - أحمد سوسة.

﴿ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ٤٤] .

أما التوراة فقد روت بأن السفينة استقرت على جبال أرارات، في حين ورد بالهامش: ترجمها بعض المترجمين بجبال أرمينيا، وفي مصدر آخر: لم تحدد التوراة المكان الذي رست السفينة عنده.

أما ملحمة كلكامش فقد جاء فيها:

ونظرت إلى كل جهة من حدود البحر.

فبرزت لي من بعد اثنتي عشرة سنة مضاعفة شقة من الأرض واستوت السفينة على جبل نصير.

ومسك جبل (نصير) السفينة ولم يدعها تتحرك[١].

لم ترد كلمة الجبل في القرآن الكريم، ولا يقرر التوراة المنطوية على فكرة غمر العالم كله بدليل أنه ورد ذكر نوح وهو يبلغ رسالة ربه إلى شعبه فقط لا إلى العالم اجمع، وقد انحصرت رسالته بشعبه الذي هو منه من دون غيره.

وأما عن نجاة ركاب السفينة حصراً وهلاك الآخرين فقد ذكرت آيات القرآن هلاك قوم نوح الكافرين ونجاة ركاب السفينة مع نوح.

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ [يونس: ٧٣].

﴿ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾ [هود: ٤٣].

﴿ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٢٧].

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [الشعراء: ١١٩ - ١٢٠].

١- المصدر السابق.

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ١٥].

﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ۝٧٧ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۝٧٨ ﴾ [الصافات: ٧٧ - ٧٨].

﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴾ [الصافات: ٨٢].

وذكرت التوراة في سفر التكوين أنه قد هلك جميع الأحياء على سطح الأرض وحتى أطيار السماء ولم يسلم إلا نوح ومن كان معه في الفلك.

أما ملحمة كلكامش فقد جاء فيها:

وتطلعت إلى البحر فكان كل شيء هادئاً.

وقد استحال البشر جميعاً إلى طين[١].

وقال السيد محمد رشيد رضا في قوله تعالى ﴿ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾: لا شيء في هذا اليوم العصيب يعصم أحداً من أمر الله الذي قضاه، فليس الأمر والشأن أمر ماء يرتفع لكثرة المطر كالمعتاد، فيتقي الحازم ضره بما يقدر عليه من الأسباب، وإنما هو انتقام عام من أشرار العباد الذين أشركوا بالله وظلموا وطغوا في البلاد، لكن من رحم الله منهم فهو يعصمه ويحفظه وقد اختص بهذه الرحمة من أمر بحملهم في هذه السفينة[٢].

وقال في قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ [الصافات: ٧٧] : يجوز أن يكون إضافيًا أي الباقين من دون غيرهم من قومه. وزاد في مكان آخر من تفسيره قائلاً بأنه: لا يقتضي أن يكون (الطوفان) عاماً للأرض إذ لا دليل على أنهم (قوم نوح) كانوا يملؤون الأرض.

ولا يوجد أدلة من القرآن الكريم يمكن أن يُستنتج منها أن طوفان نوح كان عالميًا، وقد توصلنا من خلالها إلى القول من آيات القرآن الحكيم تشير إلى أن الطوفان كان محليًا وذكر الأدلة على ذلك من قبل.

---

١ - المصدر السابق.

٢ - تفسير المنار لرشيد رضا.

ولا يوجد نص صريح في القرآن الكريم يؤكد غمر الجبال بمياه الطوفان.

وفي ملحمة كلكامش إشارات واضحة:

وقد روت التوراة بأن مياه الطوفان غمرت قمم أعالي الجبال وارتفعت فوقها (١٥) ذراعاً.

أما الملحمة فقد ذكرت بعد أبيات استواء السفينة على جبل نصير وعدم إمكانية تحريكها، أطلق أوتو - نبشتم في اليوم السابع حمامة فطارت ثم عادت إليه لعدم وجود موضع تحط عليه، ثم أطلق السنونو فعاد كذلك، ثم أطلق غراباً فطار ولم يعد وأنه رأى المياه قد انحسرت فأكل وحام الطائر فحط ولم يعد.

اهتم المدافعون عن التوراة التي أكدت أن الطوفان كان عالمياً، بدراسة مصادر المياه التي غمرت كل جزء من اليابسة على الأرض فوضعوا عدة نظريات نذكر منها:

في القرن السابع عشر أصيب العالم المسيحي بصدمة عندما اكتشف أن بعض نسخ التوراة يختلف بعضها عن بعض في كثير من العبارات ولما رجع علماء التوراة إلى المصادر التي ترجمت منها وجدوا تناقضاً في الترجمة وفي مختلف التفاسير، وبذلك تضعضعت ثقة الناس في دقة الترجمة وأصبح الوضع حرجاً للغاية.

ولكن كان ثمة مخرج لهذا المأزق، إذا لو تم إقامة الدليل على أن المعجزات الواردة في التوراة حدثت فعلاً، وكان من الممكن تعليلها على أسس علمية وعقلية فإن الاختلافات في الترجمة والتناقض في الألفاظ يصبح غير ذات أهمية.

وفي النصف الثاني من القرن السابع عشر استولت على العلماء إلى حد الهوس - فكرة إثبات أن الطوفان حدث بالضبط كما هو وارد بالتوراة وأنه شكل الأرض بالصورة التي عرفها القرن السابع عشر.

إلا أنه كانت هناك مسائل صعبة ينبغي معالجتها تتعلق بالمياه وكمياتها الهائلة وما حدث لها بعد الطوفان، فلابد من مواجهة هذه المسائل وتعليلها بالدليل العقلي.

خطر لأحد المفكرين فكرة أن الأرض كانت أشد انبساطاً مما هي عليه الآن، فإن ارتفاعاً قليلاً في مستوي الماء كان كافياً لغمر الأرض كلها، فقد ذهب انطونيو دي توركيمادا إلى أن الدنيا قبل الطوفان كانت مستوية بلا تلال.

دفعت هذه الفكرة رجل الدين توماس برنت إلى البحث، فحسب مقدار كمية الماء اللازمة للطوفان فبلغت ثمانية محيطات. ولكن الأرقام التي وصل إليها بيّنت أن كميات المياه للأمطار والينابيع المستمرة مدة أربعين يوماً وليلة ما كانت لتنتج إلا محيطاً واحداً. ورفض أن يحل المشكلة بالقول بأن الله هو الذي خلق الماء ثم أفناه، ألم يقل أوغسطين، وموسى، والقديس بطرس بان الطوفان حدث نتيجة لأسباب طبيعية؟

كما رفض بونت بأن الطوفان كان فيضاناً محليًّا صرفاً، إذ لو كان كذلك لتمكن الناس من النجاة منه بالالتجاء إلى الأراضي العالية ولما كانت هناك حاجة لبناء سفينة.

لذا افترض بونت بأن الأرض كانت أقرب إلى الاستواء والانبساط، فإن غمرها بالماء كان أسهل ويحتاج إلى كمية أقل، فكانت الأرض في بداية نشوئها بلا جبال، ولا بحار، لأن كل المياه كانت محصورة في داخل الأرض.

ولكن حرارة الشمس جففت قشرتها السمتوية وسخنت المياه تحتها، وبمرور الزمن اتسعت الشقوق وتصاعدت الأبخرة وارتفعت وضغطت على القشرة حتى وجدت لها مخرجاً، وعندما حان وقت الطوفان زلزلت الأرض زلزالاً شديداً وتمزقت القشرة وهوت كتل ضخمة في الماء فارتفعت المياه المزاحة في أمواج متلاطمة كالجبال وغمرت سطح الأرض، فكان ذلك الطوفان.

تعرضت النظرية إلى معارضة شديدة، على الرغم من وجود من اتفق معه على أن الطوفان أعاد تشكيل الأرض وهو الذي كوَّن الجبال.

أصر بعض الباحثين على أن ما عثر عليه من آثار الحيوانات تمثل أحجاراً تكونت على هيئة الكائنات الحية.

ولكن العالم بعلوم الحياة، القسيس جون راي رفض ذلك، إذا التقط قواقع من طبقات عميقة في الجبال وجدها تماثل تماماً القواقع التي كان يجمعها من شواطئ البحار، وكذلك الحال مع الثعبان الحجري لم يشك راي في أنّ طوفان نوح هو الذي حمل الأحياء إلى الأمكنة العالية التي طمرت فيها، ولكن جثث الحيوانات ما كانت لتمطر في الطبقات العميقة، بل كانت انتشرت في جميع أنحاء الأرض على عمق قليل من سطحها، ولكنه وجدها مكدسة في أكوام ضخمة ومطمورة في أعماق كبيرة في طبقات رملية.

كان «راي» يميل إلى الظن بأنه من المحتمل أن نيراناً داخلية عظيمة بباطن الأرض الصلدة قذفت كتلاً ضخمة من المادة الثقيلة إلى علو كبير فوق سطح الأرض.

اقتنع «راي» بأن جميع مياه سطح الأرض والبحار متصلة بشبكة المياه الأرضية وبالمياه الموجودة في أعماق الأرض، وبهذه الكيفية يتم صرف المياه الزائدة وتمد الينابيع والأنهار بكميات ثابتة من الماء من باطن الأرض، فمياه الأمطار تمتص بلا تغيير أو بتغيير يسير في منسوب مياه الأرض، فهناك توازن مطرد.

فجأة هطلت أمطار الطوفان فاختلّ الاتزان وامتلأ تجويف الأرض إلى ما فوق كفايته، واندفعت المياه تحت تأثير الضغط الشديد المتراكم واندفعت المياه، وغُمرت الأرض، واكتسحت في تدفقها الأسماك وحيوانات البحار، وربما كان بعضها ينتمي إلى أنواع انقرضت فلن يراها الإنسان بعد ذلك مثل الثعابين الحجرية وغيرها، وقد اقتنع عالم الطبيعة الفرنسي كوفييه بذلك.

ولكن أستاذ علم الطبيعة جون وود وارد لم يقتنع بهذه النظريات، فكان من رأيه أنه أثناء غمر مياه الطوفان سطح الأرض، فككت وتحللت الأحجار وأنواع المعادن الصلبة إلى الجسيمات المكونة لها واختلطت بالمواد المذابة في الماء.

وفي أثناء انحسار المياه، ترسبت الجسيمات والأجسام العائمة في الماء، كل بحسب كثافتها، فكان أول ما استقر في القاع أصداف بعض القواقع والحلزونيات الثقيلة

وفتات الرخام، ثم تلاها المواد الأقل ثقلاً، وكان آخر ما رسب المواد الخفيفة قشور جراد البحر، وأغصان الأشجار، وأوراقها فكوَّنت الطبقة العليا التي تحللت فيما بعد إلى تربة الأرض.

تكونت الطبقات الرسوبية في استواء وانبساط وانتظام، ولكن قبل زوال آخر آثار الطوفان تمطت قوى دفينة في باطن الأرض وحدث تمزق شديد كان أعظم كارثة عرفتها الطبيعة فاختل ترتيب طبقات الأرض فتكونت الجبال والتلال، والبحار، فالأرض بعد الطوفان اتخذت شكلها الحالي، فمن أشد درجات الفوضى وانبثقت أعلى درجات الكمال والجمال، كما قال وود وارد.

بعد نشر إسحاق نيوتن قوانين حركة الأرض، والكواكب، وأجرام السماء، تغيرت نظرة الإنسان إلى الكون وعلاقته بالأرض.

عرض وليام هويستن في كتاب نشره سنة ١٦٩٦م، نظرية عن أصل الأرض وكيف دهمها الطوفان، وأكد فشل النظريات السابقة لأنها اعتمدت على النظريات الفلسفية القديمة الخاطئة وقال بأن سبب الطوفان هو اختراق أحد المذنبات لفلك الأرض مدة وجيزة، وكان يميل إلى أن الأرض قبل الطوفان، كان بها جبال ووديان تشبه إلى حد ما جبال عصره ووديانه، ولكن الأرض القديمة ترسبت فوقها طبقات جديدة.

ولكن بعد ذلك لوحظت أوجه نقص في كل هذه النظريات ولم تلبث أن اصطدمت بمصاعب خطيرة، ووجه إليها ضربة قاضية العالم الطبيعي الفرنسي بوفون فقال بأنها بنيت على أسس واهية والحقائق مشوشة وجميعها خليط مرتبك من علم الطبيعة والخرافات، ولكن الغالبية العظمى من الناس تقبلوا هذه النظريات، وفي خلال (١٥٠) سنة التالية لم يشك أحد في أن سطح الأرض قد شكله الطوفان، فلم تعد للطوفان أهمية في فهم تضاريس الأرض.

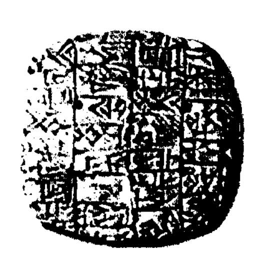
هكذا تخلى الباحثون عن فكرة الطوفان كونه عالمياً، فاتجهوا إلى القول بالطوفان المحلي، فوضع بعضهم نظريات أخرى بشأن العوامل التي أدت إلى الطوفان في بلاد

ما بين النهرين. لذا ذهب الجيولوجي النمساوي إدورد سوس إلى أن سبب الطوفان هو مد هائل من أمواج البحر حدث نتيجة اضطرابات بركانية وقعت في منطقة الخليج، وقد صاحب الأمواج الهائلة من المد البحري زوابع وأعاصير مطرية.

استنتج الدكتور ثامر خزعل العامري من خلال أبحاث، ودراسات تمت في قسم الجيولوجيا في كلية العلوم - جامعة بغداد، وجود زمن جليدي بارد امتد من (٢٢٠٠٠) إلى (١٠٥٠٠) سنة قبل الآن، ومع انحسار الجليد وانتقاله إلى مناطق القطب الشمالي، فإن انضمام المياه الذائبة مع مياه البحر وارتفاع مستواه عالمياً بمقدار (٧٠) متراً أدت إلى حدوث الطوفان الرئيسي الذي غمر الوادي الخصيب بالمياه وتكوين الخليج العربي الحالي. إن المياه البحرية المتدفقة أغرقت الأقوام التي سكنت المناطق المنخفضة ومنها أقوام ذلك الوادي عدا نبي الله نوح عليه السلام ومن آمن معه وركب سفينته، وأن تيارات المد البحري باتجاه وادي الرافدين وبسبب قوة دفع المياه التي جاءت من البحر العربي والمحيط الهندي اندفعت السفينة إلى مناطق جنوب غرب العراق واستقرت في مرتفع قرب أعالي الفرات[1].

---

١ - انظر فيضانات بغداد - د. أحمد سوسة - مصدر سابق، وأيضاً «الأرض التي نعيش عليها» وقد نقل عنهم الباحث / سعد حاتم مرزة في دراسة له عن طوفان نوح بين القرآن الكريم والتوراة وملحمة كلكامش.

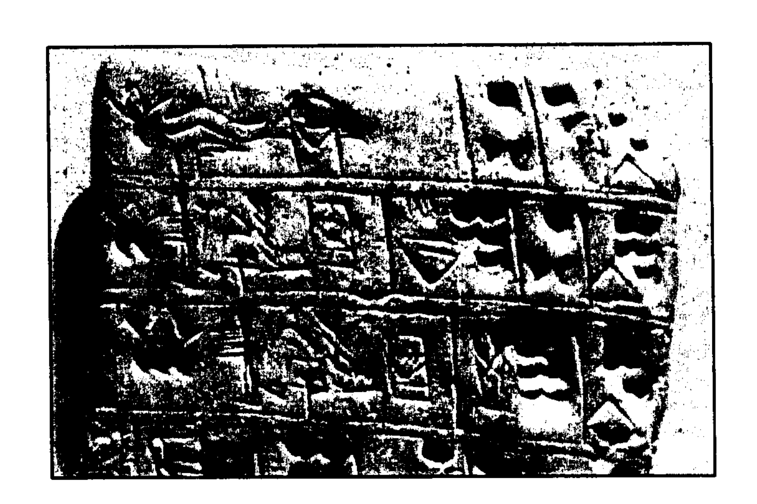




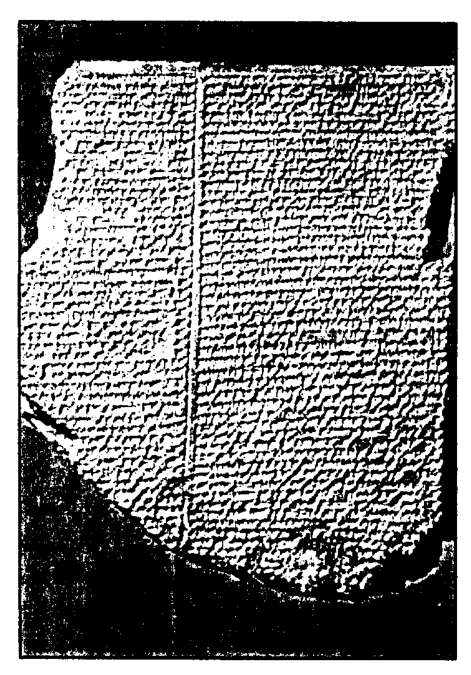
المعنى	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
سمكة						
ثور						
حمار						
قمح حبوب						
الله أو سماء						
شمس أو نهار [illegible]						
[illegible]						
بيت						
إنسان						



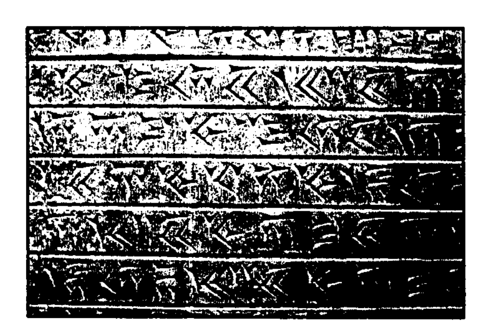
دَوَّنَ السومريون بها السجلات الرسمية وأعمال وتاريخ الملوك والأمراء والشؤون الحياتية العامة كالمعاملات التجارية والأحوال الشخصية والمراسلات والآداب والأساطير والنصوص المسمارية القديمة والشؤون الدينية والعبادات. وأيام حكم الملك حمورابي (١٧٢٨ – ١٦٨٦ق.م.) وضع شريعة واحدة تسري أحكامها في جميع أنحاء مملكة بابل. وهذه الشريعة عرفت بقانون حمورابي الشهير.



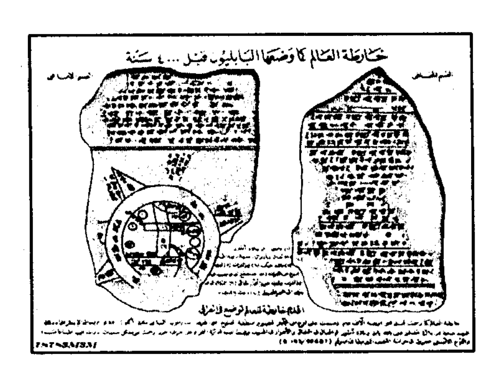
الألواح السومرية الطينية تحمل اللغة المسمارية وهي أول كتابة بالتاريخ .. أول هذه المخطوطات اللوحية ترجع لسنة ٣٠٠٠ ق.م. وهذه الكتابة تسبق ظهور الأبجدية منذ ١٥٠٠ سنة. وظلت هذه الكتابة سائدة حتى القرن الأول ميلادي. وهذه الكتابات ظهرت أولاً جنوب وادي الرافدين بالعراق لدى السومريين للتعبير بها عن اللغة السومرية وكانت ملائمة لكتابة اللغة الأكادية والتي كان يتكلمها البابليون والأشوريون.



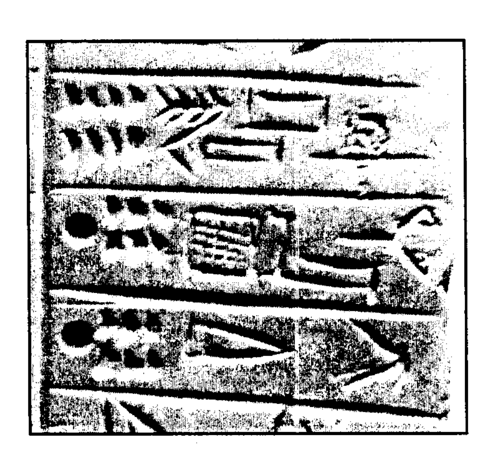
الألواح السومرية الطينية التي دونت قصة الطوفان اللسومري



الألواح السومرية والخط المسماري



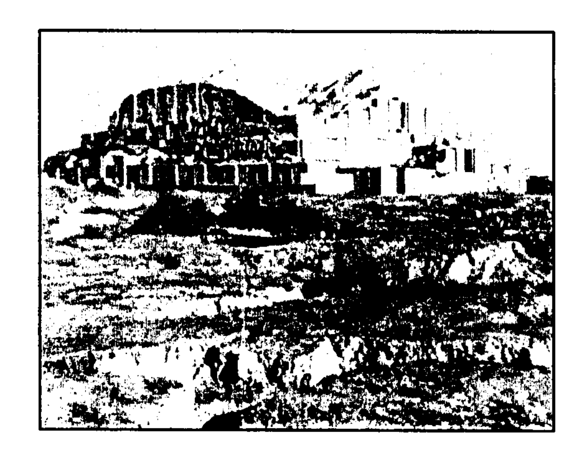
خريطة العالم كما رسمها البابليون



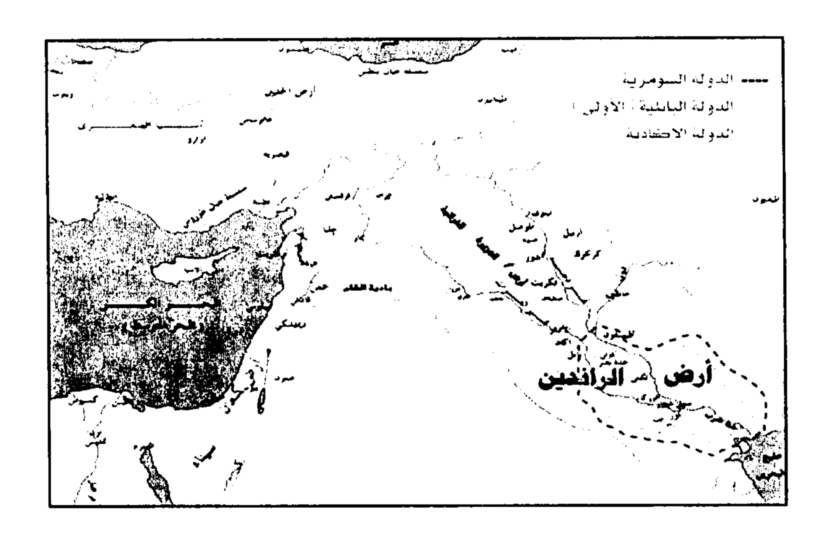
كان البابليون والسومريون والآشوريون بالعراق يصنعون من عجينة الصلصال kaolin (مسحوق الكاولين) ألواحهم الطينية الشهرية التي كانوا يكتبون عليها بآلة مدببة من البوص بلغتهم السومرية. فيخدشون بها اللوح وهو لين. بعدها تحرق هذه الألواح لتتصلب.



خرائط توضح مدن العراق الأثرية القديمة التي يقال إنها شهدت طوفان نوح.



بعض آثار الحضارة السومرية



ممالك بلاد الرافدين القديمة السومرية والبابلية والأكادية ومدنها



لوحة تعبيرية عن ملحمة جلجامش



بعد الطوفان

﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ [الصافات: ٧٧]

- نوح أبو البشر الثاني بعد آدم أبي البشر الأول.
- أبناء نوح عليه السلام وذريته بعد الطوفان.

نوح أبو البشر الثاني بعد آدم أبي البشر الأول

ذكر القرآن الكريم قصة الطوفان في آيات كثيرة وسور عديدة، ولم يكن القرآن الكريم أول الكتب التي ذكرت حادثة الطوفان وقوم نوح ونبي الله نوح عليه السلام وإنما جاء ذكر ذلك كله في العهد القديم الذي يعرف بالتوراة، وكذلك جاء ذكر الطوفان في أدبيات الحضارة السابقة كما ذكرنا فقصة الطوفان لها معنى ومغزى هام في حياة البشر والكرة الأرضية، ولا يهم أين حدث الطوفان على الأرض أو أين رست سفينة النجاة التي بناها نوح عليه السلام، المهم مضمون القصة وكيف أن التوحيد هو سفينة النجاة وأن الكفر والكافرين إلى هلاك ودمار بإذن الله.

وقد طرح البعض سؤالاً: هل يمكن أن يتكرر الطوفان مرة أخرى؟

من الممكن أن يتكرر الطوفان بشكل آخر مثل ذوبان الجليد المتواجد في القطب الشمالي فيغرق الشواطئ الساحلية لمدن كبرى مثل نيويورك والمدن المطلة على المحيطات والبحار وكما حدث في أعاصير تسونامي والأعاصير الأخرى التي ضربت شواطئ السواحل الأمريكية.

لقد أكدت الدراسات التاريخية والأثرية والجيولوجية إلى وقوع الطوفان حيث وردت قصته في الكثير من السجلات التاريخية التي حفظت لنا تاريخ الحضارات السابقة القديمة، والكتب المقدسة عند أهل الإسلام وغيرهم.

نعود لنوح عليه السلام وما حدث معه بعد الطوفان قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ٧٧ - ٨٢].

قال أهل التفسير قديماً وحديثاً إن الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام وأنه أبو البشر الثاني لقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ قال سعيد بن المسيب: كان

ولد نوح ثلاثة والناس كلهم من ولد نوح، فسام أبو العرب وفارس والروم واليهود والنصارى.

قال ابن كثير في التفسير: «وقال قتادة في قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ قال: الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

«وقد اختلف العلماء في عدة من كان معه في السفينة:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما: كانوا ثمانين نفسا معهم نساؤهم.

وعن كعب الأحبار: كانوا اثنين وسبعين نفسا، وقيل: كانوا عشرة.

قال جماعة من المفسرين: ارتفع الماء على أعلى جبل بالأرض خمس عشرة ذراعا، وهو الذي عند أهل الكتاب، وقيل: ثمانين ذراعا، وعَمَّ جميع الأرض طولها والعرض، سهلها وحزنها وجبالها وقفارها ورمالها ولم يبق على وجه الأرض ممن كان بها من الأحياء عين تطرف، ولا صغير ولا كبير.

قال الإمام مالك عن زيد بن أسلم: كان أهل ذلك الزمان قد ملؤوا السهل والجبل.

فإن الله لم يجعل لأحد ممن كان معه من المؤمنين نسلا ولا عقبا سوى نوح عليه السلام. قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ فكل من على وجه الأرض اليوم من سائر أجناس بني آدم ينسبون إلى أولاد نوح الثلاثة، وهم: سام وحام ويافث»[1].

وقال العلامة الطاهر بن عاشور رحمه الله:

«ضمير الفصل (هم) في قوله: ﴿ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ للحصر، أي: لم يبق أحد من الناس إلا من نجاه الله مع نوح في السفينة من ذريته، ثم من تناسل منهم، فلم يبق من أبناء آدم غير ذرية نوح، فجميع الأمم من ذرية أولاد نوح الثلاثة، وظاهر هذا أن من آمن مع نوح غير أبنائه لم يكن لهم نسل.

١- البداية والنهاية - لابن كثير.

قال ابن عباس: لما خرج نوح من السفينة مات من معه من الرجال والنساء إلا ولده ونساءه.

وبذلك يندفع التعارض بين هذه الآية وبين قوله في سورة هود﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود: ٤٠]، وهذا جار على أن الطوفان قد عم الأرض كلها، واستأصل جميع البشر، إلا من حملهم نوح في السفينة»[١].

وهذا لا يتعارض أيضاً مع القول بأن الطوفان كان محليًّا كما ذكرنا ذلك من قبل أو أن الأرض لم يكن عليها سوى قوم نوح عليه السلام.

وأما قوله سبحانه وتعالى ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء: ٣].

وقوله عز وجل: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم: ٥٨].

فلا يدل على استمرار نسل المؤمنين الذين حملهم نوح عليه السلام معه، بل المقصود أبناء نوح عليه السلام الذين استمر نسلهم دون باقي المؤمنين.

قال العلامة الأمين الشنقيطي رحمه الله: «قوله تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدًا شَكُورًا ﴾، بين أن ذرية من حمل من نوح لم يبق منها إلا ذرية نوح في قوله: ﴿ وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ﴾»[٢] .

وكل هذا لا يؤيد الرأى القائل بأن الطوفان عم الأرض كلها وأهلك كل من على الأرض، فقد نجا جماعة من المؤمنين مع نوح وأولاده وإذا كان على الأرض آخرون أيضاً، مكن عقبهم وذريتهم لم يبقوا ولم تكن لهم ذرية.

١- التحرير والتنوير - لابن عاشور .

٢- أضواء البيان - الشنقيطي .

أما أولاد نوح الثلاثة الذين ركبوا معه وآمنوا برسالته خرج منهم أصناف البشر الموجودين حتى الآن فصار نوح أبا البشر الثاني إضافة إلى كونه أول رسول إلى البشر أيضاً، والله أعلم.

قال النبي – ﷺ – في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾، إنهم سام، وحام، ويافث.

وقال وهب بن منبه: إن سام بن نوح أبو العرب، وفارس، والروم، وإن حاما أبو السودان، وإن يافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج. وقيل إن القبط من ولد قوط بن حام، وإنما كان السواد من نسل حام لأن نوحا نام فانكشفت سوءته فرآها حام فلم يغطها ورآها سام ويافث فألقيا عليها ثوبا، فلما استيقظ علم ما صنع حام، وإخوته فدعا عليهم وهذا كلام اليهود في توراتهم المعرفة.

قال ابن إسحاق: فكانت امرأة سام بن نوح صلب ابنة بتاويل بن محويل بن حانوخ ابن قين بن آدم فولدت له نفرا: أرفخشذ، وأسود، ولاود، وإرم. قال: ولا أدري أإرم لأم أرفخشذ وإخوته أم لا؟ فمن ولد لاود بن سام فارس، وجرجان، وطسم، وعمليق، وهو أبو العماليق، ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون، والفراعنة بمصر، وكان أهل البحرين، وعمان منهم ويسمون جاشم.

وكان منهم بنو أميم بن لاود أهل وبار بأرض الرمل، وهي بين اليمامة والشحر، وكانوا قد كثروا فأصابتهم نقمة من الله من معصية أصابوها فهلكوا وبقيت منهم بقية، وهم الذين يقال لهم النسناس، وكان طسم ساكني اليمامة إلى البحرين، فكانت طسم، والعماليق وأميم، وجاشم قوما عربا لسانهم عربي، ولحقت عبيل بيثرب قبل أن تبنى. ولحقت العماليق بصنعاء قبل أن تسمى صنعاء.

وانحدر بعضهم إلى يثرب فأخرجوا منها عبيلا فنزلوا موضع الجحفة، فأقبل سيل فاجتحفهم، أي أهلكهم، فسميت الجحفة.

قال: وولد إرم بن سام عوصا وغاثرا وحويلا، فولد عوض غاثرا، وعادا، وعبيلا، وولد غاثر بن إرم ثمود وجديسا، وكانوا عربا يتكلمون بهذا اللسان المضري.

وكانت العرب تقول لهذه الأمم ولجرهم العرب العاربة. ويقولون لبني إسماعيل العرب المعربة، لأنهم إنما تكلموا بلسان هذه الأمم حين سكنوا بين أظهرهم.

فكانت عاد بهذا الرمل إلى حضرموت. وكانت ثمود بالحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى.

ولحقت جديس بطسم، وكانوا معهم باليمامة إلى البحرين، واسم اليمامة إذ ذاك جو. وسكنت جاشم عمان.

والنبط من ولد نبيط بن ماش بن إرم بن سام. والفرس بنو فارس بن تيرش بن ماسور بن سام.

قال: وولد لأرفخشذ بن سام ابنه قينان، كان ساحرا، وولد لقينان شالخ بن أرفخشذ من غير ذكر قينان لما ذكر من سحره. وولد لشالخ غابر، ولغابر فالغ، ومعناه القاسم، لأن الأرض قسمت والألسن تبلبلت في أيامه، وقحطان بن غابر، فولد لقحطان يعرب ويقظان، فنزلا اليمن، وكان أول من سكن اليمن، وأول من سلم عليه بـ أبيت اللعن. وولد لفالغ بن غابر أرغو، وولد لأرغو ساروغ، وولد لساروغ ناخور، وولد لناخور تارخ، واسمه بالعربية آزر. وولد لآزر إبراهيم، عليه السلام. وولد لأرفخشذ أيضا نمرود، وقيل هو نمرود بن كوش بن حام بن نوح.

قال هشام بن الكلبي: السِّند، والهند بنو توقير بن يقطن بن غابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، وجرهم من ولد يقطن بن غابر. وحضرموت بن يقطن، ويقطن هو قحطان في قول من نسبه إلى غير إسماعيل.

والبربر من ولد ثميلا بن مارب بن فاران بن عمرو بن عمليق بن لاود بن سام بن نوح، ما خلا صنهاجة وكتامة، فإنهما بنو فريقش بن صيفي بن سبإ.

وأما يافث فمن ولده جامر، وموعع، ومورك، وبوان، وفوبا، وماشج، وتيرش، فمن ولد جامر ملوك فارس في قول، ومن ولد تيرش الترك، والخزر، ومن ولد ماشج الأشبان، ومن ولد موعع يأجوج ومأجوج، ومن ولد بوان الصقالبة وبرجان. والأشبان كانوا في القديم بأرض الروم قبل أن يقع بها من وقع من ولد العيص بن إسحاق وغيرهم. وقصد كل فريق من هؤلاء الثلاثة سام، وحام، ويافث أرضا فسكنوها ودفعوا غيرهم عنها.

ومن ولد يافث الروم، وهم بنو لنطى بن يونان بن يافث بن نوح.

وأما حام فولد له كوش، ومصرايم، وقوط، وكنعان، فمن ولد كوش نمرود بن كوش، وقيل: هو من ولد سام، وصارت بقية ولد حام بالسواحل من النوبة، والحبشة، والزنج، ويقال: إن مصرايم ولد القبط والبربر.

وأما قوط فقيل إنه سار إلى الهند، والسند فنزلها وأهلها من ولده.

وأما الكنعانيون فلحق بعضهم بالشام، ثم جاءت بنو إسرائيل فقتلوهم بها ونفوهم عنها وصار الشام لبني إسرائيل. ثم وثبت الروم على بني إسرائيل فأجلوهم عن الشام إلى العراق إلا قليلا منهم.

ثم جاءت العرب فغلبوا على الشام.

وكان يقال لعاد عاد: إرم، فلما هلكوا قيل لثمود: ثمود إرم قال: وزعم أهل التوراة أن أرفخشذ ولد لسام بعد أن مضى من عمر سام مائة سنة وسنتان، وكان جميع عمر سام ستمائة سنة.

ثم ولد لأرفخشذ قينان بعد أن مضى من عمر أرفخشذ خمس وثلاثون سنة، وكان عمره أربعمائة وثمانيا وثلاثين سنة. ثم ولد لقينان شالخ بعد أن مضى من عمره تسع

وثلاثون سنة، ولم تذكر مدة عمر قينان في الكتب لما ذكرنا من سحره. ثم ولد لشالخ غابر بعدما مضى من عمره ثلاثون سنة.

وكان عمره كله أربعمائة وثلاثا وثلاثين سنة. ثم ولد لغابر فالغ، وأخوه قحطان، وكان مولد فالغ بعد الطوفان بمائة وأربعين سنة، وكان عمره أربعمائة وأربعا وسبعين سنة. ثم ولد لفالغ أرغو بعد ثلاثين سنة من عمر فالغ، وكان عمره مائتين وتسعا وثلاثين سنة. وولد لأرغو ساروغ بعدما مضى من عمره اثنتان وثلاثون سنة، وكان عمره مائتين وتسعا وثلاثين سنة، وولد لساروغ ناخور بعد ثلاثين سنة من عمره، وكان عمره كله مائتين وثلاثين سنة.

ثم ولد لناخور تارخ أبو إبراهيم بعدما مضى من عمره سبع وعشرون سنة، وكان عمره كله مائتين وثمانيا وأربعين سنة. وولد لتارخ - وهو آزر - إبراهيم عليه السلام. وكان بين الطوفان ومولد إبراهيم ألف سنة ومائتا سنة وثلاث وستون سنة، وذلك بعد خلق آدم بثلاثة آلاف سنة وثلاثمائة وسبع وثلاثين سنة.

وولد لقحطان بن غابر يعرب، فولد ليعرب يشجب، فولد يشجب سبأ، فولد سبأ حِمْيَر، وكهلان، وعمرا، والأشعر، وأنمار، ومرا، فولد عمرو بن سبإ عديا، وولد عدي لخما، وجذاما[1] .

الأرض قبل الطوفان وبعده تغيرت بمن عليها:

يتفق الكثير من العلماء على أن الأرض ما قبل الطوفان كانت تغطيها مظلة من بخار الماء تخلق نوعا من البيت الزجاجي لوقاية النباتات السرخسية والطحالب، ومثل هذا التأثير الناشئ من وجود سحابة دائمة تغطي الطبقة السفلى من الغلاف الجوي كان

١- الكامل في التاريخ لابن الأثير .

يوفر بيئة صالحة للحياة أفضل مما هو الآن. ولعل هذا يعلل أن حيوانات ما قبل الطوفان كانت أكبر من مثيلاتها.

فلقد كانت الفراشات لها أجنحة يصل طولها إلى ٢٠ بوصة، وكانت هناك أنواع من الطيور طول أجنحتها ٢٠ قدماً، وتضع بيضاً طوله ١١ بوصة.

حتى بالنسبة للإنسان الأول الذي عاش ما قبل الطوفان فلقد كان يعيش عمراً أطول يصل إلى تسعة قرون بل وأكثر .. وأكد العلماء من خلال الحفريات أن جسمه كان أكثر طولاً وأكثر قوة.

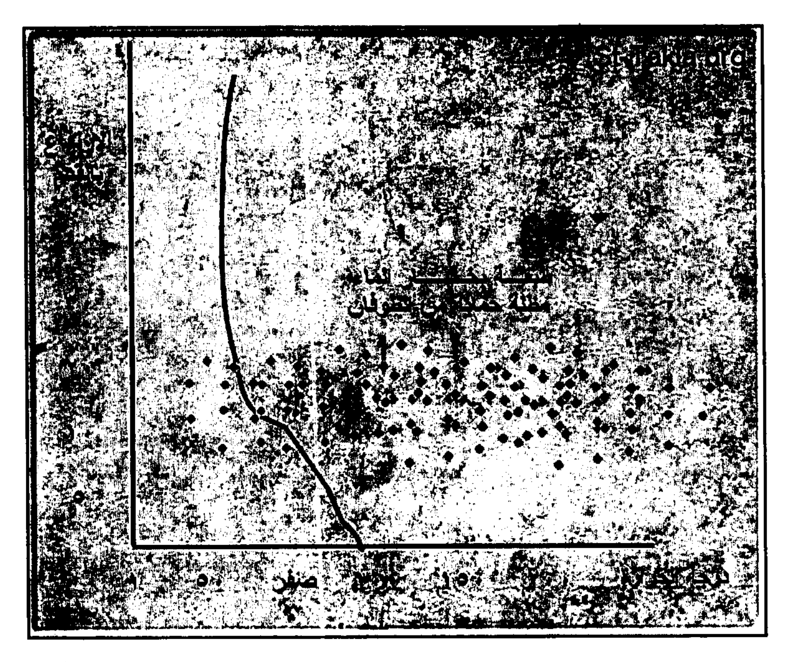
كان الغلاف الجوي مختلفاً عما هو عليه حالياً، فالغلاف الجوي سابقاً كان يحتوي على بخار ماء ٣ : ٥ أضعاف البخار حالياً. وكان هذا البخار يتحرك كما هو حالياً في الطبقة السفلية، وهي تسمى التروبوسفير Troposphere.

وكانت نسبة ثاني أكسيد الكربون ٦:٨ مرات ضعف الوضع الحالي، حيث كانت ٢, ٠ إلى ٢٥, ٠٪ في حين أنها حالياً حوالي ٠٣, ٠٪. وزيادة نسبة بخار الماء وثاني اكسيد الكربون في الماضي كانت تساعد على منع الإشعاعات طويلة الموجة الصادرة من الأرض من المرور إلى الطبقات الأعلى، وهذا يعني منع الحرارة من التسرب إلى الطبقات الأعلى، مما يجعل الأرض في ذلك الوقت تحتفظ تقريباً بكل حرارتها. وهذا يؤكد أن حرارة الجو في ذلك الحين كانت أعلى، بالإضافة إلى أن درجة حرارة مياه البحار والمحيطات كانت مرتفعة..

فكان الإشعاع قصير الموجة يرشح خلال المستوى العلوي لطبقة الأوزون Ozone في الطبقة العليا للغلاف الجوي المسمى الأيونوسفير Ionosphere.

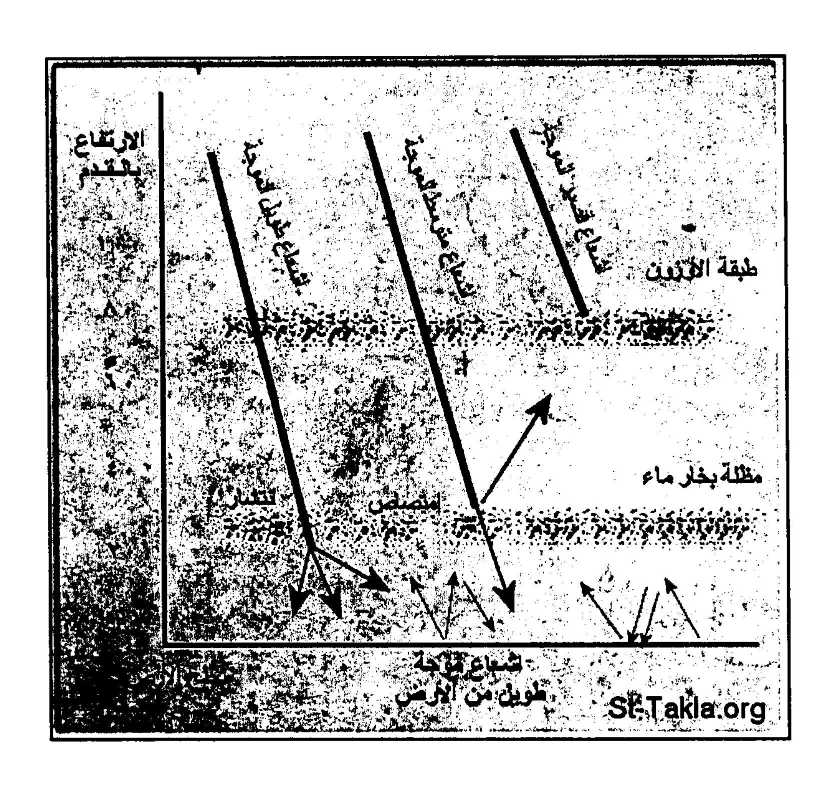
وهكذا تتم تصفية الإشعاعات الداخلة إلى الأرض من الأشعة فوق البنفسجية قصيرة الموجة، في حين تنفذ الإشعاعات الطويلة الموجة من خلال الأوزون، وأيضاً تمر

في الطبقة الوسطى من الغلاف الجوي المسمى الستراتوسفير Stratosphere، وينعكس جزء من الموجة ولكن يدخل الجزء الباقي، وينتشر في مظلة بخار الماء في الطبقة السفلية للغلاف الجوى التراتوسفير Tratosphere. وهكذا فإن الإشعاع الموجي الطويل للشمس يمتص والإشعاع الموجى الطويل للأرض يظل محبوساً، وهكذا تظل درجة الحرارة تحت المظلة السفلية مرتفعة[1].



رسم بياني يوضح العلاقة بين الحرارة على سطح الأرض، مقارنة بالارتفاعات، حيث كان الغلاف الجوي مختلفاً عما هو عليه حالياً، فالغلاف الجوي سابقاً كان يحتوي على بخار ماء ٣ : ٥ أضعاف البخار حالياً. وكان هذا البخار يتحرك كما هو حالياً في الطبقة السفلية، وهي تسمى التروبوسفير Troposphere

١- المصدر موقع الأنبا تكلا على شبكة الإنترنت.



الشكل يوضح أن طبيعة الغلاف الجوي كانت تجعله يعمل كمرشح كما هو في الرسم؛ فكان الإشعاع قصير الموجة يرشح خلال المستوى العلوي لطبقة الأوزون Ozone في الطبقة العليا للغلاف الجوي المسمى الأيونوسفير Ionosphere.

أبناء نوح عليه السلام وذريته بعد الطوفان

كان لنوح عليه السلام أربعة أبناء من الذكور هم: (يافث - سام - حام - كنعان) وهذا الأخير هو الذي لجأ إلى الجبل ليعصمه من الماء فكان من المغرقين أما الثلاثة الباقون فقال ابن كثير عنهم: إن كل من على وجه هذه الأرض اليوم من سائر أجناس بني آدم ينسبون إلى أولاد نوح الثلاثة الباقين (سام وحام ويافث).

- وروى الإمام أحمد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافث أبو الروم).

وقد رُوي عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً مثله جاء فيه: (والمراد بالروم هنا الروم الأول وهم اليونان المنتسبون إلى رومي بن لبطي بن يونان بن يافث بن نوح)[1].

- وذكر القلقشندي في نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب أنه وقع الاتفاق بين النسابين والمؤرخين أن جميع الأمم الموجودة بعد نوح عليه السلام دون من كان معه في السفينة، وعليه يحمل قوله تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء: ٣]، وأنهم أهلكوا عن آخرهم ولم يعقبوا ثم اتفقوا على أن جميع النسل من بنيه الثلاثة قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ [الصافات: ٧٧].

يافث وهو أكبرهم وسام وهو أوسطهم وحام وهو أصغرهم.

فكل أمة من الأمم ترجع إلى واحد من أبناء نوح الثلاثة على كثرة الخلاف في ذلك.

- فالترك... من بني ترك بن كومر بن يافث، ويدخل في جنسهم القبجاق والتتر والخزلخية (الغُز) في بلاد الصفد والغور والعلان والشركس والأزكش

---

[1] - ابن كثير في البداية والنهاية.

والروس فكلهم من جنس الترك. والجرامقة... من بني باسل بن آشور بن سام ابن نوح وهم أهل الموصل.

- والجيل... من بني باسل بن آشور أيضاً وبلادهم كيلان بالشرق.
- والديلم... من بني ماذاي بن يافث. - والسريان... من بني سوريان بن نبيط بن ماش بن آدم بن سام. - والسند... من بني كوش بن حام.
- والحبشة... من ولد كوش بن حام. - والنوبة... من ولد كنعان بن حام.
- والزنج... من بني زنج ولم يرفع في نسبهم فيحتمل أن يكونوا من أعقاب حام.
- والصقالبة... من بني أشكنار بن توغرما بن يافث. - والصين... من بني صيني بن ماغوغ بن يافث.
- والعبرانيون... من ولد عامر بن شالخ بن أرفخشد بن سام. - والفرس... من ولد فارس بن لاود بن سام.
- والفرنج... من ولد طوبال بن يافث.

وأما قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾أي يا ذرية من حملنا، على النداء محذوف حرف النداء؛ قال مجاهد ورواه عنه ابن أبي نجيح.

والمراد بالذرية كل من احتج عليه بالقرآن، وهم جميع من على الأرض؛ ذكره المهدوي.

وقال الماوردي: يعني موسى وقومه من بني إسرائيل، والمعنى يا ذرية من حملنا مع نوح لا تشركوا. وذكر نوحا ليذكرهم نعمة الإنجاء من الغرق على آبائهم.

وروى سفيان عن حميد عن مجاهد أنه قرأ (ذرية) بفتح الذال وتشديد الراء والياء. وروى هذه القراءة عامر بن الواجد عن زيد بن ثابت.

وروي عن زيد بن ثابت أيضا ذرية بكسر الذال وشد الراء.

ثم بين أن نوحا كان عبدا شكورا يشكر الله على نعمه ولا يرى الخير إلا من عنده. قال قتادة: كان إذا لبس ثوبا قال: بسم الله، فإذا نزعه قال: الحمد لله. كذا روى عنه معمر. وروى معمر عن منصور عن إبراهيم قال: شكره إذا أكل قال: بسم الله، فإذا فرغ من الأكل قال: الحمد لله.

قال سلمان الفارسي: لأنه كان يحمد الله على طعامه. وقال عمران بن سليم: إنما سمى نوحا عبدا شكورا لأنه كان إذا أكل قال: الحمد لله الذي أطعمني ولو شاء لأجاعني، وإذا شرب قال: الحمد لله الذي سقاني ولو شاء لأظمأني، وإذا اكتسى قال: الحمد لله الذي كساني ولو شاء لأعراني، وإذا احتذى قال: الحمد لله الذي حذاني ولو شاء لأحفاني، وإذا قضى حاجته قال: الحمد لله الذي أخرج عني الأذى ولو شاء لحبسه في.

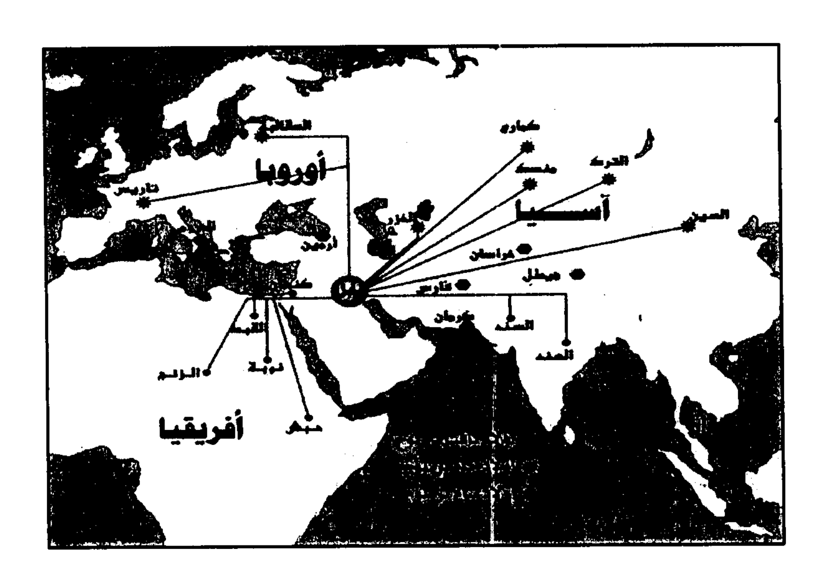
ومقصود الآية: إنكم من ذرية نوح وقد كان عبدا شكورا فأنتم أحق بالاقتداء به دون آبائكم الجهال. وقيل: المعنى أن موسى كان عبدا شكورا إذ جعله الله من ذرية نوح.

وقيل: يجوز أن يكون ذرية مفعولا ثانيا لـ (تتخذوا) ويكون قوله: وكيلا يراد به الجمع فيسوغ ذلك في القراءتين جميعا أعني الياء والتاء في تتخذوا.

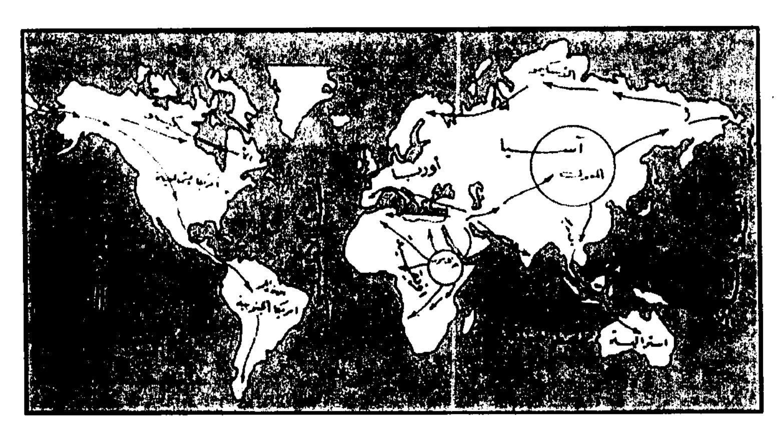
ويجوز أيضا في القراءتين جميعا أن يكون ذرية بدلا من قوله وكيلا لأنه بمعنى الجمع؛ فكأنه قال لا تتخذوا ذرية من حملنا مع نوح، ويجوز نصبها بإضمار أعني وأمدح، والعرب قد تنصب على المدح والذم. ويجوز رفعها على البدل من المضمر في تتخذوا في قراءة من قرأ بالياء؛ ولا يحسن ذلك لمن قرأ بالتاء لأن المخاطب لا يبدل منه الغائب. ويجوز جرها على البدل من بني إسرائيل في الوجهين. فأما (أن) من قوله ألا تتخذوا فهي على قراءة من قرأ بالياء في موضع نصب بحذف الجار، التقدير: هديناهم لئلا يتخذوا. ويصلح على قراءة التاء أن تكون زائدة والقول مضمر كما تقدم. ويصلح أن تكون مفسرة بمعنى أي، لا موضع لها من الإعراب، وتكون «لا» للنهي فيكون خروجا من الخبر إلى النهي[1].

---

[1] - تفسير القرطبي للقرآن الكريم. وقوله: خروجاً من الخبر إلى النهي أي من الخبر إلى الإنشاء كما يقول البلاغيون.



خريطة توضح انتشار ذرية أبناء نوح عليه السلام بعد الطوفان.



انتشار الناس بعد حدوث الطوفان كما يراها الشيخ المؤرخ/ محمود شاكر.



لوحة تمثل الفيضان والطوفان

وهكذا انتهت رحلتنا مع نوح وطوفانه وتاريخه العظيم الذي غير وجه الأرض والإنسانية.

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يتقبل منا هذا العلم وغيره من الأعمال الصالحة إنه ولي ذلك والقادر عليه وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

المؤلف

أهم المراجع والمصادر

١- القرآن الكريم.

٢- صحيح البخاري.

٣- صحيح مسلم.

٤- مسند الإمام أحمد.

٥- صحيح الترمذي.

٦- العهد القديم والعهد الجديد (الكتاب المقدس).

٧- العالم قبل الطوفان - علاء الحلبي.

٨- قصة الطوفان - إسماعيل مظهر.

٩- الأصول الغامضة للإنسان - علاء الحلي.

١٠- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - فؤاد عبد الباقي.

١١- قصص الأنبياء - لابن كثير.

١٢- البداية والنهاية - لابن كثير.

١٣- تاريخ الطبري.

١٤- الكامل في التاريخ - لابن الأثير.

١٥- طوفان نوح - عبدالوهاب عبد الرزاق الراوي.

١٦- تفسير روح المعاني - للآلوسي.

١٧- تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن.

١٨- في ظلال القرآن - سيد قطب.

١٩- مغامرة العقل - فراس السواح.

٢٠- قصص الأنبياء - عبد الوهاب النجار.

٢١- علم اللغة العربية - د. محمود فهمي حجازي.
٢٢- المعجم الوسيط.
٢٣- أساس البلاغة للزمخشري.
٢٤- مختار الصحاح - للجوهري.
٢٥- الكنز اللغوي لابن السكيت الأهوازي.
٢٦- قاموس الكتاب المقدس.
٢٧- الأنساب - السمعاني.
٢٨- الأغاني - الأصفهاني.
٢٩- فيضانات بغداد في التاريخ - د. أحمد سوسة.
٣٠- معجزة القرآن والطوفان بين العلم والإيمان - سعد حاتم مرزة
٣١- الأساطير السومرية - صموئيل نوح كرمير ترجمة أحمد عبد الحميد.
٣٢- العراق القديم - جورج رو - ترجمة حسين علوان.
٣٣- سفر سومر - خزعل الماجدي.
٣٤- مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة - طه باقر.
٣٥- فجر الحضارة في الشرق الأدنى - هنري فرانكفورت ترجمة ميخائيل خوري.
٣٦- تاريخ الشرق القديم د. سامي سعيد الأحمد.
٣٧- المسيح الدجال وسر الأهرامات الكبرى - منصور عبد الحكيم.
٣٨- الشرق الأوسط في نبوءات الكتب المقدسة - منصور عبدالحكيم.
٣٩- كتبوا على الطين - إدوارد كبيرا - ترجمة محمود حسين الأمين.
٤٠- ملحمة كلكامش - طه باقر.
٤١- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) - الفخر الرازي.

الكاتب في سطور

- منصور عبد الحكيم محمد عبد الجليل.
- حاصل على ليسانس في الحقوق جامعة عين شمس سنة ١٩٧٨.
- من مواليد القاهرة عام ١٩٥٥.
- يعمل بالمحاماة والكتابة.
- له العديد من المؤلفات والإصدارات بلغت أكثر من ١٤٠ كتاباً حتى عام ٢٠١١، وله العديد من اللقاءات الحوارية على الفضائيات العربية وترجمت بعض كتبه للإنجليزية ولغات أخرى.
- وعدد الكتب التي صدرت له حتى عام ٢٠١٢ أكثر من ١٤٠ كتاباً أثرَتْ المكتبة العربية والإسلامية.

كتب صدرت للمؤلف حتى عام ٢٠١٢:

١- السيناريو القادم لأحداث آخر الزمان.

٢- نهاية العالم وأشراط الساعة.

٣- عشرة ينتظرها العالم.

٤- تنبؤات نوستراداموس ومخططات اليهود.

٥- يأجوج ومأجوج من البدء حتى الفناء.

٦- البداية فتن والنهاية ملاحم.

٧- أقدم تنظيم سري في العالم.

٨- العالم رقعة شطرنج.

٩- الماسونية والثورات الشعبية.

١٠- المسيح الدجال وأسرار الأهرامات الكبرى.
١١- جنود الله من الباعوضة إلى الفيس بوك.
١٢- أشهر الاغتيالات الماسونية.
١٣- عالم الملائكة الكرام.
١٤- هاروت وماروت.
١٥- الصحابة تسأل والله يجيب بآيات القرآن المجيد.
١٦- من يحكم العالم سرًّا؟
١٧- أسرار الماسونية الكبرى.
١٨- أوراق ماسونية سرية للغاية.
١٩- العراق أرض النبوءات والفتن.
٢٠- الإمبراطورية الأمريكية – البداية والنهاية.
٢١- نيويورك وسلطان الخوف.
٢٢- بلاد الحجاز معقل الإيمان آخر الزمان.
٢٣- طارد الجن .
٢٤- مواجهة الجن .
٢٥- موائد الشيطان .
٢٦- الأعشاب و الجن .
٢٧- دعوة للزواج .
٢٨- عرش إبليس و مثلث برمودا .
٢٩- معجزات الشفاء بالحجامة.
٣٠- هل الشعراوي متطرفا يا إبراهيم .

٣١- نهاية العالم قريباً .
٣٢- نهاية دولة إسرائيل سنة ٢٠٢٢ .
٣٣- الحرب العالمية الثالثة قادمة .
٣٤- المهدي المنتظر .
٣٥- نهاية ودمار إسرائيل و أمريكا .
٣٦- شهداء الصحابة .
٣٧- نساء أهل البيت .
٣٨- زوجات الرسول- للأطفال .
٣٩- اختبر معلوماتك الإسلامية .
٤٠- زوجات الأنبياء و الرسل .
٤١- بيوت الرسول وبيوت الصحابة حول المسجد النبوي .
٤٢- النساء المبشرات بالجنة .
٤٣- بنات الصحابة .
٤٤- الموسوعة الإسلامية للنساء .
٤٥- الشفاء بالدعاء والحجامة.
٤٦- بلاد الشام أرض الأنبياء و النبوءات.
٤٧- معجزات الشفاء بالأدوية الإلهية و النبوية .
٤٨- الفراسة في معرفة الآخرين.
٤٩- ازدراء و إيذاء الأنبياء.
٥٠- جبريل عليه السلام أمين الوحى الالهى
٥١- ١٥٠ قصة عن الفراسة و الذكاء.

٥٢- ١٥٠ قصة عن شمائل و صفات الرسول صلى الله عليه وسلم .

٥٣- المهدي في مواجهة الدجال.

٥٤- الحرب السابعة و نهاية اليهود.

٥٥- هرمجدون ونهاية أمريكا وزوال إسرائيل.

٥٦- السفيانى صدام آخر على وشك الظهور.

٥٧- إسرافيل وأهوال القيامة.

٥٨- مؤامرات وحروب صنعتها الماسونية.

٥٩- عزرائيل ملك الموت.

٦٠- حكومة الدجال الماسونية الخفية.

٦١- ١٥٠ قصة لرجال ونساء حول الرسول.

٦٢- مناسك الحج والعمرة.

٦٣- الشفاء بماء زمزم.

٦٤- التداوي والشفاء بالذكر والدعاء.

٦٥- التداوي والشفاء بالخضراوات.

٦٦- التداوي والشفاء بالفواكه.

٦٧- التداوي والشفاء بالشاي الأخضر.

٦٨- التداوي والشفاء بالنعناع.

٦٩- جنكيز خان إمبراطور الشر

٧٠- هولاكو مارد من الشرق.

٧١- مالك خازن النار - النار وأهوالها

٧٢- رضوان خازن الجنة

٧٣- واقتربت الساعة
٧٤- الحرب العالمية الأخيرة قادمة.
٧٥- أعمال يحبها الله
٧٦- دولة فرسان مالطا وغزو العراق.
٧٧- القرين العدو الحقيقي للإنسان.
٧٨- الثالوث الغامض ..قارة أطلانتس ومثلث برمودا والأطباق الطائرة.
٧٩- عالم السحر والسحرة والمسحورين.
٨٠- الحياة الأخرى.
٨١- أصحاب البروج في مواجهة أصحاب الكهوف.
٨٢- السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين المحترمين.
٨٣- تيمورلنك إمبراطور على صهوة جواد.
٨٤- مصطفى كمال أتاتورك ذئب الطورانية الأغبر.
٨٥- الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أمية.
٨٦- عمرو بن العاص داهية العرب.
٨٧- خالد بن الوليد قاهر الأكاسرة والقياصرة.
٨٨- جهنم في الديانات السماوية.
٨٩- حرب الفيروسات ونهاية العالم.
٩٠- سلالات وعائلات ومنظمات تحكم العالم.
٩١- الدجال في مواجهة الوحي الإلهي.
٩٢- المسيح في مواجهة الدجال.
٩٣- أبناء في الجنة وآباء في النار

٩٤- بروتوكولات حكماء صهيون والمخططات الصهيونية على العالم.

٩٥- بر الوالدين وعقوقهما.

٩٦- قطز بطل عين جالوت وقاهر التتار.

٩٧- هارون الرشيد الخليفة المفترَى عليه.

٩٨- الشرق الأوسط في نبوءات الكتب المقدسة.

٩٩- حوار مع صديقي عن الماسونية.

١٠٠- مثلث برمودا مقبرة الأطلنطي.

وكتب أخرى متنوعة - تطلب من دار الكتاب العربي. القاهرة - دمشق - ت: ٢٢٣٩١٦١٢٢ - القاهرة ومن المكتبات الكبرى في الدول العربية.

الفهرس